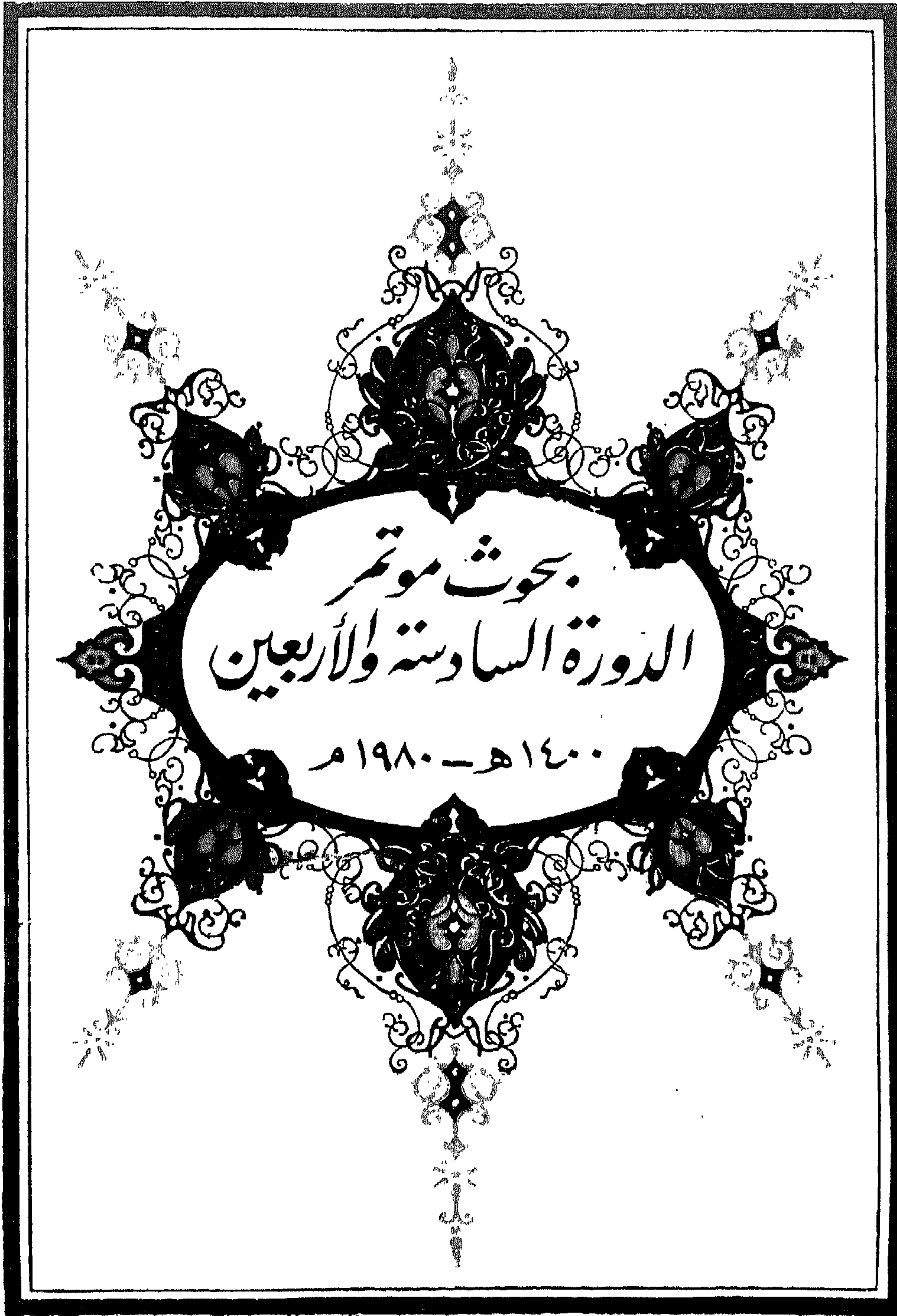


مجلة مجمع علماء العربية



الجزء الخامس والأربعون
جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ
مايو ١٩٨٠م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع الدكتور طه حسين
(مراد سابقا) بالجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الخامس والأربعون
جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ - مايو ١٩٨٠ م

المشرف على المجلة:
الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير:
إبراهيم التريزي

الفهرس

تصديرو:

- تصدير :**

 - الأستاذ ابراهيم التريزى
ص ٥
 - من كناشة النوادر (٢)
الأستاذ عبد السلام هارون
ص ٣٧
 - لغة المسرح بين العامية والفصحى
للدكتور شوقي ضيف
ص ٥١
 - رسالة « وثيقة امام فخر الرسول صلى
الله عليه وسلم »
للدكتور حسن على ابراهيم
ص ٦٥
 - كتاب « الاربعين » في كتاب النبی صلى
الله عليه وسلم الى هرقل
للدكتور احمد الخوفى
ص ٦٩
 - رسالة محمد بن عبد الغنى
للاستاذ محمد عبد الغنى حسن
ص ٧٩
 - رسالة الامام في النقل والتعريب
للدكتور شوقي ضيف
ص ٩٣

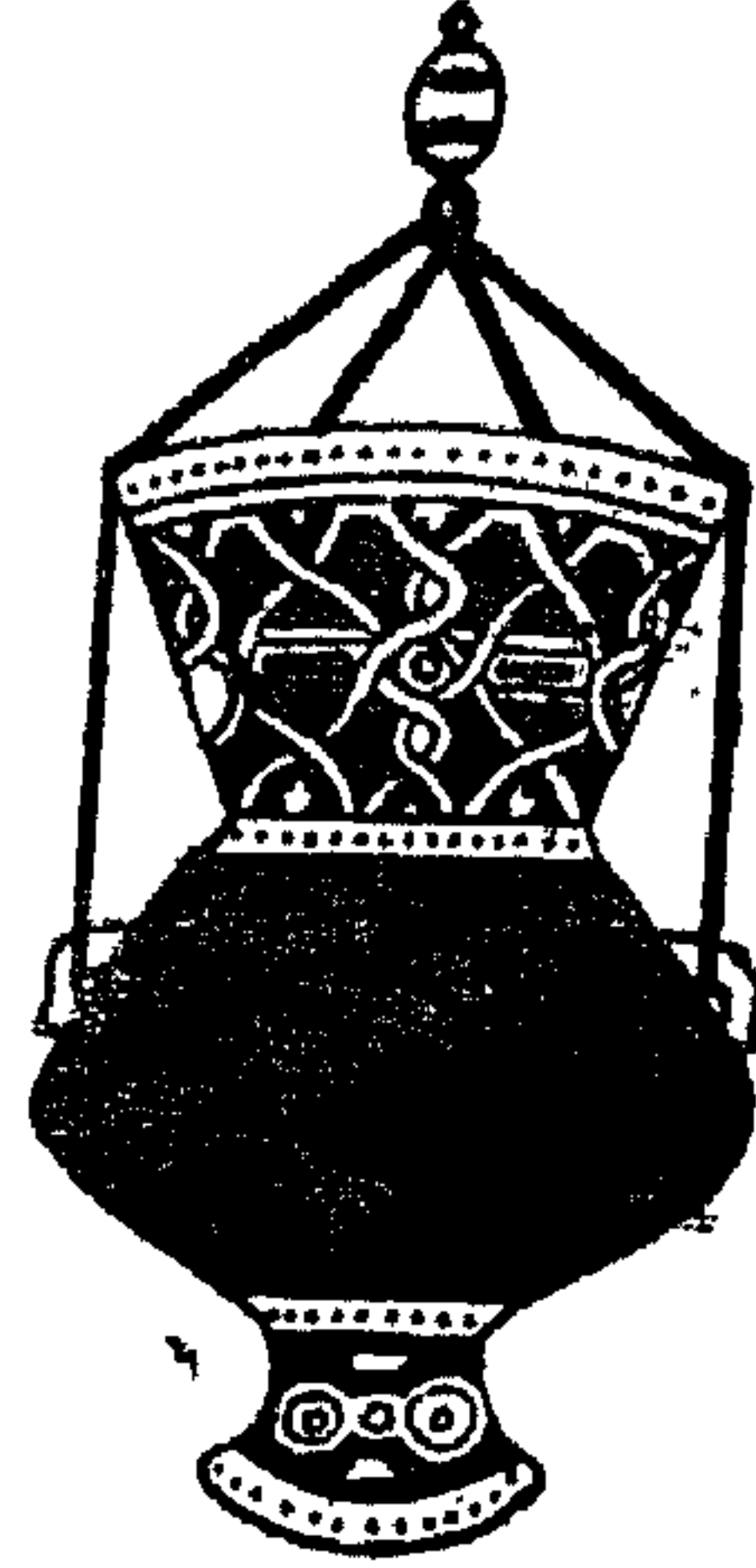


- تأصيل بعض اندخيل من أسماء الملابس والأطعمة في كتاب الجبرتي للدكتور أحمد السعيد سليمان ص ١٠١
- كلمة الدكتور مجدى وهبة ص ١٢٦
- يزيد بن محمد المهلبى للدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله ص ١١١
- الأداء واللفة في شعر بدر شاكر السياب للدكتور ابراهيم السامرائى ص ١١٩
- كلمة الأستاذ الشيخ أحمد هريدى ص ١٤٢
- كلمة الأستاذ الشيخ أحمد هريدى ص ١٤٥
- كلمة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى استقبال الدكتور أحمد السعيد سليمان ص ١٥٠
- كلمة الدكتور أحمد السعيد سليمان ص ١٥٥
- تأصيل بعض اندخيل من أسماء الملابس والأطعمة في كتاب الجبرتي للدكتور أحمد السعيد سليمان ص ١٠١
- كلمة الدكتور مجدى وهبة ص ١٢٦
- يزيد بن محمد المهلبى للدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله ص ١١١
- الأداء واللفة في شعر بدر شاكر السياب للدكتور ابراهيم السامرائى ص ١١٩
- كلمة الأستاذ الشيخ أحمد هريدى ص ١٤٢
- كلمة الأستاذ الشيخ أحمد هريدى ص ١٤٥
- كلمة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى استقبال الدكتور أحمد السعيد سليمان ص ١٥٠
- كلمة الدكتور أحمد السعيد سليمان ص ١٥٥

شخصيات مجمعية :

استقبال :

- كلمة الدكتور ابراهيم مدكور فى استقبال الأعضاء الأربعة الجدد الدكتور مجدى وهبة الأستاذ الشيخ أحمد هريدى الدكتور أحمد السعيد سليمان الدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله ص ١٣٥



-
- كلمة الأستاذ على النجدي ناصف
في استقبال
الدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله
ص ١٦٠
 - كلمة الأستاذ على النجدي ناصف
ص ١٧٨
 - قصيدة في رثاء الفقيد
للدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش
ص ١٨٥
 - كلمة الأستاذ أنور أحمد
ص ١٨٦
 - كلمة الدكتور أحمد الحوفي
ص ١٦٨
 - كلمة الأسرة
ص ١٧٣
 - كلمة الدكتور ابراهيم مذكور تأيبن
الأستاذ الشيخ على الخفيف
ص ١٦٦
 - عبد الكريم جرمانوس
كما عرفته
للاستاذ محمد شوقي أمين
ص ١٨٩
- تأبين :**

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم : ابراهيم الترنزي

وفي مستهل هذا الجزء من المحلة نلتقي بكلمات جلسة افتتاح المؤتمر ، وهي كلمة السيد وزير الثقافة والإعلام الأستاذ منصور حسن ، وكلمة الدكتور إبراهيم مذكور رئيس الجمع ، التي عرضت للموضوع الرئيسي للمؤتمر ، وهو الأدب العربي المعاصر ، وكلمة الدكتور مهدي علام ، الأمين العام للجمع ، التي نوّهت بأوجه النشاط الجمع ، بين المؤتمرات : السابق واللاحق .

ثم نلتقي في هذا الجزء من المحلة ببحوث اتجهت للموضوع المقترح في هذا المؤتمر وهي بحوث : « الأدب العربي المعاصر » للأستاذ محمد خلف الله أحمد ، و « لغة المسرح بين العامة والفصحى » للدكتور شوقي ضيف ، و « قضايا حول الشعر العربي » للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، و « الأداء واللغة في شعر بدر شاكر السياب » للدكتور إبراهيم السامرائي .

ويواصل الأستاذ علي النجدي ناصف بحوثه اللغوية القرآنية ببحثه : « بين مرضعة ومنقطر في القرآن الكريم » ، ويتجه بحث آخر إلى الحديث النبوي الشريف ، فيبحث

حرص الجمع على الأخذ بنهج التزمه في مؤتمرات سابقة ، وهو اقتراح موضوع يدعو أعضائه إلى أن تتجه إليه بحوثهم ، لعل الجمع بذلك لا يدع قضية من قضايا العربية - وما أكثرها - دون أن تتناولها بحوث أعضائه في مؤتمراتهم ، عاماً بعد عام . وقد كانت العربية المعاصرة ، وآدابها ، وعلاقتها بالعامة ، وما يتصل بهذا كله من مشكلات - تستهض هيتم الباحثين لدراستها : في نشأتها وتطورها ، والعوامل المؤثرة فيها ، إيجاباً وسلباً ، تأثيراً وتأثراً شكلاً وموضوعاً ، في أبعاد تتجه إلى الأعماق ، وأخرى تشق الآفاق .

وإذا كان الجزء الثالث والأربعون من مجلة الجمع ، الخاص بمؤتمر الدورة الخامسة والأربعين ، قد طالعنا ببحوث استجابت لاقتراح الجمع بأن تدرس موضوع « اللغة العربية ووسائل الإعلام » - فإن هذا الجزء من المحلة ، الخاص بمؤتمر الدورة السادسة والأربعين يُطالعنا ببحوث استجابت لاقتراح الجمع بأن تتجه بعض البحوث في هذا المؤتمر إلى دراسة « الأدب العربي المعاصر » .

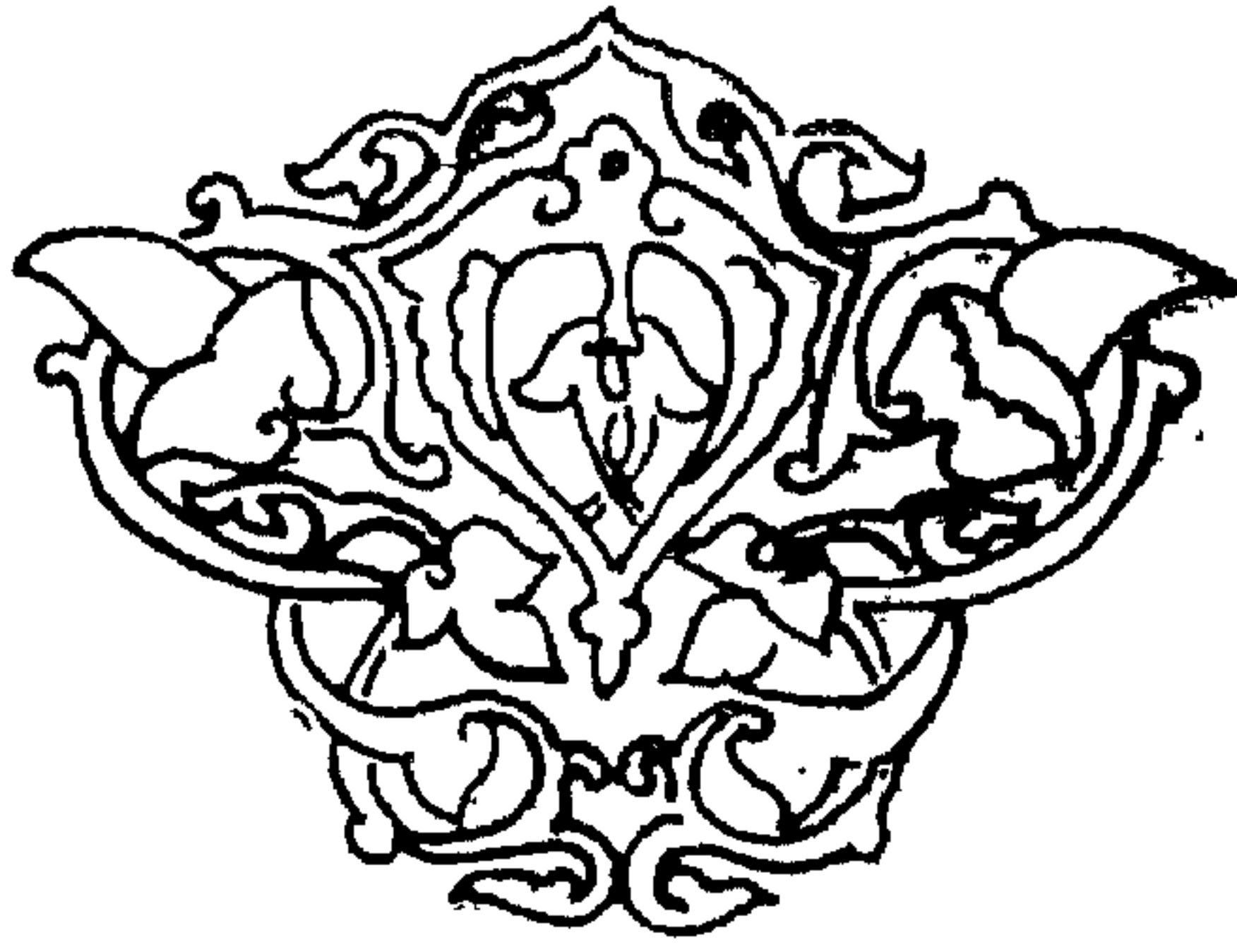
الدكتور أحمد الحوفي « كلمة أريسيين في
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
هرقل » .

ويطالعنا هذا الجزء ببحوث أخرى ، في
موضوعات شتى ؛ وهي : « توحيد المصطلح
العلمي في النقل والتعريب » للدكتور شوقي
ضيف ، و « تأصيل بعض الدخيل من أسماء
الملابس والأطعمة في كتاب الجبرتي » للدكتور
حمد السعيد سليمان ، و « اللغة الصامتة »
للدكتور إسحاق موسى الحسيني . ويجلو
الدكتور محمد رفعت فتح الله صفحات من
الحياة الأدبية لشاعر من آل المهلب ، هو

« يزيد بن محمد المهلب » ، ويُسْتَحْفَنا
الأستاذ عبد السلام هارون بما انتخاه من
ذخائر العربية ، في كناشته الحافلة بنوادير
تلك الذخائر .

ويُتَابِع الطيب الشاعر الدكتور حسن
على إبراهيم المسيرة العطرة لشعره في المديح
النبوي . حتى يقف أمام قبر الرسول صلى
الله عليه وسلم . وقفة شوق وحب ، وإجلال
وتكريم . مُحَاكَّةً بخواطره الشعرية في رحاب
خاتم الأنبياء والمرسلين .

إبراهيم التريزى
رئيس التحرير



١ - كلمة السيد الأستاذ منصور حسن وزير الدولة لرئاسة الجمهورية ووزير الثقافة

السيد رئيس مجمع الخالدين :

السادة الأجلاء أعضاء المجمع :

آفاق العلم والأدب والفن ، في مجالاتها
المحلية والعالمية .

أيها السادة :

لقد شاء الله - جلّت حكمته - أن
يكرم الأمة العربية بأن جعل منطقها بلسان
عربي مبين ، و شاء الله - جلّت حكمته -
أن يكرم هذا اللسان العربي ، فاختاره
ليكون المعبر عن وحيه الإلهي وتشريعه
السموي .

وهكذا أكرم الله الأمة العربية بلغتها ،
وكرم لغتها بأن جعلها لسان كتابه الكريم ،
ثم كرمكم أنتم أيها الخالدون بأن جعلكم
سدنة هذه اللغة ، الأمناء عليها ، الحرصاء
على أن تتواصل أمجادها بالتعبير عن
الحضارة في مختلف جوانبها ، وفي تطويرها
وتجديدها ، على مدى الأزمان ، فما تضيق
لغتنا بمعنى وإن جل ، ولا تعجز عن مسمى
وإن دق ، ولا تنبأ خطاها عن مواكبة
العصر بمستحدثاته ومخترعاته .

وكأني بشاعر النيل حافظ إبراهيم بطل علينا
بروحه من علياء الخلود ، سعيداً مزهواً

في حياة كل منا مواقف مشهودة منشودة
يكون لها في نفسه ذكراً كريماً منزلة ، وأعظم
شأن ، ثم تظل هذه المواقف - بعد ذلك
ذكرى تغاديه وتراوحه ، بكل الإعزاز
والاعتزاز ! ! .

من هذه المواقف العزيزة الكريمة موقفي
هذا ، وقد شرفني الخالدون بافتتاح
مؤتمرهم الجمعي ، الذي يضم صفوة
أعلام اللغة والأدب والعلم .

أساتذتي الأجلاء :

إذا كان من حقكم بل إذا كان من
واجبي أن أحيي فيكم ما تبدلون من جهد
ومن وقت ، لهذا المؤتمر ، تحية مقرونة
بكل التقدير والعرفان ، إذا كان هذا من
حقكم أو من واجبي ، فإن الأحق والأوجب
أن أتجه بادئ بدء ، بهذه التحية والتقدير
والعرفان ، إلى إخوانكم الذين جمعوا
إلى بذل الجهد والوقت ، مشقة الرحيل
عن بلادهم ، تحذوهم في ذلك غاية
مشتركة لتتابع لغتنا العربية تطورها الحضارية
على مدى العصور ، وغزاوتها المظفرة لأبعد

بتحقيق ما دعا إليه ، ونوه به ، حين
قال على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله . . لفظاً وغايةً
وما ضقتُ عن آيٍ بهِ وعِظَاتُ
فكيف أضيقُ اليومَ وصُفِ آلةُ
وتَنسيقُ أسماءٍ لمُخترَعاتٍ ؟ !
أنا البَحْرُ في أحشائه الدرُّ كامِنٌ
فهل ساءلوا الغَوَاصَّ عن صَدَفَاتِي ؟ !
أسألتُني الأَجَلَاءُ :

لقد اتسعت جهودكم ، وتنوعت وتلاحقت في
خدمة اللغة العربية حتى تلبى مطالب العصر
وتفى بحاجاته ، وليس في وسعي تعداد هذه
الجهود في مجال المصطلح العلمي ، الذي
أنجزتم منه عشرات الألوف ، في فروع
العلوم والآداب والفنون ، ولا في مجال
تبسيط قواعد العربية ، وتيسير ضوابطها ،
وتحرير ألفاظها وأساليبها ، ولا في مجال
المعجمات العامة ، كالمعجم الوسيط ، والمعجم
الكبير ، أو المعجمات المتخصصة ، كـمعجم
ألفاظ القرآن الكريم ، والمعجم الحيولوجي
والجغرافي والفيزيقي ، والفلسفي ، والطبي ،
ولكن يطيب لي أن أنوه بما عمداً إليه المجمع
من وضع معجم أسعدتنا البشري بقرب صدوره ،

ذلك هو المعجم الوجيز ، الذي كان حلماً
راودَ المثقفين منذ عشرات السنين ، وهكذا
سيتاح لأبنائنا في مراحل التعليم ، وفي
محيط الثقافة العامة معجم للعربية ، على
أحدث الأنماط العصرية في التنسيق والترتيب
يضم بين دفتيه من الألفاظ والمصطلحات
ما تمس إليه الحاجة العلمية والحضارية ،
في تعريف موجز وافٍ ميسور ، وبأسلوب
واضح جلي ، وبذلك يجد الدارس والمثقف
في هذا المعجم رفقة لغوية ، يسعده عند الحاجة
ويغدق عليه المعرفة اللغوية من مورده
العذب المصنفي .

أيها السادة :

لا يسعني - وأنا أنختم كلمتي - إلا أن
أجدد تحيتي لكم ، وترحبي بكم ، راجياً
طيب المقام لمن شرفنا بالقدوم إلى هذا
المؤتمر من خارج مصر .

حفظكم الله ورعاكم حماة اللغتنا ،
قوامين عليها لتؤدي - على خير وجه -
رسالتها الحضارية الخالدة .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



٢ - كلمة افتتاح المؤتمر للكبير ابراهيم مكيو رئيس المجمع

سيادة الوزير :

سيداتي - سادتي :

أضم صوتي إلى صوت السيد الوزير ،
مرحبا بضيوفنا الكرام ، و متمنيا لهم
طيب الإقامة . ونحن نرقب كل عام هذا
اللقاء لكي نتبادل معهم الرأي ، ونتعاون
جميعا على خدمة لغتنا وتطويعها لمتطلبات
العلم والحضارة . وقد قيل من قديم إن
المجتمعيين حماة اللغة ، وظن خطأ أن
هذه الحماية تقتضي بأن يقفوا عند القديم
وحده ، ولا يفسحوا المجال لشيء سواه ،
وهذا دون نزاع زعم باطل ؛ ذلك لأن
لغات حياة تسير بسير الزمن ، وتسند
حاجات العصر . ونحن نتحدث عن أدب
معاصر ، وهذا التعبير نفسه خير شاهد على
هذه الحياة :

وأدبنا المعاصر صنيعنا ، ووليد ظروفنا
وبيئتنا . يتسم بسمات تميزه من الأدب
الجاهلي ، ونباعد بينه وبين أدب عصور
الركود والظلمة ، ومن أخص خصائصه
أنه أدب سهل ، يمتنع الصنعة والتكلف ،
وينفر من الغموض والتعقيد ، ويتخاشى
الغريب والحوشى ، هو أدب سهل في
لفظه وتركيبه ، يتخير أرق الألفاظ وأعذبها ،

ويستمسك بأفهم العبارات وأدملها ،
لا يروقه السجع الثقيل ، ولا الكتابة الغامضة ،
ذلك لأنه أدب أفكار ومعان ، لا مجرد
رصٍّ جمل وتراكيب ، هذا إلى أنه
أدب عصر السرعة الذي يصوب إلى الهدف
من أقصر طريق . وهو أيضا أدب ديمقراطي
يخاطب الناس عامة . ويحرص على أن
ينفذ إلى قلوب الجماهير ، لم يبق فيه محل
للغة خاصة ، ولا لأسلوب مقصور على
أرستقراطية معينة . وهو مع هذا ينكر
الأدب الرخيص ، أدب التسلق والزلفى
أو أدب الانحراف الذي يستغل بعض
العواطف . ويزين للناس حب الشهوات ؛
وهو أخيرا أدب نام ومتجدد ، له
نثره ونظمه ، فيه البحث والمقالة ،
والرواية والقصة وفيه شعر موزون مقفى ،
وأخر حر طليق . وفي كل ذلك الغث
والسمين ، ونحن نريد له جميعه أن يكون
أدب نهضة وتجويد . وأدبنا كناسر الآداب
الحية ، يأخذ ويعطي ، وهذا نفسه أماره
حياة وقسوة . يأخذ اليوم كما أخذ
بالأمس ، وقد أخذ فعلا عن بعض الآداب
الأخرى ألفاظا وأساليب ، ازدادت بها
ثروته ، وتنوع مجال القول فيه . ولا

ضير في شيء من ذلك متى أحسن استخدامه ولم نخرج به عن أصول اللغة ومبادئها . وأوضح ما يكون أخذه في لغة العلم والحضارة وهي في تطور مستمر لا بد لنا أن نسير معه ، ونفيد منه . وعطاء أدبنا آية من آيات جودته وقوته ، ودليل واضح على ابتكاره وطرافته . وقد ترجم في نصف القرن الأخير قدر غير قليل من إنتاج كبار كتابنا وأدبائنا إلى بعض اللغات الحية الكبرى ، وهذا تبادل ثقافي هام نرجو له أن ينمو ويتردد .

* * *

سيداتي سادتي .

يتابع مجمع اللغة العربية سير أدبنا المعاصر ، ويرقب حركاته ، وييسر له وسائل النهوض والتقدم ، ويشجع الشباب على الإقبال عليه ، والعناية به ، بما يقترح من موضوعات بحث ، وما يمنح عليها من بجوائز . ويعنى عناية خاصة بلغة العلم والحضارة ، لأنها لغة الحاضر والمستقبل ويسهم إسهاماً واضحاً في تعريب التعليم العالي والجامعي ، وفي وسعنا أن نقرر أن ليس ثمة هيئة علمية أخرى عنيت بالمصطلح العلمي العربي عنايته ، وهو يقدم منه كل عام في مؤتمره زاداً يفيد

منه الدارسون والباحثون وليست عنايته بمستحدثات الحضارة بأقل من عنايته باللغة العلمية ، وفيه لختان تغذيان المجلس والمؤتمر بغذاء متصل ، وهما لجنة ألفاظ الحضارة ، ولجنة الألفاظ والأساليب . ويكفي أن أشير إلى أن قدراً من المعروض على هذا المؤتمر ينصب على لغة المسرح والسينما .

وفي جدول أعمال مؤتمرنا محاضرتان عامتان ، يسعدنا أن نفتتح الباب فيهما للدارسين والباحثين والمستفسرين ، وتدور أولاهما حول : لغة المسرح بين العامة والفصحى . وسيتولاها الدكتور شوقي ضيف ، وموعداً معها الخامسة من مساء يوم السبت ٢٢ من مارس في دار الجمعية الجغرافية . وتنصب الثانية على قضايا حول الشعر العربي . وصاحبها شاعر فذ هو الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، وموعداً معها يوم الثلاثاء ٢٥ من مارس الساعة الخامسة في دار الجمعية الجغرافية .

وسيعرض الزميل الدكتور محمد مهدي علام الأمين العام للمجمع صورة أوفى لنشاط المجمع طوال العام .

والسلام عليكم ورحمة الله .



٣ - المجمع بين مؤتمري الدكتور مهدي عبد السلام والأمين العام للمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم
السيد وزير الدولة لريادة الجمهورية
ووزير الثقافة :
السيد رئيس المجمع :
السادة الزملاء أعضاء المؤتمر :
سيداتى . . سادتى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد .
فها نحن نلتقى ، وقد أكمل مجمعنا خمسا
وأربعين دورة مجتمعية ودخل فى فلك
دورته السادسة والأربعين ، التى نجتمع
اليوم فى مستهل مؤتمرنا ، الذى نرجو
له التوفيق إن شاء الله تعالى ، بفضل جهود
أعضائه الأجلاء ، الذين سيدرسون حصيلة
عام من الجهد العلمى ، وما أثمره من
المصطلحات العلمية والفنية ، والمواد
المعجمية والقرارات اللغوية . وإن فى
تتابع هذا العطاء المجمعى السخى ، على مدى
ست وأربعين دورة مجتمعية ، لخير شاهد
على أن لغتنا العريقة الخالدة لغة علم وحضارة
بل فى طليعة اللغات العالمية القادرة على
استيعاب الحضارة المعاصرة ، والتعبير عنها
فى مختلف المجالات . ولا عجب فى ذلك .
فالتاريخ نفسه خير شاهد على أن لغتنا
ظلت لها السيادة والريادة بوصفها لغة
علم وأدب وفن ، عدة قرون .

فلغتنا - فى هذا العصر - لا تبدأ من
فراغ ، وإنما تستعيد حيويتها وتسترد
مكانتها ، وتستأنف مسيرتها الحضارية ،
فمجدها الحاضر المعاصر يضرب بجذوره فى
أعماق ماض مجيد ، إنها أعرق لغة
ظلت حية على مدى حقبة متواصلة ، لم
تعش مثلها أية لغة أخرى مهما كانت قديمة .
سيداتى . . سادتى

يسعدنى - كما اعتدنا فى افتتاح كل
مؤتمر - أن أعرض صورة عامة ، تتمثل
فيها ملامح النشاط المجمعى ، منذ عقدنا
مؤتمرنا السابق ، حتى صرنا على مشارف
هذا المؤتمر .
المؤتمر السابق :

عقد المؤتمر - على مدى أسبوعين - إحدى
عشرة جلسة ، عرض فيها على أعضائه
نحو ألف وخمسمائة مصطلح فى الجيولوجيا
والنفط ، والفيزياء ، والهيدرولوجيا ،
والكيمياء والصيدلة ، والطب ، والنبات ،
وعلم الحيوان ، والرياضة ، والتاريخ ،
والتربية ، وفن السينما ، وألفاظ الحضارة .
الحديثة ، كما عرضت مواد جديدة من
المعجم الكبير (من أول الجيم والشاء وما
يشلثهما إلى آخر الجيم والذال وما يشلثهما) .

وقد أقر المؤتمر أكثر هذه المصطلحات العلمية والفنية ، والمواد المعجمية ، فأعطاهما بذلك شرعية الوجود اللغوي .

كما أقر المؤتمر السابق من أعمال لجنة الأصول مشروعاً تناول تيسير النحو للناشئة وتيسير أحكام العدد ، ولحقوق تاء الوحدة بالمصدر على لفظه .

وأقر من أعمال لجنة الألفاظ والأساليب :
ألفاظ : الصدفة ، سعر التكلفة ، المناورة العسيرة ، الملابس الجاهزة .

وعدة أساليب مثل ، دخل خالد بينما على يتكلم ، كلفت البناء مالا كثيراً ، جاء ثوياً ، سواء كذا أو كذا .

وبذلك يرد المجمع لكثير من الألفاظ والأساليب اعتبارها ، كما يقيم جسوراً بين لغة الحديث ولغة الكتابة .

وأقر المؤتمر - كذلك - من أعمال لجنة اللهجات :

موضوع القاف في العامية المصرية ، وبعض المصطلحات اللغوية وهي : المعاقبة ، الغمغمة قطعة طيء .

كذلك عرضت على المؤتمر توصيات حول أسلوب المصطلح العلمي ، وهي ضوابط أعدتها لجنة خاصة بالمجمع ، فأقرها المؤتمر :

وقد حظى مؤتمرنا السابق بالعديد من البحوث والدراسات الضافية الوافية تناول فيها السادة الزملاء جوانب من الدراسات القرآنية ، ولغة الإعلام ، وتناول دراسة اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء ، والتراث العربي ، وعدة موضوعات أخرى في اللغة والأدب والفكر ، وعطرت أنفاس الشعر أجواء المؤتمر بقصيدة محمد رسول الله للزميل الطبيب الشاعر الدكتور حسن على إبراهيم ، وقصيدة لغة تجمع القلوب على الحب للزميل الأستاذ الباحثة الشاعر محمد عبد الغنى حسن .

وأصدر المؤتمر في جلسته الختامية قرارات وتوصيات أهمها :

١ - أن تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى إليه العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق تزويد مكتباتنا بمرفقات عربية حديثة وافية ، واضطلاع الأستاذ برسائله وفاء لعلمه ولغته على حد سواء ، وتمكين الطالب من لغته القومية ، ومن لغة أخرى أجنبية تصله بموكب العلم وتقدمه .

٢ - أن توحيد المصطلح العلمي والأدبي والفني هدف منشود لعالمنا العربي ، ولكن بعض الهيئات والأفراد يعمد إلى إصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة

في استعمال المصطلحات العربية ، لدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون .

ولذلك يوصى المؤتمر بأن يترك أمر المصطلحات للجامع العربية ، على أن ينسق هذا في إطار اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية .

٣- يوصى المؤتمر وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي بأن تعنى عناية كاملة بتيسير تعليم اللغة العربية للنشء مستهدية في ذلك بما قرره اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية ، في ندوة الجزائر وكان موضوعها « تعليم اللغة العربية في ربيع القرن الأخير » .

٤- يوصى المؤتمر باعداد العاملين بالإذاعة : المسموعة والمرئية ، إعداداً صوتياً ولغوياً ، لعلاج ما يبدو من تحريف في نطق بعض الحروف على ألسنتهم ، ومن أخطاء في ضبط بعض الكلمات . ويهيب بوزارات الإعلام وهيئات الإذاعة : المسموعة والمرئية ، أن تزداد عنايتها بالتدريب الجاد للألسنة المنطقية عن طريق الميكروفون .

٥- يأسف المؤتمر لتقديم أكثر المسرحيات والتمثيليات الإذاعية (المسموعة والمرئية) باللهجات العامية ، ويوصى أن يخصص عدد أكبر من التمثيليات لاستخدام لغة صحيحة ، يسهل فهمها على العربي

في مختلف المستويات ، وفي جميع البلاد العربية .

٦- يوصى المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويقدر للصحافة ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية بعامه ، وفنون الأدب بخاصة ، ويوصى - كذلك - بفسح مجال أوسع لذلك الزاد الثقافي والأدبي .

أعمال المجلس واللجان :

عقد مجلس الجميع سبعا وثلاثين جلسة منها جلسة علمية لتأبين الزميل المرحوم الأستاذ عباس محسن .

أما سائر الجلسات ، فقد نظر المجلس فيها نحو ألف وخمسة مائة مصطلح في الجيولوجيا ، والنفط ، والفيزيكا ، والهيدرولوجيا ، والرياضة ، والهندسة ، والكيمياء ، والبصيلة ، وعلم الحيوان ، والتربية وعلم النفس ، وفلسفة التاريخ ، والقانون التجاري ، وألفاظ الحضارة الحديثة ، وفني : المسرح والسينما .

ودرس المجلس - كذلك - أعمال لجنة الأصول ، ولجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة اللهجات .

وسيعرض على مؤتمر كم هذا ما أقره المجلس من مصطلحات وقرارات ، وما أنجزته لجنتنا : المعجم الكبير من مواد جديدة ،

مسابقة المجمع الأدبية

نظارت لجنة الأدب فيما تقدم به المتسابون في موضوع مسابقتها للدورة الجمعية السابقة وهو : « الطفولة في الأدب العربي » وذلك بمناسبة أن كانت هي السنة الدولية للطفولة . وفاز بالجائزة الأولى السيد فوزى السيد الغباني ، وبالجائزة الثالثة السيدة جاذبية صدقي . وحجبت الجائزة الثانية لعدم وجود نفع يرتفع لمستواها .

وأعلنت اللجنة عن مسابقتها الأدبية الجديدة في هذه الدورة ، بعد موافقة المجلس وموضوعها « الشباب في الأدب العربي - بحث فني » .

مسابقة إحياء التراث العربى :

يحرص المجمع على تشجيع إحياء التراث العربى ، بل يسهم في ذلك الإحياء بالعديد من المطبوعات التى أصدرها ، وقد رصد في دورته السابقة جائزة لإحياء التراث ، وفصلت لجنة إحياء التراث بالمجمع فيما قدم لها من مطبوعات تراثية محقة ، وقررت منح الجائزة للسيد الدكتور أحمد مختار عمر ، والأستاذ ضاحى عبد الباقي ، عن تحقيقهما كتاب « المنجد في لكزاع النمل » .

لجنة الإعداد للعيد الخمسينى للمجمع :

يبلغ مجملنا عامه الخمسينى في سنة ١٩٨٢ وقد شكل المجمع لجنة للإعداد لعيد الخمسينى المرتقب ، وشرفنى برياسة هذه اللجنة التى تضم زملاء : الأستاذ بدر الدين

أبوغازى ، والأساذ محمد عبد الغنى حسن ، والأستاذ محمد شوقي أمين ، والدكتور مجدى وهبة .

وقد أعدت مشروعا مفصلا لهذا الاحتفال سيبدأ في تنفيذه ابتداء من الدورة الآتية :

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمع في هذه الدورة :

— الجزءين : الأربعين ، والحادى والأربعين من مجلة المجمع .

— الجزء الحادى والعشرين من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية — المعجم الفلسفى .

— محاضر الدورة الثالثة والأربعين .

— القسم الثانى من الجزء الرابع من « ديوان الأدب » للفارابى .

وقيد الطبع : — المعجم الوجيز .

— المعجم الحيولوجى

— معجم ألفاظ الحضارة والفنون .

— محاضر جلسات الدورتين : الثانية والعشرين ، والرابعة والأربعين .

— الجزء الرابع من كتاب الأفعال بتسميه .

ومما هو جدير بالذكر أن حصيلة

التوزيع لمطبوعات المجمع تدر عملة صعبة

وفيرة إلى جانب العملة المحلية .

صلات المجمع الثقافية :

يتابع المجمع توثيق صلاته بالكثير

من الجامعات ، والهيئات الثقافية ، فى مصر

والعالم العربى والإسلامى . . . فيشارك فيما

تعتقده من ندوات ومؤتمرات ، وينظر فيما تقدمه من مصطلحات ، أو مسائل لغوية ، فيحيلها مجلس المجمع على لجانة المختصة لنظرها وإبداء الرأى فيها ، تمهيداً لدراستها فى مجلسه .

وقد مثل المجمع الزميل الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى مهرجان المؤرخ العربى « ابن عساكر » ، الذى أقامه المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بدمشق احتفالاً بمرور تسع مئة عام على مولد المؤرخ الدمشقى الكبير .

كما تفضل الزميل بتمثيل المجمع فى الاجتماع الإقليمى الذى عقد فى أديس بابا ، والذى دعا إليه مركز التنمية الصناعية للدول العربية ، بالاشتراك مع اللجنة الاقتصادية للأمم المتحدة فى أفريقيا .

ولاتتوقف صلات المجمع الثقافية عند الجامعات والهيئات ، بل تمتد إلى الأفراد من الباحثين فى الميدان اللغوى ، فيتلقى المجمع منهم الكثير من البحوث والدراسات والمقترحات فى مختلف شئون اللغة ، ويحيلها مجلس المجمع على لجانة المختصة ، لتستوفىها بحثاً ودراسة قبل عرضها عليه .

سيداتى : . سادتى :

تمضى سنة الحياة بين استقبال وتوديع وقد ودع المجمع زملاء راحلين هم : علامة النحو واللغة المرحوم الأستاذ عباس حسن ، والأستاذ الجليل المستشرق

الدكتور عبد الكريم جرمانوس (عضو المجمع المراسل من المجر) والأستاذ الكبير المستشرق الدكتور أمبرتو يتشيانو (عضو المجمع المراسل من إيطاليا) .

وسيستقبل المجمع - عقب هذا المؤتمر - الثلاثة الكرام الذين فازوا بعضويته ، وهم السادة الزملاء : الأستاذ محمد زكى عبد القادر ، والدكتور حسين خلاف ، والدكتور تمام حسان .

سيداتى . . . سادتى :

لايمضى عام دون أن ينال جائزة الدولة التقديرية فارس من فرسان المجمع ، وقد نالها فى الآداب - هذا العام - أستاذ ثبت ، وعالم رفيع القدر فى ميدان الدراسات الأدبية والنقدية ، تخرج على يديه أجيال من أعلام الأدب فى مصر والعالم العربى ، هو الزميل الدكتور شوقى ضيف .

سيداتى . . . سادتى :

فى ختام كلمتى أعبركم عن سعادتنا ببلقائكم ، وبخاصة الإخوة الزملاء الذين لبوا دعوتنا ، ووفدوا إلينا من البلاد العربية الشقيقة . . . سائلين الله تعالى كل عون وتوفيق وسداد .

والشكر مكرر للجامعة الدول العربية وأمينها العام وزملائه الكرام .

ونأمل أن نلتقى فى العام القادم بدار المجمع الجديدة إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأدب العربي المعاصر

للاستاذ محمد خلف السيد أحمد

الفنية لحياتها ، والترجمان لمشاعرها وقيمها ،
وأحد المؤشرات لمستواها الحضارى فى تلك
المرحلة :

وإذا صح وصفنا لأنفسنا وحياتنا فى
المرحلة المعاصرة فن الطبيعى والمنتظر —
إذن أن يكون أدبنا العربى المعاصر فى تلك
المدة التى حددناها أدبا يغلب عليه التفاؤل
والأمل والثقة فى المستقبل ، وأن يكون
طابعه الجدية والصدق فى التعبير ، وأن
تشيع فى أساليبه روح الانطلاق والوضوح
والبعد عن التكلف والزخرف المصطنع ،
وأن يكون له دور إيجابى ظاهر فى دفع
النهضة القومية إلى الأمام ، وأن يكون
مردداً لنفض جماهير الشعب، وأن يعمل على
زيادة الاهتمام به بين المثقفين ، وفى القاعدة
العريضة من الجماهير . وأن تقوى مشاركته
فى عرض التجارب والمشكلات النفسية
والاجتماعية للمواطنين ، وخصوصاً فى
فنونه الجديدة من قصة ورواية ومسرحية،
ومن المنتظر كذلك—والمرغوب فيه—أن تميل
فلسفتنا فى مناهج تعليم اللغة وآدابها إلى
العناية بالنص الأدبى ونقد الأدب وإنشائه

لنصطلح على أن المدة من ١٩٥٠م إلى
٢٠٥٠م هى حدود المعاصرة التى نتحدث عنها
فى هذا المؤتمر ، ولنضع أمامنا خارطة لطابع
حياتنا ومواقفنا واهتماماتنا وقيمنا وأحلامنا
فيها ، ولنسأل أنفسنا : كيف نحن الآن ؟
وماذا نريد لأنفسنا أن نكون ؟

إن وطننا منذ بدء هذه المدة فى مرحلة
نهضة تجديدية وإصلاحية جادة لإعادة صنع
حياة ، وبناء مواطنيه ، والكشف عن
ذخائر خبراته وموارده ، ونشر أضواء
العلم والمعرفة بين ربوعه . وتثيت دعائم
القيم الروحية والإنسانية فى مواطنيه ،
والمشاركة فى توجيه العالم الذى نعيش فيه
إلى مثل الخير والحق والجمال .

والعالم اليوم يشهد هذه النهضة ويباركها،
ويتسابق إلى تقديم العون الأدبى والمادى لها .
وهو فى الوقت ذاته معجب بتاريخنا الضارب
فى أعماق الزمن . وبآثارنا الباقية على مر
العصور . وبحضارتنا التى أثرت ، وستظل
تؤثر بقيمتها ، فى كثير من الحضارات .

ومن المسلم به والمتفق عليه أن أدب أمة
ما فى مرحلة معينة من تاريخها هو المرآة

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جلسة الثلاثاء غرة جمادى

الأولى ١٤٠٠هـ الموافق ١٨ من مارس سنة ١٩٨٠م) .

والانطلاق في التعبير الأدبي السليم، وكثرة القراءة في النصوص والكتب الجديدة ليأخذ الأدب مسالكه إلى النفوس والأذواق، والألسنة، مع التدرج في الغذاء اللغوي والأدبي الصالح من نصوصنا وبياننا الموروث في شعرنا وخطبنا ورسائلنا وكتبنا التي تربت عليها أذواقنا خلال العصور:

إن أدباءنا المعاصرين حلقة في سلسلة تاريخ طويل من أدبنا العربي الممتد في الماضي إلى قرابة ألف وخمسمائة عام، وهم جزء من نهضة إحيائية وتجديدية حديثة نشأت وترعرعت على مسيرة مائتي عام، وهي دائبة التطور والنقد لأنفسها، والتعهد لتكامل ماضيها وحاضرها، ويشغلها بين الحين والآخر التفكير في شئونها والحوار حول ما يجد لها من قضايا ومشكلات أدبية ولغوية ونقدية.

ومن تلك القضايا قضية لغة الأدب فيها: فقد صاحب تاريخنا منذ عصره الإسلامي الأول - وبحكم اتساع رقعة العالم الإسلامي - ازدواج لغوي: فإلى جانب لغة الكتابة الفصيحة المغربية الغنية في تراثها. ظهرت في بيئاتنا للتخاطب ولشئون الحياة اليومية لهجات إقليمية غير معربة، الغالبة العظمى من قاموسها فصيح الأصل إلا أنه غير معرب، وصيغته تخضع لانحرافات من الزيادة أو النقص ومباينة لاستخراج من استعمال اللفظ الأجنبي والعامي؛ وكان من الطبيعي أن ترفض العلماء وجامعير الأمة هذه الدعوة

فإننا مرتبطون بالماضي روحاً وعقلاً وتاريخاً ولغة. ولسان أدبنا الكلاسيكي نما وترعرع وعاش مراحل تاريخنا، وخضع على أيدي علمائنا لضروب مستمرة من البحث والتقنين حتى اتسق له من النظام والأحكام مالم يتسق لغيره من اللغات: وقد ارتبطت لغتنا ارتباطاً لا فكاك له بديننا وتشريعنا وفلسفتنا وسائر فروع تراثنا، وعلى بلاغتها تكونت أذواقنا، وهي الرابطة الدائمة بيننا وبين شعوب شقيقة تشترك معنا في آلامنا ومصيرنا. وليس يصح في طبيعة العمران البشري ولا في القانون الاقتصادي أن تخضع اللغة القومية بعد تاريخها الحضاري الطويل لدعوات من التغيير والتبديل تهز من أركانها وتهدم من قواعدها وتفضل بين قديمها وجديدها: ولكن الذي يقتضيه التطور الطبيعي أن تتسع لغة الناس بحسب اتساع تاريخهم وحضارتهم وأن تتقبل من الألفاظ والصور والأخيلة ما يتفق وعبقريتها وأذواق أهلها. وإذن فالمادة الأولى في دستورنا اللغوي لأدبنا العربي المعاصر أن نحافظ على فصاحة لغتنا وسلامتها. وأن نزيد في ثراء ثروتها بالتطور ومواءمة الزمن وأن نعنى بتحديد معاني ألفاظها وتوسيع طرق التعبير فيها. وهذا هو الذي تقوم عليه هيئاتنا ومجامعنا اللغوية مواثمة بين المحافظة الواعية على جوهر القديم، وبين التطبيق الواعي لقانون الحداثة والتجديد.

ويتصل بقضية اللغة قضية التقفية وموسيقى الشعر في أدبنا المعاصر فمن وحى الاتصال ببعض الأنظمة الموسيقية للشعر في الآداب الأخرى الحديثة فماذا بعض شعرائنا إلى اصطناعية بعض تلك الأنظمة في أدبنا العربي الجديد ، وإلى الزرابة أحياناً بنظام القصيدة العربية في وزنها وقافيتها الموحدة ، والربط خطأ بين ذلك النظام وما يسمونه الشعر الخطابي أو شعر المواقف والمناسبات . وألح بعض نقادنا في هذا حتى وقر في بعض الأذهان أن نظام القصيدة العربية نظام عتيق ، وأن نظام القافية الواحدة فيها نظام جامد مقيد للحرية وعائق للانطلاق الشعري . وترتب على هذا أن جماهير مواطنينا التي كانت تغذى ميولها الأدبية واللغوية على الاستماع للشعر العربي في لقاءات ومواقف ومواسم قومية قد أصبحت محرومة من هذا الزاد الحصب ، ومن هذه التربية الحرة التي كانت تقارب بين أفرادها وجموعها . وإذن فالوضع السليم لأدبنا العربي المعاصر أن نرد الاعتبار لنظامنا الشعري الموروث مع الانفتاح باستمرار على الأنظمة الشعرية الأخرى ، واقتباس ما نراه صالحاً منها كما فعل السابقون منا في تاريخنا العربي وفي المهاجر في تطويع القصيدة العربية وقبولها لألوان من التصرف في موسيقاها ونظام قافيتها ، وأحسب أن من الضروري لفنان العصر الحاضر وشاعره أن يتمتع كلاهما بروح الحرية الواعية في

إبداعه ، وأن تسود بين شعراء القديم وشعراء الجديد روح التطور والتكامل وأن تتسع موازين النقد الأدبي البناء لكليهما ، وهما جديران أن يزوجا بين الأصالة الواعية والنمو المثمر .

والناحية الأخرى الجديرة بالاهتمام في أدبنا العربي المعاصر ناحية الاتصال المستمر بأدبنا القومي من جهة ، وببعض آداب الأمم المتقدمة من جهة أخرى في الناحية الأولى ينبغي أن يكون لأذواقنا جذورها المستمدة من أدبنا الماضي في عصوره الزاهرة . ومن قراءتنا الحادة فيه والتمرس بلغته وأساليبه وصوره ، والتتبع لآثار الخالدين من شعرائه وكتابه ، مع معاشتنا لإنتاج الكبار من أدبائنا المحدثين نواظب على درسمهم ونغذى أذواقنا على موائد إبداعهم . ويتصل بهذه الناحية دراستنا وملاحظتنا المستمرة المعاصرة وأوضاعها ومشكلاتها وأنماط الفردى والجماعى فيها . وطبيعتها ومناظرها وآثارها وحيوانها ونباتها ليكون لنا من كل ذلك زاد لتجاربنا ومثيرات لأحاسيسنا الجمالية وموضوعات لنواح من أدبنا المعاصر ، وعلى الأخص في الأدب الذى نشته لأطفالنا وشبابنا في مراحل نموهم المختلفة . لتغذى مشاعرهم وأخيلتهم ، وتقديم ألوانا شهية مناسبة لمطالعهم . ولا شك أن أمامنا الكثير مما نستطيع تحقيقه في هذا المجال كما أن تاريخنا حافل بضروب التجارب

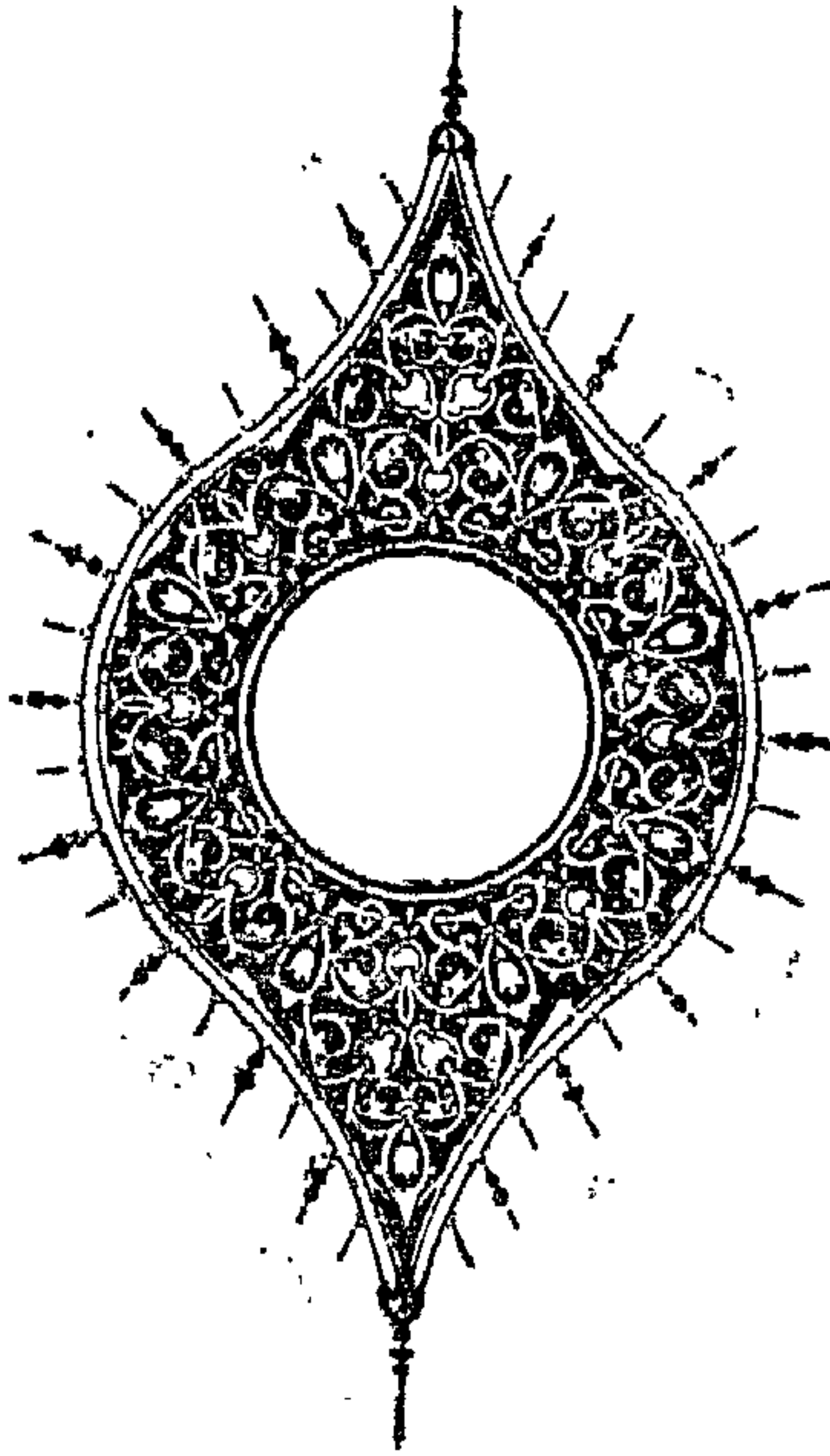
والإنجازات والبطولات والشخصيات التي
تركزت طابعها على حياتنا في مختلف نواحيها
وكلها موضوعات صالحة لأدب الأطفال
والشباب إذا أحسن تناولها ، وتعاونت الفنون
الجميلة المختلفة في تصويرها وعرضها وإخراجها .

وفي الناحية التالية يهمننا أن نوجه شطراً
من جهودنا في القراءة والدرس إلى آداب
بعض الأمم المتقدمة فنتابع تياراتها واتجاهاتها
ونتعرف إلى كبار صانعيها ونوسع ثقافتنا
أيضاً بها على أن نلمس مصادر للاستيحاء
والتجديد .

وهذا أمر تحتمه علينا صلاتنا المختلفة على
تلك الأمم وتأثرنا بها وتأثيرنا فيها . ونجاح

جهودنا في هذه الناحية يستلزم منا تعلم
بعض اللغات الأجنبية : والعناية بها في
مدارسنا ومعاهدنا ، والتعرف إلى الفنون
المستحدثة في آدابها ، وقد مر بنا شيء من
هذه التجربة في صبح نهضتنا الحديثة
وضحاها حين اتصل بعض كبار أدبائنا
ومفكرينا بالآداب الأخرى ، وحذقوا فنونها
المستحدثة وأضافوا بها جديداً إلى أدبنا العربي ،
ونحن نتذوق الآن القصص الروائي ونستمع
وننتج فيه ما يجد طريقه مترجماً إلى الآداب
الأخرى ، آخذاً مكانه بين منتجات أدبائها :

محمد خلف الله أحمد
عضو المجمع



اللغة الصامتة

للكيثر اسحاق موسى الحسيني

اصطلاح

القديم على تعريف اللغة

بأنها «أصوات يعبر بها

كل قوم عن أغراضهم» : ولكن المحدثين رأوا اللغة ثلاثة وجوه :

الأول : منطوق وسيلته الأصوات

Langage parlé

والثاني : مكتوب وسيلته الحروف

Langage écrit

والثالث : صامت وسيلته الإرشادات والرسوم

Langage des signes

لذلك جاء التعريف الحديث الواسع : «اللغة

هي الوسائل الرئيسية للاتصال بين الناس»

The chief mean of human communication

وموضوعي هو الوجه الثالث : واستثنى

لغة الصم والبكم والعمى لأنها لغة خاصة بطائفة

من الناس :

إن قصدي أن أسترعى النظر إلى الإرشادات

التي وردت في العربية قديماً وحديثاً عسى

أن نتمكن من جمعها وتبويبها : وبعضها عام

تشترك فيه جميع اللغات : وبعضها خاص

اصطلح عليه العرب قديماً وحديثاً :

وربما كانت هذه الإشارات قليلة أول

الأمر ثم زادت حتى أصبحت خليقة بالتلوين

ومثلها كمثل الرموز الكتابية - اختصار
الكلمات Abbreviations التي تحدثت عنها
في مؤتمر سابق واقترحت أن تثبت في
المعاجم الحديثة :

واستأذن أن أشير هنا إلى أن معجماً
كاملاً يقع في مائة وثلاث صفحات صدر
بالإنجليزية سنة ١٩٤٢ باسم معجم المختصرات :
Adictionary of Abbreviations by Eric
partridge, London 1942 .

إضافة إلى الصفحات التي تخصصها المعاجم
العربية للكلمات المختصرة :

- ٢ -

إن الإنسان يستعين بالإشارات مقترنة
بالأصوات حيناً ومستقلة عنها حيناً آخر
للتعبير عما في نفسه أو لتوكيد معنى معين :
وهي مسألة ترجع إلى مزاج المرء وحالته
النفسية :

وعرف عن الساميين - وربما المشارقة بعامة -
الإسراف في استعمال الإشارات : وأذكر
قصة سمعتها من أحد الأساتذة الغربيين
خلاصتها أن يهوديا في أمريكا أراد أن ينشئ
ابنه على تجنب الإشارات عند الكلام

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جاسة الخميس ٣ من جمادى
الأولى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٠ من مارس سنة ١٩٨٠ م) .

فأخذه إلى مدرسة غير طائفية ورجا مديرها أن يحقق رغبته . فوعده المدير بأن يمرن ابنه على تجنب الإشارات بصرامة وبعد أشهر ذهب الوالد إلى المدرسة ، وسأل المدير عما تم بأمر ابنه فأخذ المدير يحدثه وهو يسرف في استعمال الإشارات كما كان يفعل ابنه . وتحسر الرجل لأن ابنه غير المدير وزملاءه بدلا من أن يتغير هو .

— ٣ —

إن الإنسان يستعين في التعبير عما في نفسه بمعظم أعضاء جسمه : برأسه وعينه وشفتيه وأنفه ويديه وأصابعه ورجليه ، وإن كانت الأصابع أكثرها حركة .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن بعض الإشارات حركات غريزية . مثال ذلك : هز الرأس عموديا للدلالة على الموافقة . فهو شائع عند جميع الأمم البدائية والمتحضرة .

وربما كانت هذه الحركة مصدر الانحناء المعبر عن التحية أو القبول . ومثل هز الرأس أفقيا للدلالة على الرفض . وهي حركة ترجع إلى زمن الطفولة عندما يعبر الطفل عن عدم رغبته في الرضاعة . وقيل : إن إشارة الوالد إلى ولده بإصبعه بحركة أفقية للدلالة على المنع إنما هي تقليد لهز الرأس ومثل الابتسام للدلالة على الرضى وعقد الحاجبين للدلالة على الغضب .

وللعرب إشارات اصطلاحوا عليها : بعضها عام وبعضها خاص وسنورد بعض الأمثلة :

١ — ذكر القدامى عقد الحساب « فإنه اصطلاح للعرب تواضعوه ليستغنوا به عن التلفظ . وكان أكثر استعمالهم له عند المساومة في البيع ، فيضع أحدهما يده في يد الآخر فيفهمان المراد من غير تلفظ لقصد ستر ذلك عن غيرهما ممن يحضرهما . وقد أكثر الشعراء التشبيه بهذه العقود .

قال بعض الأدباء :

رُبَّ بَرَّغوثٍ لَيْلَةً بَسَتْ مِنْهُ
وَفَوَّادَى فِي قَبْضَةِ التَّسْعِينَ

أَسْرَتْهُ يَدُ الثَّلَاثِينَ حَتَّى
ذَاقَ طَعْمَ الْحَمَامِ فِي السَّبْعِينَ^(١)

وذكر الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء عقد التسعين فقال : « وصف رجل داراً ضيقة فقال : أضيق من عقد تسعين » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضُيِّقَتْ عليه جهنم وعقد تسعين » . ومعناه لم يكن له موضع فيها .

وشرح عقد التسعين « بأن يجعل المرء طَرَفَ السَّبَابَةِ اليمْنَى في أصلها ويضمها ضماً محكماً بحيث تنطوي عقداتها حتى تصير مثل الحية المطوقة » .

(١) فتح الباري ١٣ / ٩٦

قال الشاعر :

وشبهوا التسعين في انعقادها
كلفت الحية في رقادها
والفرق بين عقدتها والعشرة
بأنها مضمومة منحصرة

أما عقد الثلاثين فهو أن يضم طرف
الإبهام طرف السبابة مثل من يمسك شيئاً
لطيفاً كالإبرة .^١

وعقد السبعين أن يجعل طرف ظفر
الإبهام بين عقدتي السبابة من باطنها ويلوى
طرفي السبابة عليها مثل ناقد الدينار عند
النقد .

وقد أثبت فيشر Fischer : A في بحثه .

Beitrage zuni - verstandnis religioser
muslimischer Texte

وصف سائر العقود والأعداد (١) .

٢ - ويتصل بالإشارة إلى العدد ما رواه
سبط ابن الجوزي - (في مرآة الزمان) (٢)
قال : «حدثني رجل من أهل حران قال :
خرج نور الدين زنكي من حران يوماً
قاصداً إلى فاجتاز على النهر وفقير نائم هناك .
فوقف وسلم عليه الفقير فهز رأسه وقال
بيده هكذا ، معناه في أي شيء أنت ؟ فحرك
نور الدين إصبعاً واحدة فحرك الفقير
إصبعين . ومضى نور الدين باكياً . فقيل

له : ما هذا ؟ قال : أشار الفقير إلى وقال :
في أي شيء أنت من هذا كله ؟ لماذا ؟ فقلت :
من أجل رغيـف واحد : فأشار إلى
إصبعين فأنا آكل كل يوم رغيـفين وأنا
مثلك » .

٣ - ويبدو أن المسلمين اصطالحوا على
التسليم بالإشارة باليد : روى محي الدين
النووي في (كتاب الأذكار المنتخبة من
كلام سيد الأبرار) حديثاً عن الترمذي
مفاده أن الرسول عليه السلام قال :
«ليس منا من تشبه بغيرنا : لا تشبهوا
باليهود والنصارى . فإن تسليم اليهود بالإشارة
بالأصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالكف» .
وقيل إن إسناد الحديث ضعيف :

وروى في حديث آخر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم - مر في المسجد يوماً
وعصبة من النساء قعود فأشار بيده بالتسليم :
وقيل عن هذا الحديث إنه حسن :

٤ - وورد في كتب التاريخ « رفع
فلان يديه مبسوطتين » أي مستنجداً بالله :
٥ - وورد « وكسر عينه وقال له إيه »
« أي أنذره أو هدهه » :

٦ - وورد في المحيط « كسر من طرفه »
أي غطى :

٧ - وورد فيه « كشّر عن أسنانه » أبدأها .
يكون في الضحك وغيره . والاسم الكشرة :

(١) Leipzig 1932 وأنا مدين للعلامة الأستاذ قسطنطين الحصول على هذا البحث باللغة الألمانية (٣) ٨ - ٣٤٥ .

٨- وورد فيه : « صَعَّرْ خَدَهُ وَأَصْعَرَهُ
أَمَالَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى النَّاسِ تَهَاوُنًا مِنْ كِبَرٍ » .

٩- وزم بأنفه شمع وتكبر :

١٠- وقالوا : « أدخل فلان إصبعه في
شِدْقِهِ وَصَوْتٍ » أى أراد الإنكار : وهى
شائعة عندنا :

١١- وورد في كتب الأدب أن العرب
اصطلحوا على أن يقبل الكبير الصغير في
في جبينه وأن يقبل الصغير يد الكبير :
وشاهدت في المملكة العربية السعودية
شيوخ القبائل يقبلون أنف (خشم) الأمير .

١٢- وكان مسح اللحي عند العرب
قديماً علامة الصلح . قال الشاعر :
عقوا بسهم ثم قالو صلحوا
ياليتنى في القوم إذ مسحوا اللحي

(والعقيقة ضرب السهم نحو السماء فإن
رجع ملطخاً بالدم طلبوا . وإن رجع نقياً
مسحوا اللحي للدلالة على المصالحة) :

١٣- وعند بعض القبائل العربية إذا
وضع الرجل العقال في رقبتة دل على
اعترافه بذنبه :

١٤- وإذا امتنع الرجل عن شرب
القهوة دل على التماسه العفو :

١٥- وذكر المؤرخ عارف العارف
في كتابه (القضاء بين البدو) أنه عند التقاضى
يرسم المدعى على الأرض خطوطاً تؤلف

دائرة - يدخلها المدعى عليه فيها ويقسم
اليمين :

١٦- وذكر أنه إذا هز البدوى رأسه
لآخر دل على التهديد :

١٧- وإذا وضع البدوى العباءة على
رأسه وهو في بيت القتل دل على الندم :

١٨- وإذا وضع البدوى العقال في رقبة
رجل دل على طلب حمايته :

١٩- وأذكر حالة طريفة وقعت لى
وأنا في ضيافة قبيلة عربية تنزل قرب الزفة
فقد ألقى شيخها على عباة مساء فظننت
أنه أراد أن يخصنى بالتكرم : ولكن أحداً
أفهنى أنه يريد مصاهرتى :

٢٠- وإذا أخرج الرجل لسانه دل على
الاستهزاء :

٢١- وإذا وضع إصبعه بين فكليه دل على
الندم :

٢٢- وقبض عضلات الأنف يدل على
الاشمئزاز .

٢٣- وحك الأنف بالسبابة يدل على
الكيد :

٢٤- ورفع الكف دعوة إلى السكوت :

٢٥- وضرب القدم بالأرض يعنى التهديد .

٢٦- وضرب كف بكف يعنى التحسر :

٢٧ - وهز الكتف يدل على عدم المبالاة؛

هذه أمثلة سقتها للدلالة على وجود

لغة صامتة ، بعضها عام وبعضها خاص

اجتزىء بها خشية الإملال ، وأعتقد أن

الشعوب العربية في الجزيرة العربية وشمال

أفريقيا لها لغات صامتة خليقة بالجمع

والتلوين :

رأضيف - من باب الطرافة - أنى وقفت

على كتيب بالإنجليزية عنوانه :

The picture speech for all nations in
every country London 1947.

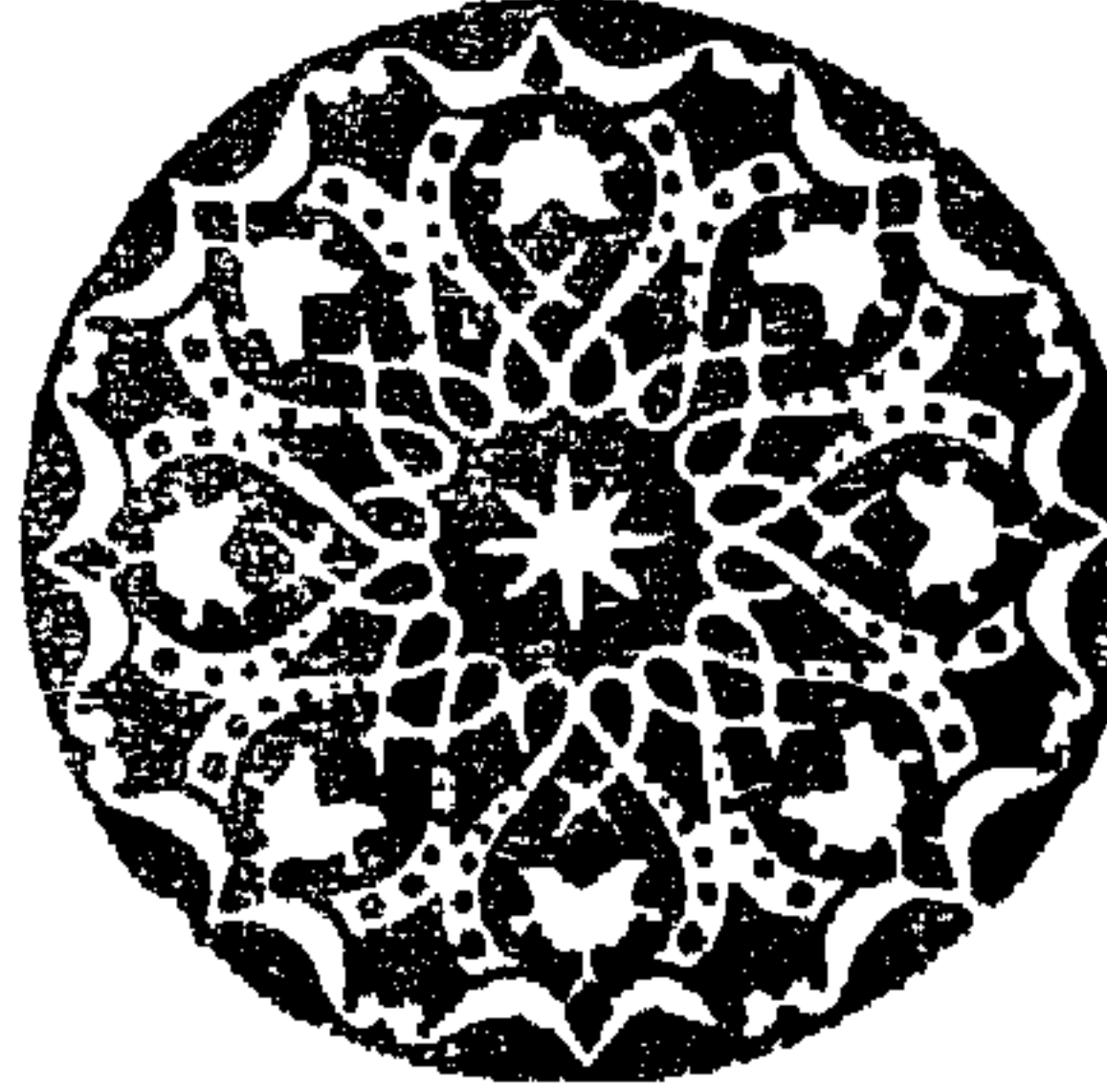
أى لغة الصور لجميع الأمم في كل بلد.

وهو دليل على أن الصور جزء من

اللغة أيضا.

اسحاق موسى الحسيني

عضو المجمع من الأردن



« مَرْضِعَةٌ » وَ « مُنْفِطِرٌ » فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دُرِّسَازُ عَلِي النُّجْدِي نَاصِف

مَدِينَة

القول في هذا الحديث
 على كلمتي « مرضعة »

« ومنفطر » ، وكلاهما في سورة غير
 سورة الأخرى ، وبين السورتين جمع
 كبير من السور ، وإن الكلمتين - مع
 ذلك لتتقيان في مقام واحد ، لتشاركا
 في تصوير مشهد من مشاهد الفزع الأكبر
 يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .
 وتلتقيان مرة أخرى ، فتطلب كلاهما
 في موقعها فضل تفسير وبيان

فأما « مرضعة » فمذكورة في سورة
 الحج ، إذا يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ
 السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
 حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
 بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ^(١) ..

و « مرضعة » كلمة تستعمل على
 وجهين : وجه تكون فيه بالتاء كالتى في
 الآية الأولى ، ووجه تكون فيه بخالية من
 التاء ، فتكون بلفظ مرضع . ولكل من
 الوجهين مقام يقال فيه ، فهى بالتاء لمن
 تكون في حالة إرضاع ويراد وصفها به ،
 أى وطفلها بين يديها ، وثديها في فمه .
 وهى بغير التاء لمن تكون ذات إرضاع ،
 أى لمن يكون من شأنها أن ترضع . وإن لم
 تباشر الإرضاع حين وصفها به ^(٢) ، فالفيصل
 في الاستعمالين هو حال المرأة التى يراد
 وصفها بالإرضاع .

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جلسة الخميس ٣ من جمادى
 الأولى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٠ من مارس سنة ١٩٨٠ م) .

(١) سورة الحج ٢٠ ١ ٣

(٢) الكشاف ٢/٣ ٥٦٣

وما أحسب قارئاً يقرأ الآيتين ، ثم تراوده نفسه أن يجيل النظر فيهما ، يريد أن يتفههما ويكشف عن أسرارهما ألا يقف أطول ما يقف على كلمة «مرضعة» يسأل : ما بالها قد استقرت هنا بدلا من الموضع ، مع أن الموضع أكثر منها في الكلام تداولاً ، وأسبق إلى الخاطر تمثلاً ، فالمرأة مرضع في كل حال من أحوالها إلا حال الإرضاع فهي فيها مرضعة ، ثم إن المرضعة من الأوصاف التي تختص بها الأنثى ، مثلها كمثمل حامل وكاعب ، فما حاجتها ، إلى التاء حين الوصف بها ؟ فهي إنما يؤتى بها للتفرقة بين المذكر والمؤنث في الأوصاف المشتركة بينهما .

ثم إن المقام أولاً وأخيراً مقام رعب وفزع ، لا مقام طمأنينة وقرار ، فأين المرضعة منه ، وأين هو من المرضعة ؟ .

أشتات من المشكلات تثير التساؤل ، وتؤكد أن المرضعة لم تذكر في هذا الموضع بلفظها المؤنث عفواً ، ولكن لِسَرٍّ مكنون ، يجعلها أحق به من الموضع ، فما عسى أن يكون هذا السر ؟ .

لنرجع إذن إلى الآيتين ، ولننظر عم تتحدثان ؟ وأى الأحداث تصفان ؟

إنهما تتحدثان عن يوم الساعة ، ووصفان حدثاً جليلاً من أحداثه ، له في الناس آثار شداد ، تختلف باختلاف طوائفهم والأحوال التي يكونون عليها . فأمّا الحدث فزلزلة عاتية ، ترجف الأرض منها والجبال ، ويغشى الناس منها غاشية طاغية تذهل منها المرضعة عن رضيعها ، فما تدري من أمره شيئاً ، ولا تملك له نفعاً ، ولا يمسكها عليه رحمتها به ، وحنوها عليه ، وإنه لبين يديها ، تضمه إلى صدرها ، وتلقمه ثديها . لقد عطلت أمومتها وذهب عنها أنبل عواطفها شرفاً ، وأجلها قدراً ، وأحمدتها في الحياة أثراً .

وتهز الزلزلة بنية الحامل هزاً عنيفاً ، يوهن من تماسكها ، ويقذف بالجنين فيسقط منها لغير تمام ، لا يمنعه أن كان منها بحرز حريز ، وقرار مكين . أما سائر الناس فيصيبهم من هول الزلزلة ما يصيبهم من خلل وارتكاس ، وهام أولاء يتهافتون إعياءً وضعفاً ، ويتخبطون ذهولاً ، وهلعاً . اختلت موازينهم ، وفستت تصوراتهم ، فما يصدرون عن وعى فيما يلفظون من قول ، وما يبدون من حراك .

(المرضعة) إذن أولى بالمقام من الموضع ،
 إنه لها أطلب ، وهي له أوجب ، وبه أشبه ،
 لأنها تُكسب الصورة مزيداً من الوضوح ،
 وتملأها بفيض من القوة وشدة التأثير ،
 لأنها تمثل ذهول الأم في أبليغ صورته ،
 وأعنف شدته . ولوحلت المرضع محلها
 لكان ذهولها أقل دلالة على استفحال
 الخطب ، وهول المشهد . لأنها حينئذ
 خلية لا تمارس الرضاعة ، ولا يكون
 الطفل منها بمكان ، وإنما هي وحيدة
 مفردة لا يعينها غير نفسها ، فما تحسر
 إلا بها ، ولا تذهل إلا عنها .

وأما « منفر » فمذكورة في سورة
 المزمل إذ يقول الله تعالى : « فَكَيْفَ
 نَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ
 شِيبًا ، السَّمَاءَ مَنفُطِرًا بِهِ ، كَانَتْ وَعْدُهُ
 مَفْعُولًا » (١)

ومدار القول في هاتين الآيتين قوله
 تعالى : (السماء منفطر به) ، (فالسما)
 مفرد مؤنث ، وهو مبتدأ . و (منفر)
 مفرد مذكر ، وهو خبر المبتدأ ، فلم يطابق

(١) سورة المزمل ١٧ ، ١٨

(٢) تفسير القرطبي : ١٩ : ٥١

(٣) الكتاب : ١ : ٣٤

الخبر مبتدأه في الثانیث ، وثانیثه في
 مثل هذا الأسلوب واجب .

وقد نظر العلماء في هذا الخلاف ،
 ارا التمس كل له وجها يجعل بينه وبين
 أصول العربية نسباً ، ويُحلّه منها محلاً .
 فقال أبو عمرو بن العلاء : « لم يقل
 منطرة لأن مجازها السقف ، تقول :
 هذا سماء البيت » (٢) يريد أبو عمرو أن
 السماء هنا ملحوظ فيها السقف وهيئته ،
 ذهببت بها الآية إليه إذ كان السقف بعض
 ما تدل عليه السماء .

وقال الخليل : إن « السماء منفر به »
 كقولك : « مُعْضِلٌ » للقطاة ، وقولك :
 « مرضع » للتي بها الرضاع . وأما
 المنطرة فيجئ على العمل ، كقولك :
 منشقة ، وكقولك : « مرضعة » للتي
 ترضع (٣) . يريد الخليل أن « منفر » في
 الآيتين وصف قائم بالسماء على سبيل
 الثبات والاستقرار ، لا علاجاً به ،
 وإحداثاً له ، فهي كالمرضع لذات الإرضاع

وقال الفراء: السماء تُذكر وتؤنث، فهي

هنا في وجهة التذكير. قال الشاعر:

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْماً

لَحَقْنَا بِالنَّجُومِ مَعَ السَّمَاءِ^(١)

ويحكى المبرد أن من النحويين من

يقول: «السماء هاهنا جمع سماوة كما

تقول في صلابية^(٢) وعلاوة^(٣) وهراوة^(٤):

صَلَاءٌ، وَهَرَاءٌ. واحتجوا بقوله - عز وجل -:

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ)^(٥).

وإذا كنت أوردت رأى بني عمرو

أولاً لأنه أسبق زمنياً - فسيكون التعليق

عليه آخرًا، لأنه - فيما أرى - أحق أن

يؤخذ به، ويعول في القضية عليه، بعد

شي من التعديل يسير.

أما الخليل فعنده أن معنى (السماء

منفطر) ثبوت الانفطار لها، واتصافها

به، لا أنه فعل تعرضت له،

وعولجت به، فانفرج جانبها، وباعد

الشق ما بينهما. ولو أريد بمنفطر معنى

الوقوع الانفطار وعمله لكانت منفطرة،

ويضرب مثلاً لها قولهم: قطاة معضل،

أي يعسر خروج البيض منها. ونحن

إذ ننظر في معنى كل من (منفطر)

ومعضل، ونقرن معنى كل منهما إلى معنى

الآخر نشعر بوضوح أن ثمة فرقاً

بينهما، لأن الإعضال ذاتي في القطاة،

وليس نازلاً بها، ولا هي منفعة به لحدث

طراً عليها.

وإذا كان انفطار السماء في الآية بلفظ

منفطر وصفاً ثابتاً لها، فجاز لذلك أن

يقرن إلى معضل^(٦)، وأن يجعلها سواء في

الحكم والتقدير - فقد ذكرنا بلفظ

الفعل في مواطن أخرى، منها قوله:

تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)^(٦).

(١) معاني القرآن: ٣ : ٩٩

(٢) الصلابية: مدق الطيب

(٣) العلاوة: هي من كل شيء: ما يزيد عليه

(٤) الهراوة: العصا

(٥) المذكر والمؤنث: ١٢٢

(٦) سورة الانفطار: ١

وقوله : (إذا السماء انشقت)^(١) . وقوله :
(ويوم تشقق السماء بالغمام)^(٢) .
والأفعال الثلاثة من قبيل الأفعال المطاوعة :
الأول للفعل فَطَرَ ، والثاني للفعل شَقَّ ،
والثالث للفعل شَقَّقَ .

والفعل المطاوع يدل على قبول الأشياء
له وتأثرها به ، فمعنى السماء منفطر ،
وانفطرت السماء من هذا القبيل ، ولا أدري
حينئذ كيف يمكن أن يكون منفطر كمعضل
ومرضع وأشباههما ؟ . ولو أن انفطار السماء
كإعضال القطاة مجرد وصف ثابت وأمر واقع
بغير علاج لم يكن شيئاً مذكوراً ولا
كان لذكره حكمة فليس فيه حينئذ دلالة
على قدرة الخالق سبحانه ، دلالة مشاركة
في تصوير مشاهد يوم الدين وما يكابد
الناس فيه من أهوال .

وأما أن السماء - فيما يقول الفراء -
تذكر وتؤنث - وأنها مذكورة في آيتها على
وجه التذكير ، فقول لا مَقْنَع فيه ،
ولا اطمئنان إليه ، ولكنه يزيدنا
استشرافاً للحقيقة ، وجداً في طلبها ،

لأنه ينقلنا إلى سؤال جديد . فالقرآن
الكريم يعامل السماء تسعاً وعشرين مرة
معاملة المؤنث ، إسناداً إليها ، ووصفاً
لها ، وإعادة للضمير عليها ، ولم
يستعملها مذكورة ولو مرة واحدة ، لانصافاً
ولاحتمالاً ، فما للقرآن لا يدع منهجه
في استعمالها إلا في هذه الآية خاصة :
وما كان القرآن ليصنع هذا الصنيع إلا لأمر
يراد .

سؤال لا يمكن الصبر عليه ، ولا إغفال
الإجابة عنه ، وليس في البيت الذي
يحتج الفراء به غناء ، ولا فيه شاهد ،
ولم ينسبه الفراء ولا القرطبي ، وهو
مهموز الروي في رواية الفراء وبأثني
في رواية القرطبي ثم إن للشعر لغته
المتميزة ورخصه المعهودة ، وله من قبل
ومن بعد مآزقه الضيقة ، وضروراته
الملجئة ، لإقامة وزن أو إحكام قافية
وقد تُقبل نماذج من ذلك في الشعر ،
لكنها لا تُقبل في النشر ، فكيف هي في
القرآن الكريم ؟ ولو أن قائل هذا البيت

(١) سورة الانشقاق : ١

(٢) سورة الفرقان : ٢٥

استجاب في نظمه لداعية اللغة الفاشية بل الصحيحة ، ولم تدفعه إلى خلافها ضرورة ، فقال : فلو رُفعت السماء : إليها لاضطرب الوزن في موضعين ، ولو قال : فلو رفع «السماء» إليه لكان الاضطراب في موضع واحد ، فالاضطراب واقع لا محالة مع تأنيث السماء وتذكيرها .

أما الذين يقولون - فيما يروى عنهم المبرد - إن السماء جمع سماوة - فيريدون أن السماء ليست اسماً مفرداً ، ولكنها اسم جنس جمعي ، فلفظه مفرد ، ومعناه جمع لما لا يعقل ، فيجوز تذكيره للفظه ، وتأنيثه لمعناه ، مثله كمثل شجر في قوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَا تَكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَمَا تَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ، فَشاربون عليه من الحميم)^(١) .

والاستشهاد بالآية يقتضي أن يكون الضمير في سواهن عائداً على السماء ، جمعاً ومفرداً ، وأن تكون كلمة (سبع) بعدها حالا من هذا الضمير . وهو وجه كان يمكن الأخذ به ، وإنزال الآية على حكمه في الإعراب - لو كان له صدى من بعيد أو من قريب في القرآن الكريم ،

لكن القرآن لا يذكر سماوة أبداً ، ولا يعامل السماء بغير ما يعامل به كل مفرد مؤنث ، حين الإسناد إليها وإعادة الضمير عليها .

ودعوى أن السماء جمع سماوة يشوبها الضعف والاضطراب ، فالملحظ أن المبرد لم يسم الذين رواها عنهم ، وجاءت عبارة المصباح عنها هكذا : «وقال الفراء : التذكير قليل ، وهو على معنى السقف ، وكأنه جمع سماوة» . وقال الأزهري : «السماء عندهم مؤنثة لأنها جمع سماوة» . لهذا أرى أنها دعوى لا سند لها من اللغة وما هي إلا مجرد خيال من متخيل أو افتراض من مفترض .

أما الوجه الذي نرتضيه وندعو إليه ، لأنه يمت إلى العربية بعرق أصيل فهو أن يُجعل مرجع ضمير (سواهن) لفظ (سبع) بعده ، جيء به بدلاً منه ، ليوضح إبهامه ، ويدل على أنه هو وحده المراد بالتسوية ، وما الضمير قبله إلا مجهوله ، الأخذ به إلى مناط الحكم الذي بنى عليه الأسلوب ، ولا يمنع من أصالته واستقامة نهجه أن يكون الضمير سابقاً البديل لاحقاً ،

(١) سورة الواقعة : ٥١ : ٥٥

فمن سنن العربية أن يعود الضمير على
البدل وإنه لتأخر لفظاً ورتبة . ومنه في
الأثر : « اللهم صلى عليه الرؤوف الرحيم » ،
وفي شعر المتنبى :

أعيسلها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
نعود الآن إلى قول أبي عمرو : إن
« السماء » إنما ذكرت لأن مجازها السقف ،
تقول : هذا سماء البيت . فنقول : إن
السماء على شبه من السقف لأنها مثله
تعلو وتظل ، وفي اللغة متسع للملاحظة المعنى ،
فكثيراً ما تؤثره العرب على اللفظ ، وتلقى
إليه زمام الكلام يصرفه إلى الوجه الذي
يلائمه ، وفي المقام وحسن الملازمة بين
الظاهر والباطن أمان من اللبس والتخليط .
فمذهب أبي عمرو في السماء هو المذهب ،
لكن حمل السماء على البناء أولى من حملها
على السقف ، لأنها لم تُحمل عليه حينما
ذكرت في القرآن الكريم إلا في قوله

تعالى : (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً)^(١)
على حين أنه يجعلها بناء ، ويعبر عن
خلقها بالفعل (بنى) ست مرات ، منها
قوله سبحانه : (الذي جعل لكم الأرض
فراشاً والسماء بناءً)^(٢) ، وقوله : (أنتم
أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها
فسواها)^(٣) ، ويجعل لها في موضعين اثنين
أبواباً تفتح . والأبواب - فيما يعهد الناس
- من خصائص البناء وما يلحق به ،
فقال جل ذكره : (إن الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم
أبواب السماء)^(٤) .

والبناء بعد أدل على إحكام الخلق
وقوة التماسك ، ويذكر القرآن - فيما
يذكر من أحوال السماء أنها خلقت بأيد ، وأنها
وثيقة الالتحام ، فيقول : (والسماء بنيناها
بسيّئد)^(٥) ، ويقول (أفلم ينظروا إلى
السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها
من فُروج)^(٦) .

(١) سورة الأنبياء : ٣٢

(٢) سورة البقرة : ٢٢

(٣) سورة النازعات : ٢٧

(٤) سورة الاعراف : ٤٠

(٥) سورة الذاريات : ٤٧

(٦) سورة ق : ٦

ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبِيَّةَ تُرْسِلُ الْبِنَاءَ مِثْلًا فِي قُوَّةِ التَّمَاسُكِ ، وَلِذَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ، كَأَنَّهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوصٌ)^(١) ، وَيَقُولُ الرَّسُولُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » . رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ^(٢) .

فَإِذَا ارْتَضَيْنَا أَنَّ يَكُونُ «الْبِنَاءُ» لَا السَّقْفُ هُوَ مَجَازُ السَّمَاءِ ، كَانَ فِي كَلِمَةِ (مَنْفَطَر) عَلَى خِلَافِهَا لِكَلِمَةِ السَّمَاءِ إِشَارَةٌ

إِلَى الْبِنَاءِ ، وَدَعْوَةٌ إِلَى اسْتِحْضَارِهِ ، وَأَنَّهُ مَلْحُوظٌ فِيهِ مَعْنَى ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ لَفْظًا . وَهُوَ بِذَلِكَ أَحَقُّ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغُ تَأْثِيرًا ، وَأَهْوَلُ تَصْوِيرًا لِأَحْدَاثِ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ . فَتَنْشَقُّ السَّمَاءُ طَوْعًا لِإِرَادَتِهِ ، سَبِّحَانَهُ ، لَا يَغْنَى عَنْهَا أَنَّهَا وَثِيقَةُ الْبِنْيَةِ ، وَأَنَّهَا خُلِقَتْ بِأَيْدٍ ، وَلَيْسَ فِيهَا فَطُورٌ ، فَالْأَمْرُ هُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَهُوَ - سَبِّحَانَهُ - إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ .

على النجدي ناصف
عضو المجمع



(١) سورة الصف : ١٤

(٢) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح : ٢ : ١٤١

من كناسة النّوادر

- ٢ -

لرؤساء عبد السلام هارون

رُجِعَتْ

إلى كناشتي التي سجلت
بها نوادر رعوس المسائل

لأصل يحوث اليوم ببحوث الأمس، حين
تقبل مؤتمر العام الماضي كلمتي المتواضعة
بما عدته قبولاً حسناً .

وهذه سلسلة أخرى مما عن لي في أثناء

التقليب :

ظواهر خضارية :

من مظاهر تشجيع طلبية العلم ، ما يروى
عن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن
العادل بن أيوب ، صاحب دمشق .

قال ابن خلكان : وكان المعظم يحب
الأدب كثيراً ، ومدحه جماعة من الشعراء
فأحسنوا في مدحه ، وكانت له رغبة في فن
الأدب ، كان قد شرط لكل من يحفظ
المفصل للزخشرى مائة دينار وخلعة ،
فحفظه لهذا السبب جماعة . ورأيت بعضهم
بدمشق ، والناس يقولون : إنه كان سبب
حفظهم له هذا :

يقول ابن خلكان : « ولم أسمع بمثل
هذه المنقبة لغيره » : فهكذا كانت عناية
الناس بعلوم العربية .

ومن طريف ما يروى عن يحيى بن خالد
البرمكي ، أنه كان يعقد امتحاناً للشعراء
ليرتب لهم الجوائز حسب إتقانهم ،
وجودة أشعارهم : وجعل ذلك إلى أبن
بن عبد الحميد اللاحق :

ويروى أبو الفرج (في الأغاني
٧١:٢٠) أن أبناً بهذا جعل أبا نواس
في مرتبة لم يرض عنها أبو نواس ، فهجاه
بأبيات يقول فيها :

جالست يوماً أبناً
لأدرّ درّ أبن

حتى إذا ماصلاً
الأولى دنت لأوان

فقسام ثم بها ذو
فصاحة وسان

فكل ما قال قلنا
إلى انتهاء الأذان

(*) انظر التقييمات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جلسة السبت) (العلنية)

٥ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ من مارس سنة ١٩٨٠ م .

فقال : كيف شهدتم

بلدا بغير بيان
لأشهد الدهر حتى

تعاين العيشان
فقلت : سبحان ربى

فقال : سبحان ماى

وكان أبان هذا ممن يرمى بالزندقة :

الارشاد الصحى :

فى عصرنا هذا تظهر الجهود المكثفة لمحاربة التدخين ، وتتعاون وسائل الإعلام فى الدعوة إلى محاربته : وقد قام أسلافنا العلماء من قديم بالدعوة إلى وأده فى مهده : وفى ذلك يقول محمد بن عبد المعطى الإسحاق المتوفى سنة ١٠٦٣ فى كتابه (أخبار الأول ، فىمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ص ١٦٦) وهو يذكر على باشا الوالى التركى من قبل الدولة العثمانية سنة ١٠١٠ ، يقول : « وفى زمنه ظهر الدخان المضر بالأبدان ، اليابس الطباع ، الذى لا شىء فيه من الانتفاع ، المبطل لحركة الجماع ، المسود للأسنان ، المهرب ملائكة الرحمن : بل ذكر أكثر من أكثر منه أن عاقبته وخيمة ، ومداومة شربة ذميمة ، يورث النتن فى الفم والمعدة ، ويظلم البصر ، ويطلع بخاره على الأفئدة . ومن زعم أن شربه محرق للبلغم ، فقد أخطأ فيما زعم ، بل ذم » إلى آخر ما قال فى أسجاعه :

الجراحة الدقيقة :

ونستطيع أن نسميها « جراحة التجميل » وقد عرفها العرب قديما وبرعوا فيها :

يقول الجاحظ (الحيوان ٢ : ١٤) :
رأيت كلبا مرة فى الحى ونحن فى الكتاب
فعرض له صبي يسمى مهديا من أولاد
القصابين ، وهو قائم بمحولوجه ، فعض
وجهه فتقع ثنيته دون موضع الجفن من
عينه اليسرى ، فخرق اللحم الذى دون
العظم إلى شطر خده ، فرمى به ملقيا على
وجهه وجانب شذقه ، وترك مقلته صحيحة
وخرج منه من الدم ماظننت أنه لا يعيش
معه ، وبقي الغلام مبهوتا قائما لا ينبس ،
وأسكنه الفزع ، وبقي طائر القلب :
ثم خيط ذلك الموضع ، ورأيت بعد شهر
وقد عاد إلى الكتاب وليس فى وجهه من
الشتر إلا موضع الخيط الذى قد خيط :

ويذكر الجاحظ أيضا فى الحيوان (٩٥ : ٤) تجربة فى جراحة العظام عرفها
الناس فى زمانه إذ يقول : « وإذا نقص من
الإنسان عظم واحتيج إلى صلته فى بعض
الأمراض لم يلتحم به إلا عظم الخنزير » :

ومع سداجة هذا القول ، لما نعرفه
اليوم من التحام عظم الإنسان بعظمة المأخوذ
منه نفسه ، أو من إنسان آخر . إن هذا القول
يصح أن يكون موضع تجربة فى عصرنا
هذا :

ولست نجاسة الخنزير بممانعة من استعمال أعضائه لضرورة العلاج ، فقد أجاز الفقهاء خرز القرب والأسقية بشعر الخنزير لماله من مزية واضحة . وفي المغني لابن قدامة المقدسي (٨٢ : ١) « رخص فيه الحسن ، ومالك ، والأوزاعي ، وأبو حنيفة ، لأن الحاجة تدعو إليه » .

والخنزير نجس العين في جميع الأديان كما في سفر اللاويين ١١ : ٧ والثنية ٨ : ١٥ وإشعيا ٦٥ : ٤ وإنجيل متى ٦ : ٧ و٨ : ٣٢ ومرقس ٥ : ١٣ ولوقا ٨ : ٣٣ وكما هو في الشريعة الإسلامية بإجماع فقهاءها استناداً إلى نصوص القرآن والحديث .

وقد وجدت القول بنجاسته تمتد جذوره إلى عقيدة قدماء المصريين فيما قبل سنة ٤٤٤ قبل الميلاد ، إذ يروى لنا المؤرخ اليوناني هيرودوتس الملقب ببأبي التاريخ ، في كتابه المترجم بقلم حبيب بسترس (ص ١٣١) مانصه :

والمصريون يحسبون الخنزير نجساً - أي يعدونه - فإذا اتفق لأحد أن يمس خنزيراً ولو ماراً به يبادر حالاً إلى التهر ويطرح نفسه وثيابه ويغتسل : ولذلك لا يسمح لرعاة الخنازير ، وإن كانوا مصريين ، أن يدخلوا الهياكل ، ولا أحد يزوجهم ابنته ولا يتزوج منهم ، بل يتزوجون بعضهم من بعض . ولا يؤذن للمصريين أن يذبحوا الخنازير إلا للقمر وباخوس ، وذلك في وقت

واحد ، أعني في يوم مخصوص من السنة يكون القمر فيه بدراً ، وحينئذ يأكلون من لحمه » .

ثم يقول متسائلاً : ولكن لماذا يكره المصريون الخنازير في سائر الأعياد ويذبحونه في العيد المذكور فقط ؟ يحتجون في ذلك حجة لا يناسب أن أوردها وإن كنت لأجهلها :

قلت : وأنا أقتدى بقوله أيضاً ، فلا يناسب أن أوردها وإن كنت لأجهلها : وهي مسطورة في حواشي المترجم لكتاب هيرودوتس :

الاحصاء المني :

من مظاهر الحضارة الرشيدة العناية بالأرقام في مختلف الزوايا ، ولا يستتب نظام أو حكم دون أن يعتمد على الأرقام في تنظيم شئون الدول :

وقد عثرت على نص في رسائل الجاحظ (١٢٣ : ٤) يذكر فيه أن آل أبي طالب أحصوا منذ أعوام وحصلوا ، فكانوا قريباً من ألفين وثلاثمائة ، ثم لا يزيد عدد نسائهم على رجالهم إلا دون العشر . وهذا عجب :

يشير الجاحظ بهذا إلى فضيلة نخص بها الطالبيون ، وهي فضيلة الإذكار ، أي إنجاب الذكور بكثرة ، مع أن المؤلف في النسل في عالم الإنسان وعالم الحيوان والنبات أن يزيد عدد الإناث على عدد الذكور

زيادة كبيرة . حكمة بالغة من الخالق جل وعلا ، للحفاظ على بقاء النوع .

ثم يذكر لنا الجاحظ صورة من طرق الإحصاء الدقيق فيقول :

وإن كنت تريد أن تتعرف فضل البنات على البنين . وفضل إناث الحيوانات على ذكورها . فابدأ فخذ أربعين ذراعاً من عن يمينك ، وأربعين ذراعاً من عن يسارك وأربعين خلفك وأربعين أمامك ، ثم عد الرجال والنساء حتى تعرف ما قلنا . فتعلم أن الله تعالى لم يخلل للرجل الواحد من النساء أربعاً ثم أربعاً متى وقع بهن موت أو طلاق ثم كذلك للواحد ما بين الواحدة من الإماء إلى ما يشاء من العدد . مجموعات ومتمترقات إلا لحكمة ، وذلك لئلا يبقين إلا ذوات أزواج .

أليس هذا قمة من قسم وسائل الإحصاء ؟

استعمال الشوكة والسكين :

ومن المظاهر الحضارية مانظنه محمداً وهو قديم جداً ومن ذلك تناول الطعام بالشوكة والسكين

في كتاب (الرد على الشعوبية) لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ (في رسائل البلغاء ص ٣٧٠) وهو يوازن بين طريقتي تناول الطعام عند العرب والفرس ، نصاً يقول فيه وهو يعيب الفرس :

« وأما أكلهم بالبارجين والسكين ففسد للطعام ، ناقص للذته . والناس يعلمون ، إلا

من عاند منهم ، وقال بخلاف ما تعرفه نفسه أن أطيب المأكول ما باشرته كف آكله ، ولذلك خلقت الكف للبطش والتناول والتقذر من اليد المطهرة ضعف وعجب . وأولى بالتقذر من اليد : الريق والبلغم والنخاع الذي لا يسوغ الطعام إلا به . وكف الطباخ والخباز تباشره . والإنسان ربما كان منه أقل تقذراً وأشد أنساً .

تعليم الحيوان :

للكل حيوان مما خلق الله قدر من الذكاء قل ذلك أكثر ، حتى الحمار وهو مضرب المثل في الغباء ، أمكن للإنسان أن يلج به باب التعليم والتدريب .

ومما يروى عن القدماء في هذا المجال ، ما كان ممن يدعى : الأسود الكذاب العنسي أحد المتنبئين باليمن في صدر الإسلام ، وكان يلقب « ذا الحمار » . يقول المسعودي في التنبيه والإشراف ص ٢٤٠ : « كان له حمار قد راضه وعلمه ، فكان يقول له : اسجد ، فيسجد . ويقول له : اجث ، فيجثو . وغير ذلك من أمور كان يدعيها ، ومخاريق كان يأتي بها ، يجتذب بها قلوب المتبعيه .

المكاتبون :

ومن المظاهر الحضارية القديمة التي بادت أو أوشكت أن تبيد في عصرنا الحاضر : نظام الرقيق ، الذي كان لدولة الدنمرك فضل السبق إلى تشريع تحريمه سنة ١٧٩٢ ليكمل تمام تنفيذه في سنة ١٨٠٢ .

ومن المعروف في الشريعة الإسلامية أن وسائل التخليص من الرق ، هي : العتق والتدبير ، والمكاتبة . والتدبير : أن يقول المولى لعبده : أنت حر بعد موتى ، أو دبر موتى . فهذا هو العبد المدبر ، يعتق بعد وفاة سيده .

والمكاتبة : أن يشترط السيد على عبده أن يسعى ، ليقدم إليه قدرًا معينًا من المال أو من عروض التجارة ، إذا أداه إليه فك رقبتة وأمسى حرًا . ويكتبان بذلك عهدًا .

فمن النصوص الغريبة ما وجدته في كتاب المحبر لابن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ (ص ٣٤٠ - ٣٤٧) إذ يعرض صورة توحى بمبالغة هؤلاء السادة في إرهاب العبيد ، بتجصيل أموال طائلة منهم في مقابل عتقهم :

وكانت حدود المكاتبة ما بين عشرين ألف درهم إلى مائة ألف . ومن عجب أن معظم هذه الأموال كانت حصيلة جهد هؤلاء العبيد في التجارة وهي تجارة الرقيق ، وفي بيع المواشى من الإبل والبقر والغنم . وقد نبغ كثير من أبناء هؤلاء المكاتبين الموالى ، منهم الجعد بن قيس الهمداني ، والمهلب بن طلحة الكاتب ، ومحمد بن سيرين المحدث الفقيه ، وغيرهم كثير .

المولى من فوق :

وبمناسبة ذكر المكاتب والسيد ، نجد في بعض كتب التاريخ والأنساب قولهم : هو مولاة من فوق ، وهو مولاة من تحت ، فإذا يودى التعبير في كل منهما ؟

إن لفظ المولى من أصداد اللغة ، يقال للعبد : هو مولى من الموالى ، ويقال للسيد مولى أيضاً ، فمن أجل هذا الالتباس يلجأ بعض المؤرخين الذين يلتزمون الدقة ، إلى رفع هذا الالتباس الذي يعرض في بعض المواطن بقولهم : « مولى فلان من فوق » أى هو سيده ومالكه . كما يقولون : « مولى فلان من تحت » إذا كان المولى هو العبد والمملوك .

وتجد هذا الضوء في جمهرة ابن حزم ١٤٢ وما أثبت في حواشيها من تحقيق .

الفاظ حضارية

الموجه :

عرف العرب قديماً تلك الثياب ذات الوجهين : وجه يحمل لوناً خاصاً ، وخلفه وجه آخر يحمل لوناً ، وهو ما يطلق العامة عليه ألقاظاً دخيلة « دبل فاس » : أو : « دبل فيس » ، ولغتنا ذات الثراء المكنوز تسميه في كل يسر « الموجه » . جاء في اللسان (وجه ٤٥٦) : « وكساء موجه أى ذو وجهين » وكذلك في القاموس وغيره من المعاجم . وأجدر بنا أن نثد هذا اللفظ الدخيل ونستعلى عليه بلغتنا الفصيحة الكريمة .

الجملة :

لعل من المظاهر الحديثة التي قد نظن أنها محدثة ، لبس الشعر المستعار الذي نقلنا

استعماله حديثاً في الشرق من الفرنجة ، وهو ما تسميه اللغة الحديثة « الباروكة » ، وهي في الفرنسية Peruque وفي الإنجليزية wig : وإنما هذه بضاعتنا ردت إلينا . وكان من أسلافنا في عهد قديم جداً من يلبسها : وكانت تسمى بالعربية الفصيحة « الحمة » وهي ما يجب أن تصير إليه الكلمة في وقتنا الحاضر :

يروى أبو الفرج في الأغاني ١ : ٩٥ أن ابن سريج هو أول من ضرب بالعود في الغناء العربي في مكة ، وكان قد رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة بعد احتراقها وقد أعجب الناس بغنائهم فقال ابن سريج : أنا أضرب به على غنائه . فضرب به فكان أحذق الناس ،

الذي يعنينا فيما روى أبو الفرج هنا هو قوله : « أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدم سناطاً ، في عينيه قبل ، وأنه بلغ خمسا وثمانين سنة ، فصالح فكان يلبس حمة مركبة . وأصل الحمة مجتمع شعر الرأس ، وما سقط منه على المتكبين . وفي الحديث : لعن الله المحجمات من النساء ، وهن اللواتي يتخذن شعورهن حمة تشبه بالرجال .

لفظ الزوار واطلاقه على طلاب المعروف :

ومن مظاهر المروءة والنبيل عند البرامكة مارواه أبو الفرج في الأغاني ٣ : ٣٦ من قول العباس بن خالد بن برمك قال : كان الزوار يسمون من قديم الدهر إلى أيام خالد بن

برمك - يعنى والده - بالسؤال : جمع سائل ، فقال خالد : هذا والله اسم أستثقله لطلاب الخير ، وإلى لأرفع قدر الكريم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤمنين ؛ لأن فيهم الأشراف والأحرار ، وأبناء النعيم ، ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا ، ولكننا نسميهم الزوار : جمع زائر وكان بشار بن برد حاضراً ، فقال مرتجلاً بمدحه بذلك :

حذا خالد في فعله حذو برمك
فجسد له مستطرف وأصيل
وكان ذوو الآمال يدعون قبله
بلفظ على الإعدام فيه دليل
يسمون بالسؤال في كل موطن
وإن كان فيهم نابه وجليل
فسباهم الزوار ستر عليهم
فأستاره في المهتدين سدول
فأعطاه لكل بيت ألف درهم :

تاريخ الفاظ

العاصمة والعواصم :

درجنا على أن نسمى قاعدة القطر أو الإقليم عاصمة ، وكانت قديماً تسمى « القصبة ، والقاعدة ، والمدينة » ، على حين تذكر المعاجم المتداولة العواصم بأنها بلاد قصبتها أنطاكية كما في اللسان والقاموس ، وزاد صاحب القاموس أن العاصمة المدينة أيضاً : ويذكر ياقوت في معجم البلدان أن العواصم حصون موانع وولاية

مُحيط بها بين حلب وأنطاكية ، وقصبتها
أنطاكية ، وربما دخل في هذا ثغور
المصيصة وطرسوس .

وتاريخ هذه التسمية - أى العواصم
يرجع إلى عهد قديم هو بالتحديد سنة ١٧٠ هـ
يقول الطبري (٨: ٢٣٤) : وفيها - أى
في تلك السنة - عزل الرشيد الثغور كلها
عن الجزيرة وقنسرين ، وجعلها حيزاً
واحداً ، وسميت العواصم : وإذن فإطلاق
العاصمة على قصبة القطر أو قاعدته تسمية
حديثة جداً ، إذ لا تعرف المعاجم العواصم
إلا أنها أسماء بلاد معينة : وقد سجل المعجم
الوسيط هذه التسمية الحديثة : فقال إن
العاصمة المدينة ، وتطلق على قاعدة القطر
أو الإقليم .

النسبة إلى البلاد :

لم يكن العرب القدماء يعرفون نسبة
الرجال إلى البلاد ، إذ كانت حياة جمهورهم
بين الانتجاع والارتباد لا يقر لهم في ذلك
قرار : وإنما كانوا ينتمون إلى شيء ثابت
هو القبيلة : التي يقرون بها ، ويحتمون
بها ، ويخضعون لقوانينها . فالعربي قرشي ،
وتميمي ، وهذلي ، وسعدي ، وجهني ،
وبكري : وإذا عز عليه الانتماء إلى الفخذ
انتمى إلى البطن ثم إلى العمارة ، ثم إلى
الفصيلة ، ثم إلى القبيلة ، ثم إلى الشعب
الكبير : العدناني ، أو القحطاني ، أو
القضاعي ، على ما في القضاعي من خلاف .

ومن النادر جداً أن ينتمى العربي إلى
موطن معين : فمن هذه النوادر ما ذكر
في نسب الشاعر عارق الطائي ، واسمه
قيس بن جروة ، قالوا في نسبته : « الطائي
الأجني » : فاحتفظوا بنسبته الأصلية ،
وهي الطائي ، وأضافوا إلى نسبته « الأجني »
وهي نسبة إلى أجا : أحد جبلي ، طيئ
أجا وسلمي : الأغاني (١٩ : ١٢٧)
وفي الخزانة (٣ : ٣٣١) « ويقال لولده :
الأجنيون ، لأقامتهم بأجا : وعارق هذا :
شاعر جاهلي ، وكان يعاصره شاعر آخر هو
ابن عمه : وله هذه النسبة البلدانية أيضاً :
وهو ثرملة بن شعاث بن عبدكثري الأجني :
ذكره التبريزي في شرح الحماسة (٤ : ٢١)
بهذه النسبة ، وقد ذكره ابن دريد في
الاشتقاق ٢٩٣ بدون هذه النسبة البلدانية .

قاضي القضاة :

لقب يظهر في ثنايا التاريخ الإسلامي
حيناً ثم يختفي ثم يظهر : ويراد به القاضي
الأكبر ، أو شيخ القضاة ، أو وزير
العدل بالمفهوم المعاصر : ومن ألمع من حمل
هذا اللقب ابن دقيق العيد القشيري
المنقلاطي المالكي الشافعي ، واسمه محمد بن
علي بن وهب : ولد بينبع سنة ٦٢٥
وتوفي سنة ٧٠٢ (وفيات ٢ : ٤٨٤)
وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم
المعروف بابن جماعة المواد بحجة سنة
٦٣٩ والمتوفى سنة ٧٣٣ .

الإسلامي ، وكان ختام زواله في مصرنا
الرائدة العزيزة. والله الأمر من قبل ومن بعد.

سوريا :

من عجب أن نجد في معجم البلدان لياقوت
ما صورته : « سورية موضع بالشام بين
خناصرة وسلمية ، والعامة تسمية « سورية »
أى بالتشديد . هذا ما كان في القرن السابع
الهجري .

لكن العلامة الجغرافي المسعودي المتوفى
سنة ٣٤٥ أى في القرن الرابع الهجري يذكر
في التنبيه والإشراف ص ١٥٠ مانصه :
« والروم يسمون بلادهم أرمانيا ، ويسمون
البلاد التي سكانها المسلمون في هذا
الوقت من الشام والعراق : سوريا . والفرس إلى
هذا الوقت تقارب الروم في هذه التسمية ،
فيسمون العراق والجزيرة والشام سورستان ،
إضافة إلى السريانيين الذين هم الكلدانيون .
ويسمون - أى الكلدانيون - سريان
ولغتهم سورية ، وتسميهم العرب النبط » .

ونحو هذا في معجم البلدان في رسم
(سورستان) ، إذ يقول : « وقال أبو
الريحان : والسريانيون منسوبون إلى سورستان
وهي أرض العراق وبلاد الشام . غير أن هرقل
ملك الروم حين هرب من أنطاكية أيام
الفتوح إلى القسطنطينية التفت إلى الشام
وقال : عليك السلام ياسورية ، سلام
مودع لا يرجو أن يرجع إليها أبداً » .

ولعل أقرب سلسلة منه في بلدنا مصر
كانت في المناصب القضائية التي يوفد فيها
القضاة الكبار من مصر إلى القطر الشقيق السودان
وأول من ظفر بهذا المنصب الخطير في
السودان هو العلامة المغفور له الشيخ محمد
شاكر وذلك في سنة ١٨٩٩ ، وتلاه
والدى المغفور له الشيخ محمد هارون ، ثم
الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي ، ثم
الشيخ محمد أمين قراعة ، ثم الشيخ نعمان
الحارم ، ثم الشيخ حسن مأمون الذي كان
آخر قاضٍ للقضاة من مصر في السودان
إثر محاولة فصل السودان عن مصر في
سنة ١٩٤٢ :

وهذا اللقب القضائي قديم جداً يرجع
إلى سنة ١٦٦ من الهجرة ، وهي السنة التي
تولى فيها أبو يوسف القاضي أحد أصحابي
الإمام أبي حنيفة القضاء في بغداد ، إذ
ولاه موسى الهادي بن محمد المهدي القضاء ،
ثم هارون الرشيد بن محمد المهدي من بعده .

قال الخطيب البغدادي في كتابه « تاريخ
بغداد » (١٤ : ٢٤٠) : « وهو أول من
دعى بقاضى القضاة في الإسلام » .

وكذا أورد هذا الخبر الشيخ علاء
الدين على دده السكتواري في كتابه « محاضرة
الأوائل ومسامرة الأواخر » ص ٦٣ .

ولم أذكر هذه النبذة تنويها بأسماء من
ذكر فيها فيما قد يظن ، وإنما أثبتها توديعاً لهذا
اللقب العربي الذي زال من عالمنا العربي

يقول ياقوت: وهذا دليل على أن سوريا هي بلاد الشام .

ويقول صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧ إن سورية مضمومة مخففة اسم للشام . ويعقب عليه مرتضى الزبيدي المتوفى بعده بأربعة قرون سنة ١٢٠ ، بقوله « في القديم » ثم يقول : « والكلمة رومية » أى كما قال المسعودى من قبل .

وهكذا . لانجد في القديم إلا اضطرابا في دلالة هذه التسمية التي استقرت الآن في أحد أقاليم الشام بوضع جغرافى وسياسى معين ، بعد أن ظلت ردحا من الزمان كورة من كور الشام التي تشمل أجناد قنّسرين ودمشق ، والأردن ، وفلسطين ، وحمص ، بخلاف الثغور وهي : المصيصة ، وطرسوس وأذنة ، وأنطاكية ، وجميع العواصم . ثم صارت في التقسيم المعاصر إلى : لبنان وفلسطين وسوريا والأردن .

الزير :

كلمة عربية معناها الدن . والدن : وعاء كهيئة الحب ، إلا أنه أطول ، مستوى الصنعة ، في أسفله كهيئة قونس البيضة : أو الدن ، أصغر من الحب له عسعس ، فلا يقعد الا أن يحفر له .

ومادته يائية لا واوية . وأما قولهم : زير نساء فاشتقاقه من الزيارة ومادته واوية . يقال فلان زير نساء ، إذا كان يحب زيارتهن ومحادثتهن ومجالستهن . وقد

تقول العامة : « زير نساء » ، وهو خطأ واضح .

ومن طريف ما يروى عن قضاة الأندلس أنه كان منهم قاض اسمه « أبو الزير أحمد بن وهب » . قال الحشنى المتوفى سنة ٣٦١ فى كتابه (قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ص ٥١) : وكنى بأبى الزير لأنه عمل نبيذاً فى زير ، وأراد أن يذوقه ، ولم يجد آنية يدخلها فى الزير ، فأدخل رأسه فى الزير ثم لم يستطيع أن يخرجـه حتى كُسر الزير ، فكنى بأبى الزير .

القنديل :

قد نظنها كلمة حديثة ، ونسبناها حينئذ يقال فى معرض السباب أو السخرية بمن يجلب لنفسه سوءا ، أو لغيره سوء الحظ ، أو يأتى أمرامنا كرا . والكلمة مولدة قديمة التوليد ، مأخذها من القنديل وكانوا يقولون لمن يتعهد قناديل الزيت « مقنديل » :

ومن طريف الأخبار ما يرويه الخالديان توفى آخرهما سنة ٣٩٠ فى كتاب التحف والهدايا ١١٩ مما حدث به أبو بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٦ قال : اختصم رجلان إلى قاض وكان أحدهما أعد للقاضى هدية — فأراد القاضى أن يقضى عليه بحق وجب . فدنا منه — أى صاحب الهدية — فقال سرا إليه : قد أهديت إلى القاضى شبايط دجالية ، وفراريج كسكرية ، وجبنه دينورية ، وشهادة رومية . فقال القاضى : قم ! وصاح : هذا مما تسارنى به ؟ ! إذا كانت لك بينة بالرى

انتظرناها وأخرنا الحكم وأجملناك !
فقال الغريم في ذلك :

إذا ماصب في القنديل زيت
تحولت الحكومة للمقندل
وعند قضائنا حكم وعلم
وبذر حين ترشوهم بسبل

الشطرنج :

الشطرنج بدون هاء كلمة معربة تعريباً
قديم ، وإن لم يكن العرب في جاهليتهم
يعرفونها ، وإنما وفدت إليهم بعد اختلاط
العرب بالأعاجم من الفرس والهند : وهي
لعبة معروفة كانت ذات صور شتى في
القديم ، من حيث نظام رقعتها وعدد بيوتها
ومن حيث نوع القطع التي يلعب بها :
وعدها ، وأسمائها . وتذكر دائرة المعارف
الإسلامية أنها كانت معروفة عند قدماء اليونان ،
وانتقلت إلى أمم شتى : ويزعم العرب - على
حد قول الدائرة - أنهم أخذوها عن الهنود .
ويذكر التاريخ أن هارون الرشيد أهدى
إلى شارلمان فيا أهدى رقعة شطرنج .

ومن أسماء قطعه «الرخ» ، وأصله اسم
لطائر خرافي ، تم أطلق على القطعة التي
تسمى الآن «الطابية» أو «القلعة» . وفي اللسان
والقاموس أن الرخ من أداة الشطرنج يقول
عمر الخيام :

وإنما نحن رخاخ الفضاء
ينقلنا في اللوح أنى يشاء

وكل من يفرغ من دوره
يلقى به في مستقر الفداء

وفي الرخ أيضا يقول السرى الرفاء :
وفتية زهر الآداب بينهم
أبهى وأنضر من زهر الرياحين
راحوا إلى الراح مشى الرخ وانصرفوا
والراح يمشى بهم مشى البراذين

الذى أريد أن أضيفه أنى عثرت على
لفظ «الشطرنجة» مؤنثة في غير مادتها .
وهي مادة (كوب ٢٢٥) من اللسان ، وقد
ورد فيها : «والكوبة : الشطرنجة» :

وعلى ذلك يحسن أن تضاف هذه الكلمة
إلى المعاجم التي يصدرها مجمعنا الموقر .

بعض قضايا العربية

الامعة والطفيلي :

كان لظهور الإسلام تأثير سريع في
تطوير اللغة بما أضاف من اصطلاحات
دينية ، واجتماعية ، وسياسية . ومن باكورات
هذا التطوير كلمة «الامعة» وهو الرجل
الضعيف الرأى المتهافت ، الذى يقول لكل
أحد : أنا معك : ولم يكن العرب قبل
يعرفون الكلمة بهذا المعنى ، وإنما يعرفونها
بمعنى الرجل الذى يتبع الناس إلى موائد
الطعام من غير أن يدعى : ويروون في
ذلك عن عبد الله بن مسعود قوله : «كنا
في الجاهلية نعد الإمعة الذى يتبع الناس إلى
موائد الطعام من غير أن يدعى ، وإن الإمعة

فيكم اليوم المحقّب الناس دينه « أي الذي كأنه يضع دينه في حقيبة غيره ، فغيره هو الذي يوجهه في أمور دنياه . وتقلبات رأيه .

وتسمية من يتبع الناس إلى الطعام أقدم بلا ريب من تسمية « الطفيلي » لأن الإمّعة كلمة جاهلية ، يرادفها أيضا كلمة « الوارش » وهو الذي يدخل على القوم في طعام لم يدع إليه .

وأما الطفيلي فهي كلمة إسلامية بلا ريب ونسبتها إلى رجل كوفي من بني عبد الله بن غطفان ، كان يدعى طفيل الأعراس أو العرائس واسمه طفيل بن دلال ، كان يأتي الولاثم دون أن يدعى إليها وكان يقول : « لوددت أن الكوفة كلها بركة مصهرجة فلا ينحني على شيء منها » فكان العرب يقولون في أمثالهم :

« أوغل من طفيل » ، و« أطمع من طفيل »

التصغير على فاعيل :

أجمعت كتب النحو على أن صيغ التصغير في الأسماء المعربة منحصرة في صيغ ثلاث : فاعيل ، وفاعيل ، وفاعيل .

ويذكر ابن يعيش (٥ : ١٦) وتبعه كذلك الشيخ خالده ٩٠ في شرح التصريح أن هذه الأمثلة من وضع الخليل ، وأنه قيل له لم بنيت المصغر على هذه الأبنية ؟ فقال : لأنني وجدت معاملة الناس على فلس ، ودرهم ودينار :

وقد عثرت على صيغة رابعة نادرة ، هي صيغة فاعيل ، وهي الصيغة الأولى نفسها لكنها بكسر الفاء . جاء في الاشتقاق لابن دريد ١٩١ : « وشيم : تصغير أشيم وهو الذي له شامة في أي موضع من جسده والأنثى شياء » . ولم أجد هذا النص على هذه الصيغة في غير كتاب « الاشتقاق » . ويعززه ما جاء في المشتبه للذهبي ٣٩٢ من ضبطه بالكسر في موضعين ، وما جاء في القاموس (شيم) من قوله : « وشيم ويكسر : أبو عاصم الصحابي » . فهذا هذا :

نائب الفاعل :

قد يظن أن هذا المصطلح النحوي قديم أصيل ، وإنما هو مصطلح طارئ ابتدعه نحوي متأخر هو محمد بن عبد الله ابن عبد الله بن مالك صاحب الألفية ؛ أي في القرن السابع الهجري ، إذ كانت حياته بين سنتي ٦٠٠ ، ٦٧٢ :

قال أبو حيان : لم أر مثل هذه الترجمة إلا لابن مالك . وقال الشيخ الحضري في حاشية على الألفية : هذه الترجمة مصطلح المصنف ، وهي أولى وأخصر من قول الجمهور : المفعول الذي لم يسم فاعله ، لأنه لا يشمل غير المفعول مما ينوب ، كالظرف ولأنه - أي قول الجمهور - يشمل المفعول الثاني في نحو : أعطى زيد ديناراً .

فالتسمية القديمة إذن غير جامعة لأنها تخرج الظروف ، وغير مانعة لأنها تدخل المفعول الثاني :

ويقول ابن الطيب الفاسي المتوفى سنة ١١٧٠ في شرحه لاقتراح السيوطي المسمى «فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح» في الورقة ١٠٢ : « والتعبير بالنائب أحسن وأخضر ، كما قاله ابن هشام وغيره . وأول من عبر به الشيخ ابن مالك . وعبارة الأقدمين : المفعول الذي لم يسم فاعله . يشير بذلك إلى ما ورد في كتاب الإعراب عن الإعراب لابن هشام ص ١٤٧ .

وابن مالك هو أيضاً صاحب اصطلاح البدل المطابق ، لبدل الكل من الكل . وصاحب اصطلاح المعرف بأداة التعريف ، بدلا من المعرف بـأل أو باللام ، ليشمل المعرف بأم في لغة حمير .

المشالة :

يقولون في الضوابط اللغوية : الباء الموحدة ، التاء المثناة من فوق ، الياء المثناة من تحت . وكذلك يقولون : الحاء المهملة والحاء المعجمة . وهذا كله واضح الاشتقاق . ولعل أغرب تلك الضوابط قولهم : الظاء المشالة ، التي يقال لها أيضا : الظاء المعجمة . ولم أجد من علل هذه التسمية إلا الخفاجي في مقدمة شفاء الغليل ص ٧ إذ يقول : « وتسمى مشالة لرفع خطها بالالف فرقا بينها وبين الضاد ، من شال بمعنى ارتفع » . وفي همزية البوصيري :

وبهم فيخر كل من نطق الضا

د فقامت تغار منها الظاء

لأنه عند الغيرة يقوم الشخص : ولذلك يكنى عن الأمر العظيم بالمقيم المقعد . ولا بن نباتة من قصيدة نبوية :

سرى بي في حروف اللفظ سر

لمنطقه وللضاد اجتناء

ألم تر أنها جلست لفخر

وقامت غيرة للضاد ظاء

وهي من قولهم أشال الحجر ، وشال

به يشول ، إذا رفعه .

كتاب القوافي لسيبويه :

ليس إمام النحاة سيبويه بالنكرة ، وليست أخباره بخافية على الناس ، ولا تكاد تفتح كتابا في تراجم الأدباء أو العلماء حتى تظهر على ترجمة لسيبويه .

والمعروف أن له كتاباً واحداً ، هو الكتاب في علوم العربية ، الذي كان يقال له « قرآن النحو » .

وقد تناول القدماء والمحدثون ، ومنهم الأستاذ علي النجدي ترجمة سيبويه ودراسته ، ولم أجدهم ذكروا من آثاره غير هذا الكتاب .

ولكنني عثرت بأخرة على كتاب له آخر يسمى « كتاب القوافي » ولم أجد له ذكراً في كتيب المؤلفات كالفهرست لابن النديم و« كشف الظنون » لملا كاتب جلبي .

ووجدته في حاشية الدهمهورى على متن
الكافى لأحمد القنائى يقول عند الكلام على
الردف ص ٩٢ :

والردف واجب اتفاقاً حيث يلتقى ساكنان
آخر البيت كقوله :

أبلغ النعمان عنى ، ألكا
أنه قد طال حبسى وانتطارى

ليسهل الانتقال من أحد الساكنين إلى
الآخر بالمدة الذى هناك : وعلى قول الأكثر
حيث يستكمل البيت عدد أجزاء دائرته
وينقص من ضربه حرف متحرك أو زنته ،
أى حرف ساكن مع حركة ما قبله كما فى
القطع :

ثم يقول : وأجاز سيبويه فى كتاب
القوافى له استعمال مثل ذلك بغير ردف .
قال : لقيام الوزن بالحرف الصحيح .
وأشدد :

ولقد رحلت العيس ثم زجرتها
قدما وقلت عليك خير معه

ثم يسوق كلاماً يشرك فيه مع سيبويه
الجرى ، والفارسى ، والشلوين .

وقد رجعت إلى كتب القوافى التى نشرت
حديثاً كمختصر القوافى لابن جنى المتوفى
سنة ٣٩٢ ، والقوافى لأبى يعلى التنوخى المتوفى
قريباً من سنة ٤٨٨ ، والقوافى فى العروض

والقوافى للتبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ ، والعيون
الغامزة للدمامينى المتوفى ٨٢٧ ، بالإضافة إلى
العقد الفريد ، وفاة صاحبه ٣٢٨ فلم أجد
ذكراً لهذا الكتاب .

لكنى وجدت أبا يعلى التنوخى فى كتاب
القوافى يقول عند الكلام على الردف :
« وذكر سيبويه أن فتح ما قبل الواو والياء
لا يجوز » ثم يقول معترضاً على سيبويه :
« وقد استعملت الشعراء ذلك . ومما ورد
بالفتح أيضاً قول الشاعر :

لعمرك ما أخزى إذا ما سببتنى
إذا لم تقل بطلا على ومينا
ولكنما يخزى امرؤ تكلم استه
قنا قوميه إذا الرماح هويسنا

وقد ذكر ما ذهب إليه سيبويه أبو بكر
الحرّاز العروضى . ا هـ . فسيبويه فيما نقل
عنه هنا متشدد ، على حين نراه فى المسألة
الأولى على كثير من اليسر .

على أن ما نقل عنه فى المسألة الأولى نجد عكسه
فى كتابه ٤ : ٤٤١ فهو فيه يوجب حرف
الردف فى كل قافية محذوفة ، أى حذف منها
حرف متحرك ، وهو القطع الذى سبقت
الإشارة إليه . إلا أن يكون قد رجع عن
رأيه فى أحد الكتابين إلى رأى الآخر .
أيوه :

محاولة تأصيل الألفاظ العامية ، أى ردها
إلى أصولها العربية ، لها جذور قديمة .

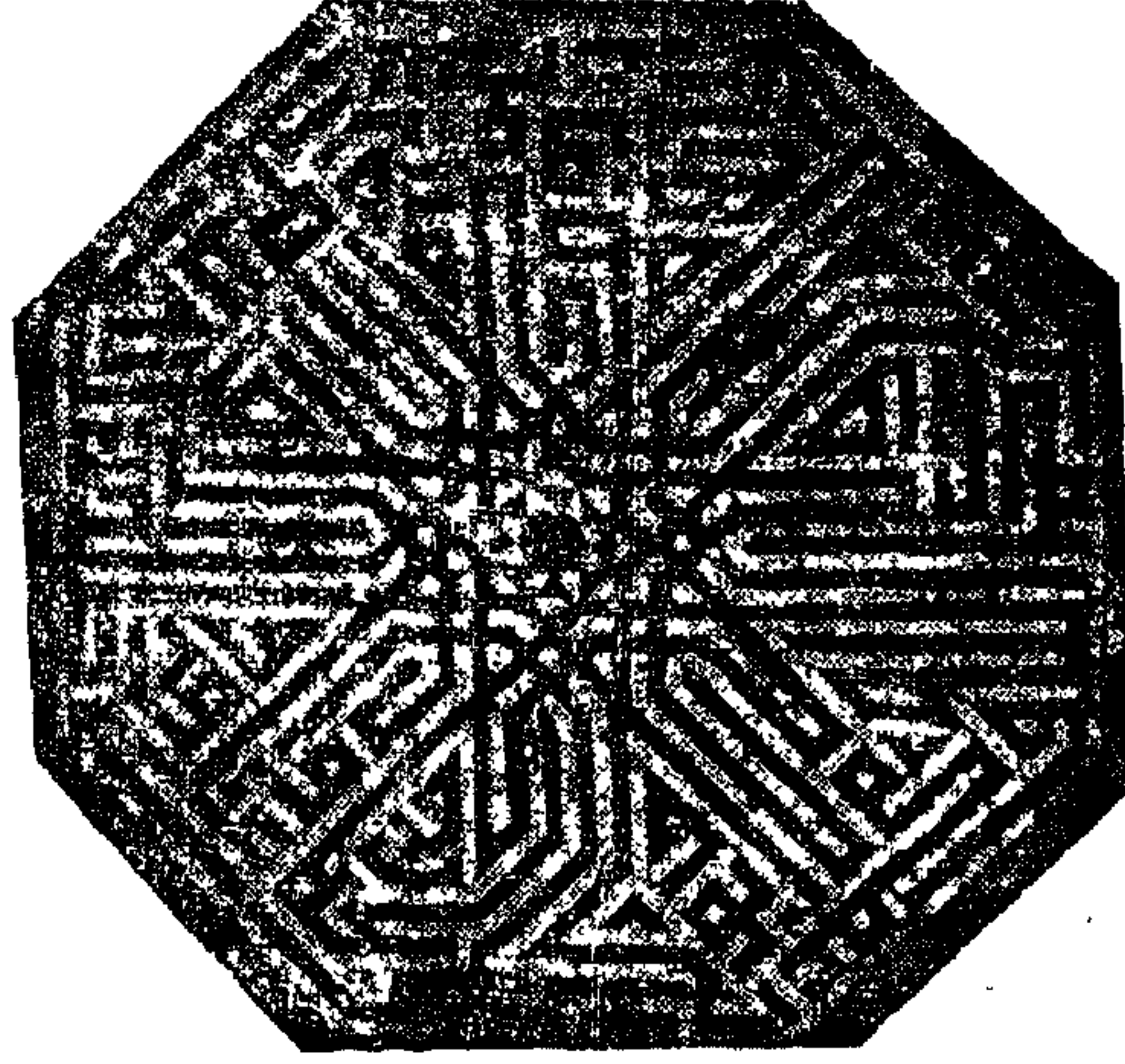
ولكن القدماء لم يروا إلى إحياء تلك الكلمات
المبتذلة أو الحث على استعمالها .

من نماذج هذا ما أورده الأمير في حاشيته
على المغنى ١ : ٧١ في الكلام على (إى)
التي هي حرف جواب بمعنى نعم ، وأنها بهذا
المعنى لا بد أن تكون متلوة بقسم ، إذ يقول
العرب : « إى والله » ، « إى وربى » ونحو
ذلك .

ثم يقول : « وعوام مصر يحذفون المقسم
به ويقتصرون على الواو » - أى يقولون : إى
و - وربما ألحقوها هاء السكت : إيوه . أو
فتحوا الهمزة : أيوه » :

فهذا منهج من يحترم لغته كما تحترم كل
شعوب الأرض لغاتها . وهذا هو مذهب
من يدفع عن لغة القرآن أرجاس الغزو
الشعوبى ، ومن ينفي عنها أضرار الذوق
السوقى :

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع



لغة المسرح

بين العامة والفصحى

للكنوز شوقي ضيف

- ١ -

اختلس من أيامه التي كان يقضيها في القاهرة بعض الوقت ليشاهد مسرح خيال الظل ، وأعجب بمآراه عليه من تمثيل ودُمى متحاوره . ويرقى ابنُ دانيال أكبرُ الخياليين في عصر الماليك بتمثيليات خيال الظل رقيّاً بعيداً إذ ألف له - كما ذكرنا في كتابنا : « الفكاهة في مصر » - ثلاث تمثيليات بدعية ، أولها وأهمها تمثيلية « طيف الخيال » وهي ملهامة هزلية تصور جوانب من الحياة الاجتماعية في عهد الظاهر بيبرس ، ونرى طيف الخيال في فواتحها يتعرّضُ أمر بيبرس المشهور بتحريم الغوايات وتشديده في أعقاب أصحاب الحانات ، ويتصور أن إبليس مات وانتهت غواياته ويرثيه رثاءً هزلياً مضحكاً ، واصفاً كيف كُسرت أواني الخمر ودنانه ، والخمارون يتباكون بدموع غزيرة . وتبدأ مشاهد الملهاة ، وهي تدور حول مشكلة الخاطبة في العصور الماضية وما كان يحدث عن طريقها من أغلاط في حقائق العروسين ، فالعريس يدعى أنه أمير من أمراء الموصل وحقيقته

كثيرون يظنون أنه لم يكن لمصر عهد بالمسرح وتمثيلياته قبل محاكاتها للمسرح الأوربي في النصف الثاني من القرن الماضي ، وهو ظن مخطئ ، إذ كان لديها من قديم مسرح خيال الظل ، وهو مسرح دُمى مُمتحركة متكلمة . وعرف العرب هذا المسرح في مطلع القرن الثالث الهجري إذ نجد فنّانا خيالياً يتوعد الشاعر الهجاء دعبلاً إن هو هجا أباه أن يتخذ أمه في الخيال سخرية يُضحك عليها الناس . وشاع الخيال في العالم العربي ، وعُنت به مصر زمن الدولة الفاطمية ، إذ كانت تكثر من الاحتفالات في الأعياد الإسلامية ، والمسيحية والمصرية القديمة ، ويقول المقرئ : « كان الناس يطوفون في تلك الأعياد بالخيال والتماثيل والسجاجات » . والتماثيل هي دُمى خيال الظل وأشباحه ، والسجاجات : شخوص كانوا يتراءون في صور منكورة مضحكة . ويقال إن صلاح الدين الأيوبي الذي كان في شُغل دائماً بحرب الصليبيين

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جاسة السبت « العلنية »

• من جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ من مارس سنة ١٩٨٠ م) .

أنه بائس فقير ، والعروس شمطاء قبيحة
منتهى القبح ، وتحدث في أثناء الزفاف
مفارقات مضحكة كثيرة يتخللها إنشاد
الشعر والغناء والرقص . وشخص الملهاة
في غاية الوضوح : ويطرد فيها تسلسل
منطقي محكم ، ويبتثها المصرية مصورة
تصويراً دقيقاً سواء في أحداثها السياسية
أو في علاقات الرجال بالنساء والشعب
بحكامه . وتمثيلية ابن دانيال الثانية بعنوان
«عجيب وغريب» وهي تصور سوقاً مصرية
يدخلها واحد بعد واحد ، وكل منهم يتحدث
فنضحك إذ يمثل في حديثه وعلى لسانه حرفته
التي يحترفها أو جاليتها التي ينتسب إليها والتي
هيبت القاهرة حديثاً . ونراهم وقد جمعت
ألسنتهم عند صور معينة من الكلام .
والتمثيلية الثالثة بعنوان : «المتيم» وهي خاصة
بالحب وحيل المحبين ، وفيها مشاهد مضحكة
من عراك الديكة ونطاح الكباش والثيران .

ومن يقرأ هذه التمثيليات يلاحظ تواتراً
أن ابن دانيال مع محافظته على السجع فيها
والشعر اقترب قريباً شديداً من لغة زمنه
اليومية ، فأحياناً يسكن أواخر الكلمات
غير ملتزم لعلامات الإعراب فيها ، وأحياناً
يستخدم كلمات عامية . وكأنه أحس بقوة
أنه ينبغي أن يعرض على أفراد الشعب
تمثيلياته بلغة قريبة من لغة التخاطب اليومية
التي تجري على ألسنتهم ، والتي تعودتها
آذانهم وأسماعهم . وظاهرة ثانية تلاحظ
على مسرح خيال الظل ، هي ما يصحب

الحوار فيه أحياناً من إنشاد الشعر والموسيقى
والغناء ، وكأن ابن دانيال تنبّه - وتبعه
الخياليون ينهون - إلى أن الشعب المصري
يستتويه الطرب والغناء ، ففسحوا لهما
في تمثيلياتهم ، حتى يشبعوا هذا الجانب عنده .

وبجانب هذا المسرح الكبير : مسرح
خيال الظل عرفت مصر مسرحاً صغيراً للدمى
كان إلى زمن قريب يتنقل بين أحياء
القاهرة الشعبية ، هو مسرح الأراجوز ،
ويقال إنه جاء من تركيا وهو فيها يسمى
قراقوز : أي العين السوداء ؛ لأن كثرة من
كانوا يعرضون على الجماهير هناك كانوا
من الفجر الحوالين . وأكبر ظني أن
كلمة أراجوز إنما هي تحريف مع تطور
الزمن لاسم قراقوش الذي فوّض له
صلاح الدين بناء قلعة الجبل وكان فيه
غفلة وحقق ، فعرضه ابن مماتي في كتابه :
«الفاشوش في حكم قراقوش» بل عكسه في
مرايا محدبة تصور كثيراً من فكاهاته
ونوادره ، واستغله أصحاب خيال الظل
في مسرحهم الصغير للدمى . وظل حياً في
مصر حتى نقله السلطان سليم مع خيال
الظل إلى تركيا . وحُرّف اسم قراقوش
إلى قراقوز ، وعاد إلينا باسم أراجوز .
وكانت تُستخدمُ العاميةُ دائماً في كل ما يمثل
عليه ، وابن مماتي هو الذي أعده من قديم
الذلك فإن نوادره القراقوشية التي صاغها
في كتابه الفاشوش مكتوبة باللغة العامية
ازمنة .

وتمضى مصر بهذا التراث التمثيلي الذى تسوده - أوتشيع فيه - العامية حتى النصف الثانى من القرن الماضى ويُدخل إليها يعقوب صنّوع لعهد الخديوى إسماعيل المسرح الغربى متخذاً قاعة الأربكية مكاناً لفرقة المسرحية ، ويأنس المصريون إلى فرقة وما مثلت من مسرحياته الهزلية الاجتماعية ، وكانت بالعامية ، وكان يضمنها أغاني شعبية ، وكأنه أراد أن تكون نقاة طبيعية للجمهور المصرى من مسرح خيال الظل إلى المسرح الغربى الحديث . ويؤكد هذه الرغبة وتلك الصلة عنده أنه قدّم على مسرحه أحياناً عروضاً لخيال الظل بأغانيه ولغته العامية .

وكان تراث مصر التمثيلي لخيال الظل والأراجوز أعدّها لقبول المسرح الغربى ويدل على ذلك أوضح الدلالة أن بعض اللبنانيين والسوريين ممن عرفوا المسرح الأوروبى وتمثيلياته حين رأوا أن يحتدوا على مثاله مسارح عربية في وطنيهما : لبنان وسوريا منوا بإخفاق ذريع . وكان «مارون نقاش» اللبناني أول من نهض بهذه المحاولة في منتصف القرن الماضى ، فألف ثلاث مسرحيات استلهم فيها مولير واتخذ لتمثيلها مسرحاً ملاصقاً لبيئته في بيروت ولكن مواطنيه أعرضوا عنه ، فأخفقت محاولته ويحاول في سوريا نفس المحاولة أبو خليل القباني ، فيتخذ في دمشق مسرحاً يؤلف

له طائفة من المسرحيات الغنائية وتنشب ضد مسرحه معارضة شديدة فيضطر إلى إغلاقه ، ويهاجر إلى مصر في سنة ١٨٨٤ ، ويقيم له مسرحاً بها ، أخذ يقدم عليه مسرحيات غنائية ، وجميعها تطبع بطوابع الركافة والعامية . وراج هذا المسرح الغنائى عند المصريين وواكبوا عليه عند مؤسسة القباني ثم عند خليفته إسكندر فرح ، ومن خلاله ظفرت مصر برائد فن الأوبرا والأوبريت فيها : الشيخ سلامة حجازى . وشغف المصريون به وبفرقة التى ظلت ناشطة حتى سنة ١٩١٤ وخلفه منذ سنة ١٩١٧ على هذا المسرح الغنائى الشيخ سيد درويش .

ويعود جورج أبيض من بعثة مسرحية في مطلع العقد الثانى من القرن الحاضر ، ويؤلف فرقة مسرحية . ويقدم لها ترجمات دقيقة لمآس يونانية وغربية حديثة ، غير أن الجمهور أعرض عنها وعن مسرحه الحاد إذا كان مولعاً حينئذ بمسرح الشيخ سلامة حجازى الغنائى . وولتقى في سنة ١٩١٣ بفرح أنطون ومسرحيته الاجتماعية : « مصر الجديدة ومصر القديمة » وسنخصها بكلمة عما قليل . ويدور العام فينشر مسرحيته التاريخية : « السلطان صلاح الدين » المكتوبة بفصحى مبسطة . ولايلبث إبراهيم رمزى أن ينشر في سنة ١٩١٥ مسرحيته التاريخية « أبطال المنصورة » المكتوبة بفصحى رصينة ويكتب في نفس العام مسرحيته الاجتماعية الشعبية : « دخول

الحمام مثل زى خروجه». وسرعان ما التقي بمحمد تيمور ومسرحياته الاجتماعية المكتوبة بالعامية. وتغرق المسارح في العقد الثالث من هذا القرن في ملاء ومهازل فكاهية على نحو ما هو معروف عن مسرحي نجيب الريحاني وعلى الكسار، كما تغرق في الميلودراما وكوارثها المفجعة الصارخة، وتعم في ذلك كله العامية. ومانكاد نمضى في سنة ١٩٢٧م حتى ينشر شوقي مسرحيته الشعرية «مصرع كليوباترة» وتلاها بمسرحيتين شعريتين وطنيتين مثلها، هما: «على بك الكبير» «وقبيلز» وبمسرحيتين شعريتين عربيتين هما «مجنون ليلى» «وعنتر». وأضاف إلى تلك المآسي الخمس ملهاة شعرية هي: «الست هدى». وبذلك وضع أساس المسرح الشعري الفصيح وأقام أركانه وعمده ورفع بناءه سامقا. وكان ذلك عملا باهرا، لا من حيث إن شوقي صاغ هذا الفن المسرحي الشعري في الفصحى لأول مرة فحسب، بل أيضا لأنه قاوم به تيار العامية الذي كان قد طغى على المسرح المصري وفُتن به الشباب، فجاهد ضده بقوة، واستطاع أن يصرفهم عنه إلى حين، إذ راعتهم مآسيه حين مثلت وكذلك ملهاته روعة بالغة. ومع ذلك انعقد غبار نقدي كثيف حول مآسيه، وعُقدت له محاكمات نشت على أساس مخالفاته لصيغة المسرح الكلاسيكي الفرنسي في قواعد المأساة، إذا أدخل على مآسيه عناصر

فكاهية. وأكبر الظن أن الذي جعله يندفع إلى ذلك نجاح مسرحي الريحاني والكسار حينئذ وإكباب الجمهور المصري على هزلياتهما الفكاهية، فرأى أن يدخل على مآسيه شيئا من الفكاهة، حتى يرضى ميول هذا الجمهور ويجذبه إلى مسرحه. وأيضا فإنه خالف صيغة المسرح الكلاسيكي الفرنسي في قواعد المأساة، إذا أدخل على مآسيه تيارا من القطع والأشعار الغنائية الملحنة، وإنما دفعه إلى ذلك مارآه في الجمهور المصري من شغف شديد بالمسرح الغنائي وانصرافه عن المسارح الحادة مثل مسرح جورج أبيض كما أسلفنا، فرأى أن يدخل هذا التيار على مآسيه استرضاء واجتذابا للجمهور. وفعلا ظفرت مآسيه حين مثلت بنجاح منقطع النظير كما ذكرنا: وكل ذلك وما يماثله قصد إليه شوقي عامدا في مسرحه حتى يحدث للمسرح المصري العربي صيغة جديدة في المآسي، صيغة تميزه. وبدلا من الإشادة بمقصده وبالصيغة الجديدة التي اقترحها للمأساة في المسرح المصري العربي أخذ النقد العنيف يُكال له كيلا: ومما يدل على نجاح مسرحه ومآسيه متابعة الأستاذ عزيز أباطة له في التوفر على المسرح الشعري الفصيح وإخراجه كثيرا من المآسي التي مثلت وأعجب بها الجمهور مثل «قيس ولبنى» و«الناصر» و«شهریار» وتلاه الأستاذ علي أحمد باكثير بخروج مسرحيات شعرية تاريخية وإسلامية متنوعة:

ويلبي شوقي نداء ربه سنة ١٩٣٢ ويأمر في النثر المسرحي الفصيح اسم الأستاذ توفيق الحكيم ، وكان قد وعى المسرح الفرنسي الغربي وعياً عميقاً ، فحاول صنع مسرحيات نثرية فصيحة على غرار مسرحياته ، مع بث الروح الشرقية فيما ينشئ من مسرحيات : ولم يلبث أن نشأ في سنة ١٩٣٤ أولى مسرحياته : «أهل الكهف» مقيماً الصراع فيها بين الإنسان والزمان ، وتلاها بمسرحية «شهرزاد» مقيماً الصراع فيها بين الإنسان والمكان . وتتوالى له مسرحيات يستوحىها من موضوعات دينية ومن أساطير إغريقية وغير إغريقية . ويذهب كثير من النقاد إلى أن مسرحه ذهني تجريدي مما يجعل مسرحياته صالحة للقراءة أكثر من صلاحيتها للتمثيل . وجعله هذا النقد يضيف إلى مسرحياته الدهنية مسرحيات وطنية ، ومضى يتوسع في المسرحيات الاجتماعية وأخذ هذا الاتجاه يعمق عنده بعد الثورة . ومن أهم ما يميزه أنه غزير الإنتاج المسرحي وأنه لا يكاد يترك في المسرح الحديث باباً إلا ويفتحه على مصاريعه ، من ذلك فتحه لباب مسرح العبث أو اللامعقول ، وتأليفه فيه مسرحيته : «يا طالع الشجرة» . وله في مسرحياته أسلوب عربي مبين غاية الإبانة ، شفاف غاية الشفافية ، أسلوب سلس متدفق عذب : ويعني الأستاذ محمود تيمور بالإنتاج المسرحي ، وينشر فيه مسرحيات قصيرة وأخرى طويلة يستمدّها

من التاريخ القومي العربي ، مستخدماً فيها الفصحى ، وله مسرحية اجتماعية هي : «الخبأ رقم ١٣» وقد كتبها في نسختين إحداها بالفصحى والثانية بالعامية . ومرجع ذلك عنده ما صرح به في كتابه «دراسات في القصة والمسرحية» من أن الفصحى إنما ينبغي أن تكون لغة المسرحية المترجمة والتاريخية . أما المسرحية الاجتماعية فينبغي أن تكتب بالعامية لأنها لغة الكلام اليومية المهيمنة التي تستعملها الأذان والتي تستقر في أعماق النفوس والأفئدة :

وتحدث نهضة مسرحية كبيرة بعد الثورة بما أنشئ من أكاديمية للفنون ومعهد عال للفنون المسرحية وبما أقيم من مسارح متعددة وكوّن من فرق مسرحية متنوعة . وسرعان ما ظهر أفذاذ في المسرح الشعري الفصيح وفي المسرح النثري . وولتقى في المسرح الأول بالأستاذ عبد الرحمن الشوقى ومسرحياته الشعرية من مثل «مأساة جميلة المناضلة الجزائرية» ، «والفتى مهران» ، «والحسين شهيداً» ، واختار لمسرحياته الشعر الحرحى يتيح لها - في رأيه - شعراً درامياً متكاملاً . وتلاه في نفس الاتجاه المسرحي والشعر الدرامي الحر الأستاذ صلاح عبد الصبور في مسرحياته من مثل «مأساة الحلاج» و «مسافر ليل» و «ليلي والمجنون» و «الأميرة تنتظر» .

ولتقى بكثيرين من كتاب المسرح النثري ، وقليل منهم من يؤثر الفصحى في كتابة مسرحياته

مثل الأستاذ فتحى رضوان فى مسرحيته «دموع إبليس» التى نشرها سنة ١٩٥٦ وله وراءها مسرحيات مختلفة . وياقانا الأستاذ ألفريد فرج ويعنى بفصحى مبسطة فى كتابة مسرحياته التاريخية مثل سليمان الحلبي :

وتكثر العامية فى المسرحيات الاجتماعية الواقعية وكأنما تصير الكثرة من أصحاب هذا الاتجاه على أن تكون العامية أداة التعبير وحدها فى مسرحياتهم ونذكر منهم الأستاذ نعمان عاشور وهو غزير الإنتاج وله مسرحيات كثيرة منها «المغاطيس» و «الناس اللي تحت» و «الناس اللي فوق» و «سيما أونطة» و «عيلة الدوغرى» و نلتقى بالدكتور يوسف إدريس ومحاولته إيجاد مسرح مصرى أصيل : مسرح له صيغته وطبيعته المستقلة عن طبيعة المسرح الغربى وصيغته، وعرض نموذجاً لما يقدم من مسرحيات فى هذا المسرح هو «مسرحية الفرافير» استمدتها من التمثيل الريفى الشعبى ملغياً فيها الحائط الوهمى بين منصة المسرح ومقاعد الصالة أو بعبارة أخرى بين الممثلين والمتفرجين . وياقانا الأستاذ لطفى الخولى ومسرحياته من مثل «قهوة الملوك» و «القضية ويريد بها قضية التغير الاجتماعى الاشتراكى» ، والدكتور رشاد رشدى إنتاج مسرحى كثير، وهو متعدد الاتجاهات المسرحية وقد استغل الفن الشعبى القديم : فن خيال الظل فى مسرحيته «اتفرج ياسلام» وهى تحكى قصة تاجر وما لقيه من ظلم وهوان على يد حاكم ورجاله . وللاستاذ سعد الدين وهبة كثير

من المسرحيات مثل السبنسة والمحروسة وسكة السلامة والمسامير وكوبرى الناموس^٦ وللاستاذ ميخائيل رومان مسرحيات متعددة مثل الدخان والعرضحالحى والوافد ولن نستطيع أن نتمضى فى استقصاء كتابنا المسرحيين النابهين الذين يؤثرون العامية فى كتابة مسرحياتهم لأنهم أكثر من أن نستقصيهم فى برهة زمنية قصيرة وإنما أردنا بمن ذكرنا منهم أن ندل على هذا المد أو السيل العامى فى المسرح المصرى المعاصر :

- ٣ -

ولعل فيما أسلفت ما يصور فى إجمال تاريخى قضية استخدام العامية والفصحى فى لغة المسرح منذ نشأته إلى اليوم، وكيف أنه بدأ عامياً أويكاد ، وظل على ذلك عشرات السنين سواء فيما وُضع له من مسرحيات غنائية أو فيما تُرجم له أو عُرِّب أو مُصِّر، حتى إذا كنا فى القرن الحاضر عني بعض الكتاب النابهين بكتابة مسرحيات نثرية جيدة ، تتخذ الفصحى أداة لها فى التعبير على نحو ما ذكرنا عن فرح أنطون وإبراهيم رمزى فى مسرحيتيهما السلطان صلاح الدين وأبطال المنصورة. وعني كل منهما بتأليف مسرحية اجتماعية وفكراً فى لغتها هل تكون فصيحة أو عامية ؟ أما إبراهيم رمزى فاختار لمسرحيته : « دخول الحمام مش زى خروجه » اللغة العامية الشعبية ، وأما فرح

أنطون فكّر طويلا في لغة مسرحيته : « مصر الجديدة ومصر القديمة » وانتهى إلى أن يجمع فيها بين الفصحى والعامية ، فجعل الفصحى لشخوص الطبقة العليا والعامية لشخوص الطبقة الدنيا . واقترح لغة ثالثة للسيدات في المسرحية ، سماها فصحى مخففة ، وكتب في صدر المسرحية بيانا أوضح فيه موقفه من هذه القضية اللغوية في المسرحية والحل الذي نخلص إليه يقول : « إنما مجلس التمثيل (المسرح) مجلس أناس يقلدون غيرهم . فإذا كانت الروايات معربة صح جعل اللغة العربية الفصحى لغة لها ، بحسبان أن الرواية حكاية حال قوم لغتهم أعجمية ، ولنا حق اختيار اللغة التي نجعلها قالباً لتلك الحكاية ، ولكن إذا كانت الرواية تأليفا وإنشاء وموضوعها شؤون من لغتهم العامية ، وجعلنا لغة هذه الروايات اللغة العربية الفصحى صرفا خرجنا عن الطبيعة التي ما أنشئت الروايات التمثيلية إلا لتقليدها ، وخالفنا الواقع في شكله وصورته ، وفي هذا هدم لأصل من أصول التمثيل الأساسية ، وكيف يستطيع مثلا جعل خريستو في (مسرحية) مصر الجديدة ينطق باللغة الفصحى وهو أعجمي ؟ وما يكون رأى مشاهدي هذه الرواية إذا سمعوا فيها نساء قهوة الرقص وباعة الصحف والخادمين والبرابرة والسكران المترنحين بل والسيدات في خدورهنّ

ينطقون باللغة الفصحى ؟ ثم نرى من وجه آخر أننا إذا جعلنا تأليف الروايات التمثيلية الاجتماعية باللغة العامية حرصا على تقليد الطبيعة كل التقليد كما هي وظيفة مجالس التمثيل (المسارح) وقعنا فيما هو أشد وأنكى ، وقعنا في إحياء العامية وإضعاف الفصحى ، وهذا أمر ياباه كل من ذاق لذة هذه اللغة الجميلة التي جرى حبها منا مجرى الدم في المفاصل ، وما كنت لأرفضي بأن يكون الشروع في أمر كهذا الأمر على يدي : هذا هو المشكل الذي وقعت فيه في تأليف (مسرحية) مصر الجديدة ، وسيقع فيه بعدى كل من يتصدى لتأليف الروايات التمثيلية الاجتماعية باللغة العربية ، :

ثم يذكر فرح أنطون الحل الذي ارتضاه لهذا المشكل ، وهو أن يجعل شخوص الطبقة العليا في المسرحية ، كما قلنا ، يتكلمون الفصحى ، وشخوص الطبقة الدنيا يتكلمون العامية ، وجعل للسيدات في المسرحية لغة ثالثة بين الفصحى والعامية سماها الفصحى المخففة : وبذلك أحال فرح أنطون مسرحيته إلى رقعة لغوية : رقعة فصحى ورقعة عامية ورقعة بين بين تتوسطهما . وذكر آنفا أنه إنما أدخل العامية واللغة الثالثة على لسان الشخوص ليمثل الطبيعة في المجتمع والواقع : وفاته ما قاله عن إثثار الفصحى للمسرحيات

الترجمة وأن الغرض من التمثيل حكاية حال قوم ، وأن من الخير أن تؤدّى الحكاية في تلك المسرحيات المترجمة باللغة الفصحى المحبوبة كما يقول : وهذا نفسه ينطبق على المسرحيات الاجتماعية ما دام الغرض من التمثيل دائما حكاية بحال الناس في المجتمع لا حكاية لسانهم ، ومن المؤكد أن الطبقة العليا في أيامه كانت مثل الطبقة الدنيا تتكلم العامية ، فكان ينبغي أن يعمّم ، إما أن يختار مقاله في المسرحيات المترجمة أنها تمثيل حال لا تمثيل لسان ، ويطبّق ذلك على الطبقة الدنيا كما طبّقه على الطبقة العليا فيجعلها تتحاور مثلها بالفصحى ، وإما أن يختار مقاله عن المسرحيات الاجتماعية من أنها تمثيل للطبيعة والواقع ويطبّق ذلك على الطبقة العليا كما طبّقه على الطبقة الدنيا فيجعلها تتحاور بالعامية : وكان ينبغي أن لا يقرّد للسيدات حينئذ لغة ثلاثة خاصة لأنهن كن يتحدثن العامية مثل الطبقتين الآخرين. وكل ذلك معناه أن تجربة فرح أنطون اللغوية في مسرحيته : « مصر الجديدة ومصر القديمة » لم تكن تجربة سوية . ومع أنها مثّلت على المسرح لم تلق النجاح المنشود ومن أجل ذلك لم يحاول فرح أنطون نفسه فضلا عن كانوا حوله أو جاءوا وراءه - تقليدها ، لأنها تحمل عدة صور من الأداء اللغوي ، وكان ينبغي أن يختار لمسرحيته إحدى اثنتين : إما أن يجعل مسرحيته

فصيحة الأداء كمسرحية السلطان صلاح الدين ، وإما أن يجعلها عامية الأداء كمسرحية زميله رمزي الاجتماعية المار ذكرها ومثل مسرحيات معاصره محمد تيمور : الهاوية وغير الهاوية : ومن هنا كنا نرى أن فرح أنطون ترك المشكل اللغوي في مسرحيته مصر الجديدة والمسرحيات الاجتماعية المماثلة لها دون وضع حل سديد له :

ومضى الكتاب المسرحيون بعده يقدمون أعمالهم للمسرح باللغة العامية نحّاها شوقي عنه في مسرحياته الشعرية كما ذكرنا ، وبالمثل نحّاها الأستاذ توفيق الحكيم عن مسرحياته النثرية ، ومثّلت له مسرحيته « أهل الكهف » سنة ١٩٣٥ ، والكنها لم تلق النجاح المظنون لتمثيل الشخصيات فيها لأفكار مجردة ، وكأنهم لا يزالون في العالم الخيالي لأسطورتهم بعيدين عن عالم الواقع : وتوالت مسرحياته المستمدة من الأساطير غير أنها لم تحظ بالتمثيل على منصة المسرح ، لما تردد بين النقاد من أن تلك المسرحيات إنما تصلح للقراءة فقط ولا تصلح للتمثيل ، لأنها ذهنية تجريدية : ويسلم لهم توفيق الحكيم بوجهة نظرهم إذ يقول في مقدمة مسرحيته بيجماليون التي نشرها سنة ١٩٤٢ :

إني أقيم اليوم مسرحي داخل الذهن ، وأجعل الممثلين أفكاراً تتحرك في المطلق

نم المعاني مرتدية أثواب الرموز .: لهذا اتسعت الهوة بينى وبين خشبة المسرح ، ولم أجد قنطرة تنقل هذه الأعمال إلى الناس غير المطبعة : لقد تساءل البعض : أولا يمكن لهذه الأعمال أن تظهر على المسرح الحقيقى ؟ أما أنا فأعترف بأنى لم أفكر فى ذلك عند كتابة روايات مثل أهل الكهف وشهرزاد وبيجهاليون : ولقد نشرتها جميعا ولم أرض حتى عن أن أسميها مسرحيات .: على أن الأستاذ الحكيم كان قد أخذ يتدارك الموقف بتأليفه - مع مسرحيات ذهنية أخرى - مسرحيات اجتماعية كثيرة ، نشرها مفردة أو فى مجموعات ، غير أن النقاد ظلوا يقولون إن طوابع مسرحه الذهني لا تزال تسيطر على مسرحه الاجتماعي . فهو فيه لا يزال يبدأ من فكرة ويحاول تطبيقها فى المجتمع . حتى إذا قامت الثورة تطور الفن المسرحي الاجتماعي عند الأستاذ الحكيم متخلصا من آثار مسرحه الذهني ممعنا فى تصوير واقع المجتمع متأثرا بفلسفة الثورة الاشتراكية على نحو ما يتضح فى مسرحيته « الصنفقة » التى صور فيها الفلاحين فى قرية مصرية يناضلون نضالا مستميتا فى سبيل الحصول على قطعة زراعية من أرضهم الطيبة أيام استشرأب الإقطاع وتفاقمه .

والأستاذ الحكيم فى هذه المسرحية لم يتحول فقط من مسرحه الذهني إلى المسرح

الاجتماعي الواقعي بالمعنى الدقيق ، بل أيضا تحول من لغته الفصيحة التى تخلو من أى أثر للعامية فى مسرحياته السالفة إلى لغة ونسطة بين العامية والفصحى ، سماها « لغة ثالثة » متخذة من مسرحية « الصنفقة » حقل تجربة لإيجاد حل للغة المسرح التى تخاطب أفراد الجمهور ، وينبغي أن يفهموها بمجرد سماعها : وكان الكلام قد كثر - منذ فرح أنطون - عن العامية والفصحى على المسرح وكان أنصار العامية يتمسكون دائما بأن التمثيل فن شعبي ، وينبغي أن يكون بلغة الشعب العامية المتداولة بين الناس : ورأى الأستاذ الحكيم تحت بصره مسرحيته « الأيدي الناعمة » تنقل من زينا الفصيح الذى وضعها فيه إلى زى عامى مثلت به فى سنة ١٩٥٤ . لذلك استقر فى نفسه أن يستحدث للمسرح هذه اللغة الثالثة الجديدة التى كتب بها مسرحية الصنفقة المنشورة فى سنة ١٩٥٦ وقد ألحق بها بيانا أوضح فيه الحاجة إلى تلك اللغة ، وفيه يقول :

«استخدام الفصحى يجعل المسرحية مقبولة فى القراءة ، ولكنها عند التمثيل تستلزم الترجمة إلى اللغة التى يمكن أن ينطقها الأشخاص : فالفصحى إذن ليست لغة نهائية فى كل الأحوال ، كما أن استخدام العامية يقوم عليه اعتراض وجيه ، هو أن هذه اللغة ليست مفهومة فى كل زمن

ولا في كل قطر بل ولا في كل إقليم، فالعامية إذن ليست هي الأخرى لغة نهائية في كل مكان أو زمان. كان لا بُدَّ لي من تجربة ثالثة لإيجاد لغة صحيحة لاتجافى قواعد الفصحى، وهي في نفس الوقت مما يمكن أن ينطقه الأشخاص ولا ينافى طبائعهم ولا جَوَّ حياتهم، لغة سليمة يفهمها كل جيل وكل قطر وكل إقليم. ويمكن أن تجرى على الألسنة في محيطها، تلك هي لغة هذه المسرحية. قد تبدو لأول وهلة لقارئها أنها مكتوبة بالعامية، ولكنه إذا أعاد قراءتها طبقاً لقواعد الفصحى فإنه يجدها منطقية على قدر الإمكان. بل إن القارئ يستطيع أن يقرأها قراءتين: قراءة بحسب نطق الريفي فيقلب القاف إلى جيم أو إلى همزة تبعاً للهِجَة إقليميَّة، فيجد الكلام طبيعياً مما يمكن أن يصدر عن ريفي، تم قراءة أخرى بحسب النطق العربي الصحيح، فيجد العبارات مستقيمة مع الأوضاع اللغوية السليمة. إذا نجحت في هذه التجربة يؤدي ذلك إلى نتيجتين: أولاً: هو السير نحو لغة مسرحية موحدة في أدبنا، تقترب بنا من اللغة المسرحية الموحدة في الآداب الأوروبية، وثانيتهما وهي الأهم: التقريب بين طبقات الشعب الواحد وبين شعوب اللغة العربية بتوحيد أداة التفاهم على قدر الإمكان دون المساس بضرورات الفن.

وكل من يقرأ هذا البيان يمتلئ إعجاباً بهذه التجربة اللغوية الجديدة التي ترفع فوق منصات المسارح الأسوار بن الفصحى والعامية، وكأنما لم تكن كلُّها أسوار بالمعنى الدقيق لكلمة أسوار، بل كان كثير منها أقواساً وهمية. وينبغي أن نعود إلى مسرحية الصفقة نفسها لنرى حقيقة ما رُفِعَ من هذه الأسوار. وبمجرد أن نتصفحها نلاحظ فيها عمليْن كبيرين: عملاً نتفق فيه مع الأستاذ الحكيم كل الاتفاق، وعملاً نختلف معه فيه كل الاختلاف، فأما العمل الذي نتفق معه فيه فإدخاله في مسرحيته كثيراً من العبارات والأمثال العامية، وهي فصيحة تامة الفصاحة، مع أنها كثيرة الجريان على الألسنة في اللغة اليومية الدارجة، ونضرب لذلك بعض الأمثلة من الفصل الأول في المسرحية.

«لكن المسألة بالأصول — هي لا يهمها فلان ولا علان — هس من فضلكم اسكتوا دقيقة واحدة — عدّ لها له ربنا — لا له في الثور ولا في الطّحين — ذنبكم على جنبكم — انهضوا هُمُّوا — ماله؟ — الله لا يكسبك — انت على راسنا من فوق لوئها يقرف الكلب — تعمل الطاسة مسقسي للكتاكيث — سرقني جرّدي — كل ما عندي مرصود للكفن والخرجة — خلفت بالله في علاه وسماه ونبيه الزين — ما عندي لك غير كلمة واحدة — قال الله ولا فالاك —

يا كل مال النبي - ساعة القضا يُعْمَى
البصر - صلاة النبي أحسن - ما باليد حياة -
احزموا أمركم - ما يقدر على القدرة
إلا الله - عملتها في - رُبنا أمر بالستر -
خَلَّصْ لهم الموضوع بالتي هي أحسن -
فكرة معتبرة - على شرط لانكلمه
هناك كلمة ولا نفتح له سيرة .

وجميع هذه التعبيرات تدور على ألسنة
العامية في لغة التخاطب اليومية ، وهي
فصيحة كاملة الفصاحة . وهو معنى
ما قلناه من أن الأسوار بين الفصحى والعامية
بدت في جوانب من المسرحية ، وكأنها
كانت أقواساً وهمية . ومسرحية «الصفقة»
- بهذا الأداء اللغوي الجديد - تُعَدُّ إرهاباً
قوياً لتحول خصب في لغة المسرح الفصحى ،
إذ تلتحم بها العامية التحاماً من شأنه أن
يمحو جانباً من الأسوار والحوازر التي
كان يظن أنها تفصل بين عبارات العامية
وعبارات الفصحى ، فإذا هما يتعانقان
على منصة المسرح ويتحدان هذا الاتحاد
الواضح وهذا العمل الأول في مسرحية
الصفقة جدير بكل ثناء .

أما العمل الثاني الذي قلنا إننا نختلف فيه
مع الأستاذ الحكيم فهو : النطق بحروف بعض
الكلمات في المسرحية كما تُنطَقُ في العامية ،
ومعروف أن عاميتنا أبدلت الذال دالا
في بعض الكلمات الفصيحة ، مثل ذاب
تنطقها داب ، وأبدلت الثاء تاء في مثل

ثلج تنطقها تلجا ، وأبدلت الظاء ضاد
في مثل ظُلْمة أو ظَلْمة بفتح الظاء تنطقها
ضلمة : فهل تُكْتَسَبُ مثل هذه الكلمات
في المسرحيات وتنطق على المسرح بصورتها
العامية أو تُرَدُّ إلى صورتها الفصيحة؟
أما الأستاذ توفيق الحكيم فيرى أن نبقى
لها صورتها العامية بدليل ما نقرأه في الفصل
الأول من مسرحية الصفقة من مثل العبارات
التالية :

« نذبح الدبيحة بدلا من نذبح الدبيحة
- قاعد يَحْلِقُ دقته بدلا من : قاعد يحاق ذقنه
- تصح منك الكلمة دى؟ بدلا من تصح
منك الكلمة هذه ؟ - أنت راجل حاج
تلات حججات بدلا من : أنت رجل حاج
ثلاث حججات - سبق قلت لنا بعضمة
لسانك - بدلا من : سبق قلت لنا بعضمة
لسانك » .

وفي رأي أنه كان ينبغي للأستاذ الحكيم
أن لا يدفع تجربته الجديدة في لغة المسرح
إلى هذا المأزق ، لأنه بذلك يهبط بفصحى
المسرح إلى العامية دون حاجة أو ضرورة
واضحة . وكان المأمول أن يرتفع بالكلمات
السابقة إلى الفصحى ويردها إلى صورتها
الفصيحة على نحو ما رد كلمات عامية
أخرى في نفس هذا الفصل الأول من
المسرحية ، فقد رد كلمة الثور في العامية
إلى كلمة الثور الفصيحة في المثل الآنف
ذكره « لاله في الثور ولا في الطحين » .
وكلمة « لاله » في صدر هذا المثل هي في

العامية « لا لو » فسردها إلى نطقها
الفصحى . وبالمثل رد كلمة التلت العامية
إلى كلمة التلت الفصيحة على لسان بعض
الشخص : ورد مراراً كلمة « مالو »
العامية إلى كلمة « ماله » الفصيحة . وعلى
هذه الشاكلة كان يحسن أن يرد الكلمات
العامية المذكورة منذ قليل إلى النطق
العربي الفصحى :

ونمضى مع الأستاذ توفيق الحكيم إلى
سنة ١٩٦٦ وفيها ينشر مسرحيته : « الورطة »
ويلحقها ببيان يتحدث فيه عن ظاهرة
استبدال العامية لبعض الحروف العربية
مسوغاً للكاتب المسرحى الإبقاء عليها
في حوار الشخص أو على الأقل الإبقاء
على طائفة منها ، يقول : « الدال والذال
والضاد والظاء يحل أحدها في النطق محل
الآخر في بعض البيئات والقبائل .. وعلى
ذلك لاجتراح في نطقنا بالظبط بدلا من
بالضبط ونطقنا داودى وده بدلا من ذا
وذى وذه ولذلك ماسير على نهجها مثل
كذا التى نطقها كدا أو كده »
وكل هذه الإبدالات موجودة في المسرحية
وموجود معها إبدال الثاء تاء في بعض
الكلمات في مثل « يعنى الثالثة ثابتة »
« بدلا من يعنى الثالثة ثابتة » . ومما يدل
على أن ذلك يفتح بابا كبيرا لاستبقاء الكلمات

العامية المحرفة في الحوار المسرحى أن الدال
لا تبدل في عاميتنا دالا أحيانا فحسب ، بل
قد تبدل زايا في مثل كلمتى الذخيرة
والذمة وأن الضاد لا تبدل في عاميتنا
أحيانا ظاء فحسب ، بل قد تبدل « دالا » في
مثل مدغ الطعام بدلا من مضغ الطعام ،
وأيضاً الثاء لا تبدل تاء فحسب ، فقد تبدل
سينا في مثل الثروة والثمن . ولو أن الكاتب
المسرحى كتب في مسرحيته هذه الكلمات
جميعاً بنطقها العامى ، أفهمها القارىء ولا
الممثل للمسرحية ، وهل يستطيعان مثلا
معرفة أن الزخيرة بالزاي هى الذخيرة
بالذال وأن السروة بالسين هى الثروة بالثاء؟
إن مثل ذلك يؤدي إلى مشكلة لعلها
أكثر تعقيداً من مشكلة النطق بالحروف
المبدلة في بعض كلمات العامية : ولا ريب
في أنه أولى لفصحى المسرح المقترحة
أن تعدل هى في نطق الحروف المبدلة في
الكلمات العامية وتردها إلى نطقها الصحيح ؛
وبذلك يرتفع الكاتب المسرحيون بلغتنا
العامية ، إذ يشيعون النطق الصحيح للكلمات
العامية المبدلة بعض حروفها بترداد الممثلين
في حوارهم لهذا النطق ومحاكاة الجماهير
لهم في ترداده .

وكلنا نعرف أن من الظواهر في عاميتنا
استخدام طائفة من الاختزالات في الكلمات ،
وقد سوغ الأستاذ توفيق الحكيم مجموعة
منها استخدمها على لسان الشخص فى

مُسْرَحِيَّتِهِ « الورطة » مثل « أيوه » اختزال « إى والله » و « إيه » اختزال « أى شئ » و « إيه » اختزال « لماذا » و « اللى » اختزال « الذى » يقول : « مثل هذه الرخص والاختزالات فى التخاطب يمكن قبولها ، إذ من الشطط أن نطالب الناس بالطرفة ونلزمهم فى مجالسهم العادية استعمال كلمة « لماذا » بدلا من « إيه » . . . إذا أردنا أن نطاع فلنأمر بما يستطاع » . وفى رأى أن استخدام الكتاب المسرحيين لصور اختزال الكلمات فى العامية على ألسنة الشخص فى مسرحياتهم مثل استخدامهم لكلمات الفصحى المبدلة بحروفها ، كل ذلك من شأنه أن يهبط بالفصحى إلى دوائر العامية بدلا من أن يرتفع بالعامية إلى دوائر الفصحى ، وأيضاً فإنه يضيع علينا وعلى الأستاذ توفيق الحكيم النتيجة الثانية التى ذكر فى بيانه الملحق بمسرحية الصفقة أنها النتيجة المهمة فى رأيه كما أشرنا إلى ذلك آنفاً وهى التقريب بين شعوب اللغة العربية بتوحيد أداة التفاهم ، إذ نعود ثانية إلى عاميتنا مبقيين منها — فى لغة المسرح — أسوارا تحول بينها وبين مانريد من فصحى مسرحية توحد بين الشعوب العربية :

وأنا — مع كل ما قدمت — أقول إن التاريخ الأدبى العربى المعاصر — وخاصة المسرحى منه — سبظل يذكر للأستاذ توفيق الحكيم أنه رفع صرح المسرح النثرى

الفصحى على أسس وطيدة ، وأيضاً سبظل هذا التاريخ يذكر له محاولته إيجاد لغة ثالثة مسرحية وسطى بين الفصحى والعامية ، وأنه وضع لها قاعدة مهمة هى استخلاص العبارات والتراكيب التى يظن أنها عامية ، بينما هى فصيحة ، واستخدامها على ألسنة الشخص فى المسرحيات على نحو ما استخدمها فى مسرحيته : الصفقة والورطة ، وأضاف الأستاذ الحكيم إلى هذه القاعدة قاعدة ثانية فى بيانه الملحق بمسرحية الورطة ، هى استخدام كتّاب المسرح لكلمات تشيع فى استعمالنا السدارج ونحسبها عامية ، وهى — فى حقيقتها — فصيحة ، وذكر أن الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى — رحمه الله — كان يستخدم فى كتاباته كثيراً من هذه الكلمات ، ومثل لها بقولنا فى العامية : « أشوفك بكرة » و « اخرج بره » و « خش فى الموضوع » و « زى زيك » و « بس » — وقد تجرد غير باحث لتأصيل الكلمات العربية فى العامية ، وألفت فى ذلك مصنفات مختلفة ، من أحدثها « معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية للدكتور عبد المنعم عبد العال ، ولا تزال تبذل الجهود فى هذا الاتجاه ، وللاستاذ الدكتور محمد التنير جهد قيم فيه ، تفضل بإطلاعى عليه . وحبذا لو عنيت لجنة اللهجات فى مجدها الموقر بوضع معجم للكلمات العامية استعمالاً العربية أصلاً ونسباً ، حتى يجدها كتّابنا المسرحيون مدّاً أيديهم وأبصارهم :

سبلاتي ، سادتي

بالقاعدتين السابقتين اللتين وضعتهما الأستاذ
توفيق الحكيم للغة المسرح الثالثة ، بل بهذين
الرافدين : رافد الكلمات العامية
العربية ورافد العبارات العامية العربية ستظل
الفروق بين فصحي المسرح والعامية تضيق
تدريجاً يوماً بعد يوم ، حتى تتكون لنا
فصحي مسرحية تعاش الجماهير في محيطها
اللغوي اليومي ويفهمها العرب في
مختلف بلدانهم من الخليج إلى المحيط . وإني
لواثق أن أعلام كتابنا المسرحيين سينفذون

إلى تحقيق هذا الأمل المنشود للأمة العربية
فيستحدثون لها هذه الفصحي المسرحية
المبسطة ويظلمون ينمونها دون تحيف أو تنقص
لمقومات العربية . وبذلك ينهضون في فصحي
المسرح بنفس الدور اللغوي العظيم الذي
نهض به أعلام كتابنا الصحفيين منذ القرن
الماضي إلى اليوم نافذين إلى فصحي صحفية
مبسطة ، فهمتها - وتفهمها - الجماهير
الشعبية العربية في يسر . وبالمثل ستتحقق
للمسرح - كما تحقق للصحافة - فصحي
مبسطة في الغد مهما طال الزمن .

شوقي ضيف
عضو المجمع



وقفت أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور حسن علي إبراهيم

مشيت وفي قلبي وجيب ورهبة
وهادئ حبي نحو مثوى محمد
وحول من الأقوام حشد ميمم
وفاضت عيون الناس دمعاً وأجهشت
وفي النفس ما فيها من الحب والتقى
وقفت وما بيني وبين محمد
وعادت بي الذكرى دهوراً سحيقة
هنا أكمل الروح الأمين رسالة
وشعت وراء الأفق حباً ورحمة
على هذه المشاه سار محمد
وفي هذه الأرجاء جلجل صوته
هنا مست البطحاء طهر جبينه
هنا جالس الأتباع جلسة والهد
وكم جاء فظاً قد عاتته جهامة
وكم جاء من ساع إلى شرح دينه
هنا خيراً للرحمن يطلب نصره
فني أحسد لم يفرع الهول أنفسا
وولي عدو الله مانال مأرباً
إلى خير قبر ضم أخير رفيات
عليه لعمرى أطيب الصلوات
إلى حيث يثوى منبع البركات
نفوس لمنجيتها من العثرات
وفي النفس ما فيها من الحسرات
قرون نخلت لا هذه الخطوات
إلى فجر دين عاطر النفحات
أضاءت فلاة البدو والعرصات
لتغشى بلاد الأرض والحنبات
إلى قدس محراب ومن حجرات
وكم أمّ من وعظ ومن ركعات
وقد خيراً للرحمن في السجيدات
رحيم بأبناء له وينات
فقابلته بالبشعر والبسمات
ففسر ما يغني بفضل أنباة
فينصره والنصر غير موات
بقين بحبل الله معتصمات
وظلت قلاع الحق ممتنعات

(*) أُلقيت هذه القصيدة في الجلسة السادسة لمؤتمر المجمع في الدورة السادسة والأربعين (يوم الأحد ٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ، الموافق ٢٣ من مارس سنة ١٩٨٠ م)

وفي غزوة الأحزاب حل بيثرب
 حصاراً وقرراً ثم جوع مدني
 فأنزل رب البيت بالكفر فرقة
 فقوض ماقد طنبوه . وأدبروا
 هنا قد نعى الأبطال لحظة موتهم
 فزيد مضى يتلوه جعفر بعده
 فأوحى له الأنباء عبر مهامه
 إله بصير لاتنام عيونـه
 وقبض رب العرش للنصر خالدا
 إذا امتحن الإسلام حيناً بشدة
 وقد سار من نصر لنصر مؤزر
 كما سارت المزن الثقال كريمة
 وقد كُئل الإسلام في فتح مكة
 وجاءت وفود المسلمين ليثرب
 هنا جاء كعب ثابئاً ومكفراً
 فأرضى رسول الله إذ صار مسلماً
 فقد زحصر الإسلام عفواً ورحمة
 وإذا كان دأب المسلمين وقد غدوا
 فكانوا لدى الهيجاء شر أشساوس
 هنا شرع الإسلام فرضاً وسنة
 وقد قام بالتفصيل والشرح أعمدة
 ومن هذه الأنحاء سارت رسائل
 أتهدى ملوك الأرض نحو إلههم
 هنا غالب الحمى وسار لمسجد
 وعاود ما أفتناه مبعاة ربه

من الكرب مايشي عظيم عتاة
 وحشد من الكفار بالعتبات
 وأرسل ربحاً ترسل الرعدات
 وأيديهم قد أصبحت صفيرات
 بمؤتة في الهيجاء حين وفاة
 رواحة ، كانوا خيرة السرّوات
 بلا رسل تجرى ودون رواة
 قدير مجيب مدرك الخلجات
 فكن جيش العرب من وقفات
 فقد عم بالإيمان والعزمات
 فأحيا نفوساً في عميق سبات
 بشوئبها تحي موت فـلاة
 بإظهار دين الحق والحسنات
 وقد برأت من سالف النزغات
 وأنشد فيه أول البردات
 وصار إلى الإسلام خير دعاة
 وما فيه من حقد وغـل تـرات
 جيوشاً تدين الأرض بالغزوات
 وعند حلول السلم خير عفاة
 بما أنزل الرحمن من كلمات
 بفعل وقول ضمّ جمّ عظات
 تحادت بأختام لنعم حـداة
 على ظل دين طاهر النفثات
 وعاد كليلاً بعد جهد صلاة
 وفي الحسم ما فيه من الهنات

وَغَصَّتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ وَوَجَّهُوا
 وَلَمَّا دَنَا وَقْتُ الرَّحِيلِ وَأَزْلَفَتْ
 دَعَا رَبَّهُ هَمْسًا لِيَأْوِي بِمَنْزِلٍ
 هُنَا غَارَ فِي ذَا التَّرْبِ بَدْرُ هِدَايَةِ
 بِحَبْلِكَ يَا خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعِهِمْ
 تَذَكَّرَ حَبِيبًا أَخْلَصَ الْوُدَّ وَالْهَوَى
 وَيَارَبَّ عَفْوًا مِنْ لَدُنْكَ وَرَحْمَةً
 فَقَدْ زَرْتُ ذَاكَ الْبَيْتَ أَدْعُو مَلِيًّا
 لَقَدْ رَعْنْتُ نَفْسِي بِشَرْخِ شَيْئِي
 إِذَا كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ فَالْعَذْرُ لِمَتِي
 فَلَمَّا بَدَأَ شَيْبُ الْقُدَالِ وَأَفْعَمَتْ
 بَلَّغَتْ إِلَى الرَّحْمَنِ أَطْلَبُ عَفْوَهُ
 فَيَارَبَّ أَلَّفَهُ بَيْنَ عَرَبٍ تَفَرَّقُوا
 فَتَحْنَا فَجَاجَ الْأَرْضِ وَالشَّمْلِ جَامِعٍ
 وَكُنَّا مَنَارَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
 وَهَمْنًا إِذْ الْأَهْوَاءُ شَتَّى فَبَاعَدَتْ
 لِكُلِّ جَمِيلٍ فِي النَّفُوسِ نَهَابَةً
 مَشِيَّتٍ ثَقِيلٍ الْخَطْوُ فِي الْقَلْبِ حَسْرَةً
 رَفَعْتَ إِلَى مَثْوَاهِ مَنْى نَوَاطِرًا
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا أَشْرَقَ الضُّحَى

نفوسا إلى الرحمن مبتهلات
 لعينه أنوار من الرحمت
 رفيقا لعال مانع الحيرات
 وماغاب نور ساطع اللعسات
 وهديك إلى قد ملأت حياتي
 وكن لي شفيعا إذ يحين مماتي
 لعبد دعا في أقدس الحرمات
 وجئت رسولك حاملا دعواتي
 وفي غافل من غابر السنوات
 وكم في سواد القود من نجزوات
 حياتي بأوزار وفيض هنات
 ورب غفور واسع الرحمات
 ووحده خطاهم بعد طول شتات
 وبالدين سرنا في هدى وثبات
 بعلم وإيمان وخير هداة
 بأبناء قوم واحد ولذات
 وقد آن ترحالي لهرس حياة
 لتركي مقام الأعظم العطرات
 مودعة من دمعها شرقات
 وما لاح نور البدر في الظلمات

حسن على ابراهيم
 عضو المجمع



كلمة الأريسيين^(١) في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل للدكتور أحمد الحوفي

بعت

النبي عليه الصلاة والسلام

رسائل إلى الملوك والأمراء^(٢)

يدعوهم فيها إلى الإسلام ، منها رسالة إلى
هرقل امبراطور الروم (الامبراطورية
البيزنطية) جاءت فيها كلمة الأريسيين :

وقد اتفق مدونو السيرة النبوية وكتاب
التاريخ ومؤلفو المعاجم اللغوية على النطق بهذه
الكلمة ، ولكنهم اختلفوا في معناها ، فرأيت
أن أجعلها موضوع هذا البحث .

واقضى هذا أن يتقدم نص كتاب النبي
إلى هرقل ، وكيف نطق السابقون بكلمة
أريسيين ؟ وهم شرحوها ؟ ثم أعقب عليهم
بكلمة ممهدة للكشف عن الصواب في نطق
الكلمة وفي معناها ، ثم يجيء الرأي الذي لعاني
اهتديت إليه .

رسالة النبي إلى هرقل

أما رسالة النبي عليه الصلاة والسلام إلى
هرقل فهي^(٣) :

« من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم
الروم :

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد ، فإنني أدعوك بدعاية الإسلام ،
اسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله أجرك مرتين ،
فإن توليت فعليك إثم (الأريسيين) يا أهل
الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ،
ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ،
ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ،
فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » .

لكن كلمة الأكارين أو كلمة الفلاحين
وردت في بعض الروايات بدلا من كلمة
الأريسيين^(٤) .

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جلسة الأحد ٦ من جمادى
الأولى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٣ من مارس سنة ١٩٨٠ م) .

(١) كان هذا سنة ٩ هـ (٦٣٠ م) وقيل سنة ٨ هـ وقيل سنة ٦ . (تاريخ الطبري ٣ / ٨٩ و تاريخ الكامل
لابن الأثير ٢ / ٨٠ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٤٦١ والإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٣٨٥) .

(٢) صحيح البخاري ٤ / ٤٤ ، ٤٧ ، وصحيح مسلم ٣ / ١٣٩٦ ، وإنسان العيون المعروف بالسيرة
الحلبية ٣ / ٢٨٣ ، وصحيح الأعشى ٦ / ٣٧٦ ومجموعة الوثائق النبوية في العهد النبوي ٢٩ للدكتور محمد حميد الله
الحيدر آبادي . (٣) سورة آل عمران ٦٤

(٤) تاريخ الطبري ٣ / ٨٧ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٨٠ ، وصحيح الأعشى ٦ / ٣٧٧ .

ولم أجد في سيرة ابن هشام نصاً لأية رسالة من رسائل النبي إلى الملوك والأمراء واكتفى ابن هشام بالإشارة إلى الرسائل (١).

وأرجح أن كلمة الأريسيين هي الأصلية في كتاب النبي عليه الصلاة والسلام، وأن كلمة الأكارين أو الفلاحين رواية بالمعنى كما حدث في كثير من النصوص :

١ - فكيف نطق القدماء كلمة الأريسيين؟ لقد نطقوها هكذا (الأريسيين) بفتح الهمزة وكسر الراء الممدودة وكسر السين وبعدها ياء مشددة ممدودة (٢) :

وجاء في شرح صحيح مسلم أربع روايات في ضبط الكلمة :

أشهرها في روايات الحديث وفي كتب أهل اللغة هو الضبط السابق :

وثانيها مثله لكن بعد السين ياء واحدة .
وثالثها بكسر الهمزة وتشديد الراء وبعدها ياء واحدة وسين ممدودة .

ورابعها هكذا (اليرسيين) بياء مفتوحة وراء ساكنة وسين مكسورة بعدها ياء مشددة ممدودة :

٢ - وبماذا فسروها ؟

جاء في السيرة الحلبية وفي شرح صحيح مسلم أن المراد الفلاحون ، وأشار أصحاب

هذا التفسير إلى أن كلمة الأكارين أو كلمة الفلاحين وردت في بعض روايات الرسالة بدلا من كلمة أريسيين ، وقالوا إن الأكار هو الفلاح ، لأن أهل السواد ومن الأهم أهل فلاحة ، والمراد عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك ، ويتقادون لأمرك ، وخص هؤلاء بالذكر ، لأنهم أسرع انقيادا من غيرهم ، إذ الغالب عليهم الجهل والحفاء وقلة الدين (٣) .

وقال القلقشندي - بعد أن أورد صورة ثانية للرسالة من كتاب الأموال لأبي عبيدة جاء فيها قول النبي لهرقل :

« فلتأخّل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه » - إن أبا عبيدة قال : أراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن العجم عند العرب كلهم فلاحون ، وأهل زرع وحرث (٤) .

وفي شرح صحيح مسلم أن المراد اليهود والنصارى ، وأتباع رجل اسمه عبد الله بن أريس :

وفي المعاجم الثلاثة : لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس (٥) : الأريسي والأريس على وزن جليس ، والإريس على وزن سكييت : الخادم ، والأكار ، وفلاح السواد الذي لا كتاب له .

(١) سيرة ابن هشام ٤ / ٢٥٤ .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) إنسان العيون ٣ / ٢٨٣ .

(٤) "صبح الأعشى" ٦ / ٣٧٧ .

(٥) مادة أرس .

وقيل إن الأريسيين قوم من المجوس لا يعبدون النار ، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم ، ويعبدون الله تعالى ، ويحرمون الزنا ، وصناعتهم الحراثة .

وقيل إنهم الأمراء وكبراء القوم الذين يمثل الناس أمرهم ، ويطيعونهم .

فهم في الكتاب النبوي القادرون على هداية قومهم ولم يهدوهم ، وأنت أريسيهم الذي يطيعونك ، ويجيبون دعوتك ، ويمثلون أمرك ، وإذا دعوتهم إلى أمر أطاعوك ، فلو دعوتهم إلى الإسلام لأجابوك ، فعليك إنهمهم .

وقيل إن في أتباع هرقل ملك الروم فرقة تعرف بالأروسية ، فجاءت كلمة الأريسيين على النسب إليهم .

أوهم عبدة النار من الفرس ، لأنهم كانوا يفلحون الأرض بالشام ، إذ أنهم زراع ، وأهل الشام صناع .

وقيل إنهم أتباع عبد الله بن أرس ، وهو رجل كان في الزمن الأول ، وقد قتلوا نبيا بعثه الله إليهم .

أما أريسي فجمعه أريسيون ، وأما أريس فجمعه أريسون ، وأرارة ، وأرارس .

والفعل أرس يأرس من باب ضرب وأرس يؤرس تأريسا .

وفي كتاب من معاوية إلى ملك الروم ، وقد بلغه أنه يقصد بلاد الشام أيام صفين : لأردنك أريسا من الأرارة ترعى الدوابل (١) .

وفي حديث آخر : فعليك إنهم الأريسيين .

٢ - لكن هذا التفسير يقتضى التعقيب :

(١) فهو لا يتفق على معنى كلمة (أريسيين) ، لأنهم الفلاحون ، أو الخدم ، أو الفلاحون الذين لا كتاب لهم ، أو قوم من المجوس يعبدون الله ولا يعبدون النار ، أو الأمراء والكبراء ، أو القادرون على هداية الناس ، أو هم فرقة من أتباع هرقل لم يبين الشراح حقيقتها ، أو هم أتباع رجل اسمه عبد الله بن أرس أو ابن أريس ، أو هم اليهود والنصارى .

(ب) وإن استبعد من المناقشة الزعم بأنهم أتباع رجل اسمه عبد الله بن أرس أو ابن أريس لأن هذا كلام لا أصل له ، ولا سند ، ولو فرضنا أنه شبه صحيح بلقاء النسب إلى أرس على هذه الصورة أريسيون .

كما استبعد أنهم جماعة من المجوس يعبدون الله تعالى ، ولا يعبدون النار ، لأن المجوس كلهم منذ كانوا عبدة للنار ، وليست فيهم طائفة تعبد الله ، وإلا ما كانوا مجوسا .

(١) الدوابل : جمع دابل وهو الخنزير

وليس من الصواب في شيء أن تفسر الكلمة بأنها تعني الأمراء والكبراء والقادرين على هداية الناس ، فإنه لا مسوغ لهذا التفسير .

ومن الميسور دحضه بعدة اعتراضات :

لماذا اختص النبي الأمراء والكبراء بالذكر؟

وهل كان الأمراء والكبراء في أي بلد وفي أي عصر سباقين إلى اتباع المذاهب الجديدة ؟

ألم يكونوا حراساً أشد الحرص على مناصبهم ومنافعهم ونفوذهم؟

وهل كانوا يطمعون إلى أن الدين الجديد سيكفل لهم ما يتمتعون به من نفوذ ومكانة؟

لا ، فإنهم كانوا يتخوفون من الدين الجديد أن يسلبهم ما ليس لهم بحق ، فلا بد أن يعارضوه وأن يصدوا الناس عنه .

وقد حدث فيما بعد ما يؤكد هذا ، إذ تصدى كثير من كبراء الشام للدعوة الإسلامية ، وحاربوها حينما بلغتهم حتى نصر الله دينه في خلافة أبي بكر وعمر .

ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام ليحمل هرقل أوزارهم ، وهم ليسوا

أسرع تقبلاً للإسلام من غيرهم ، ولم يكن النبي ليختصهم ويهمل ذكر الشعب وهم الأكثرية ، وهم الأقربون قبولاً للإسلام . وما ذكروه في معنى الكلمة أنهم الفلاحون .

وهذا تفسير بعيد ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يذكر في كتبه الأخرى إلى الملوك والولاة صنفاً من الناس ذوى حرفة ، فمثلاً في كتابه إلى المقوقس عظيم مصر قال : فإن توليت فإنما عليك إثم القبط^(١) ولم يقل : فعليك إثم الأكارين أو الفلاحين :

وأندر كسرى بأنه إن تولى فعليه إثم الخوس^(٢) ، وأوعد النجاشي أنه إن صد عن الإسلام فعليه إثم النصارى من قومه^(٣) . فلماذا اختص الفلاحين في كتابه إلى هرقل ؟

أما القول بأنهم سكان السواد فإنه واضح البطلان ؛ لأن السواد جزء من العراق الخاضع لفارس في ذلك الوقت ، لا جزء من الشام .

وكأنما حاول القائل به أن يسوغه ، فقال إن سكان السواد من أبناء الفرس كانوا يفلحون الأرض بالشام ، إذ إن أهل الشام

(١) تاريخ الطبري ٨٥/٣ وإنسان العيون ٢٩٥/٣ ومجموعة الوثائق النبوية ٥٠ وصبح الأعشى ٦ / ٣٧٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٩٠ / ٣ وصبح الأعشى ٦ / ٣٧٨ وإنسان العيون ٣ / ٢٩١ ومجموعة الوثائق النبوية ، ٤٤ وتاريخ الكامل لابن الأثير ٢ / ٨١ .

(٣) تاريخ الطبري ٨٩ / ٣ ومجموعة الوثائق ٢٦ .

صناع لا يجيدون الفلاحة ، وأهل فارس
زراع لا يحسنون الصناعة :

وهذا تأويل لا سند له من تاريخ الأمتين .

ثم إنه ليس من المعقول أن يُلقب النبي
على كاهل هرقل ملك الروم وزر قلة
ضئيلة من مجوس الفرس مقيمين في ملكه ،
ويخليه من أوزار أكثر قومه ، وهم نصارى
أقرب من المجوس إلى تعاليم الإسلام وإلى
تقبله .

وليس من الصواب الزعم بأن العجم
كلهم في نظر العرب أهل زرع وحرث :

وإنه ليدحض هذا الرأي أن كتب النبي
الأخرى إلى العجم الآخرين لم ترد فيها كلمة
الفلاحين :

ومن مجافاة الصواب القول بأن الأريسيين
هم اليهود والنصارى ، لأن هذه الكلمة
لم تستخدم للدلالة عليهم في أى عصر وفي
أى وطن :

وقد جرى القرآن الكريم على إطلاق
(أهل الكتاب) على اليهود تارة وعلى اليهود
والنصارى تارة ، على حين أنه إذا أراد
اليهود وحدهم كان يسميهم أحيانا اليهود
وأحيانا بنى إسرائيل ، وإذا أراد النصارى
وحدهم كان يطلق عليهم كلمة النصارى .

وإذا ما رجعنا إلى كتب النبي التي
بعثها إلى الملوك نجده ذكر كلمة النصارى
في كتابيه إلى النجاشي والمقوقس ، فن
غير المعقول أن يعبر عن اليهود والنصارى
معا بكلمة الأريسيين في كتابه إلى هرقل :

أما الزعم بأن اليهود والنصارى اتبعوا
ذلك الشخص المسمى بعبد الله بن أرس
أو أريس^(١) فهو زعم يحمل بطلانه ، لأنهم
لم يجتمعوا في عهد ما على عقيدة ، ولم يلتفوا
يوما ما حول داعية ، إذ أن بينهم من
العداء والاختلاف مالا تنطق به ناره ، وذلك
الاسم المزعوم لا يعدو أن يكون أسطورة :
أما قول الزبيدي : وقيل إن في أتباع
هرقل ملك الروم فرقة تعرف بالأروسية ،
فجاءت كلمة الأريسيين على النسب إليهم
فهو أقرب إلى الصواب مما عداه :

ولكن النسب إلى الأروسية كان ينبغي
أن يكون أروسيين لا أريسيين كما وردت
الكلمة في الروايات المعتمدة :

كلمة كاشفة

في تاريخ المسيحية داعية كبير عظيم
الشأن اسمه أريوس^(٢) Arius دعا
في مصر إلى التوحيد الخالص ، وأنكر
ما جاء في الأناجيل يوهي ألوهية المسيح
عليه السلام ، وقال إن الأب وحده هو
الله ، وإن المسيح مخلوق مصنوع ، وقد
كان الأب إذ لم يكن الابن ، وبهذا

(١) كما جاء في شرح مسلم أو ابن أرس كما جاء في تاج العروس .

(٢) ولد حوالي ٢٥٦ وتوفي سنة ٣٢٥ م بالقسطنطينية .

عارض ما كانت تديعه كنيسة الإسكندرية
من ألوهية المسيح (١).

وذاعت تعاليم أريوس ، وصار له
كثير من الأشياع ، فدانت بها كنيسة
أسيوط ، واعتنق مذهبه كثير من الأتباع
الأقوياء في الإسكندرية نفسها ، وفي
مقدونية وفلسطين والقسطنطينية .

وأراد بطريرك الإسكندرية أن يقضي
على تعاليم أريوس ، لكنه خشى إن اعتمد
على الحاجة والمناقشة أن ينتصر عليه أريوس ،
فعند إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة ،
واعتمد في هذه العقوبة على أنه رأى في
النام أن السيد المسيح يتبرأ من أريوس
ويلعنه .

لكن آراء أريوس لم تزل قوية منتشرة .
فلما تولى أمر كنيسة الإسكندرية
البطريرك إسكندر لجأ إلى الأناة ، والدهاء
فكتب إلى أريوس وكبار أنصاره يدعوهم
إلى الخضوع لتعاليم كنيسة الإسكندرية ،
فلم يستجيبوا له ، فعقد مجمعا بكنيسة
الإسكندرية حكم على أريوس بالحرمان ، فلم
يرهب أريوس ، ولم يخضع ، وغادر
الإسكندرية إلى فلسطين ، وشجعه على
إصراره أن كثيرا من الأساقفة يدينون
بما يدين به ، مثل أسقف فلسطين وأسقف
مقدونية وأسقف نيقومدية ، وكنيسة أسيوط .

فلما تفاقم الخلاف تدخل قسطنطين
الأول امبراطور الروم ، فأرسل كتابا
إلى أريوس وإلى أسقف الإسكندرية يدعوهما
إلى الوفاق ، ثم جمع بينهما ، فلم يتفقا ، فدعا
إلى عقد مجمع كنسي عام في مدينة نيقية
(أزيك الحالية في آسيا الصغرى)
سنة ٣٢٥ م .

اجتمع في هذا المجمع ألفان وثمانية
وأربعون أسقفا من مذاهب متعددة في
شأن السيد المسيح وأمه السيدة مريم .
وكان رأى بولس الرسول أن المسيح إله ،
وتبعه في هذا الرأي ثلاث مئة وثمانية
عشر أسقفا ، وخالفه الباقون ، وجنح
الإمبراطور قسطنطين الأول إلى هذا
الرأي الذي دانت به الأقلية ، وعقد
مجلسا خاصا لحولاء ، وجلس في وسطهم ،
وانتهى إلى فرض اعتقاد ألوهية المسيح
بالقوة والسيف ، وإحراق الكتب المخالفة
لها ، وتحريم قراءتها ، والحكم على تعاليم
أريوس بأنها بدعة وإلحاد ، وتقرر نفيه .

لم يغرب رأى أريوس ، على الرغم من
قوة الامبراطور وقرار مجمع نيقية ، بل
ظل قويا بأنصاره والدعاة إليه ، ومن مظاهر
قوته أنه في المجمع الإقليمي بمدينة صور
احتدم الجدل بين أوسابيوس أسقف
مدينة نيقومدية والفريق المشايخ له . وهم

ولم تصل إلينا منها إلا مقتبسات فيما كتبه أثناسيوس .
Athrasius

(١) كتب أريوس تعاليمه في رسالته ثاليا Thalia

يديئون بمذهب أريوس - وبين رئيس
كنيسة الإسكندرية ، حتى إنهم ضربوه ،
وكادوا يقتلونه .

كذلك من مظاهر قوة تعاليم أريوس
أنها في عهد قسطنطين الثاني ابن قسطنطين
الأول سادت في القسطنطينية وبيت المقدس
وأنطاكية وبابل والإسكندرية وأسيوط ،
حتى إن ابن البطريق قال إن أكثر سكان مصر
والإسكندرية كانوا على مذهب أريوس ،
وقد غلبوا على الكنائس ، ووثبوا على
أثناسيوس بطريرك الإسكندرية ليقتلوه
فهرب واختفى .

كانت القوة الحاكمة تصادر مذهب
أريوس ، ولكنه كان أقوى منها بالدعاة
إليه ، مثل مقدونيوس ، إذ جاهر بأن
الروح القدس ليس إلها ، بل هو مخلوق
مصنوع ، فاجتمع في القسطنطينية مئة
أسقف وخمسون ، واختاروا أسقف
القسطنطينية رئيسا عليهم ، وقرروا لعن
مقدونيوس ومن يقول بمقالته .

وظهر بعد ذلك من أتباع تعاليم أريوس
داعية آخر اسمه نسطور ، دان بأن
المسيح إنسان مملوء بالبركة والنعمة ،
وأنه رسول من الله وملهم وموحي إليه ،
وكان لنسطور أتباع هم الناطرة .

فاجتمع مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م
ومجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م ، وصدر

من كل منهما قرار ببطلان رأى نسطور ،
ولعنه ، ونفيه إلى مصر .

ثم كان مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م
لتأييد قرار مجمع أفسس الثاني . لكن
المذهب بقي ذا آثار في العراق والموصل
والفرات والجزيرة .

ثم ظهر يعقوب البراذعي - وهو
من أشياع مذهب أريوس - فجعل يذيع في
حماسة وقوة حجة وإقناع مذهب التوحيد
في البلاد الرومية وفي مصر ، ورسم تسعة
وثمانين أسقفا وألوا من الكهنة والقساوسة ،
وكان ذلك في القرن السادس الميلادي .

ويغنينا في هذا المقام أن تعاليم أريوس
كانت ذائعة وقوية في الشرق منذ عصره
إلى القرن السابع الميلادي .

وقد كانت رسالة النبي إلى هرقل في
سنة ٦٣٠م أي في الثلث الأول من هذا
القرن .

(٣)

رأى جديد

بعد هذا التطواف آمل أن أكون قد عثرت
على المفتاح الذي أستفتح به الخزانة المغلقة
التي كترت النطق الصحيح والمعنى الصواب
لكلمة أريسيين هذا الزمان الطويل .

والذي أرجحه أن الكلمة منسوبة إلى
أريوس ، على هذه الصورة (أريُس) ،
وجاء جمعها على هذه الصورة (أريُسيين) .

فهى تعنى أتباع أريوس ، لأنهم
يدينون بالتوحيد الخالص الذى جاء به
الإسلام ، وأكدوه القرآن الكريم والحديث
النبوى الشريف :

وقد اختصهم النبي بالذكر ، لأنهم سيرة حيون
بالإسلام ، ويعتقونه ويذيعونه حينما
تبليغهم دعوته القائمة على التوحيد الخالص ،
وعلى التصديق بالرسالات السابقة والكتب
المنزلة الماضية ، وعلى الاعتقاد بأن عيسى
عليه السلام إنسان ولدته أمه السيدة مريم
العارية من غير أب :

فعلى هرقل أن يفسح الطريق لإبلاغهم
هذه الدعوة ، ليكون له أجران ، أجر على
نصرانيته ، وأجر على إسلامه إذا أسلم .
فإن أعرض عن الإسلام ، وصدة عن
الدعوة إليه ، كان عليه وزر هذه الفرقة
المسيحية الموحدة التى ستلقى الإسلام إذا
بلغها بهاشة وتأيد . وإنه ليعزز هذا أن كلمة
أريوس Arius تنطق هكذا (أريُس)
بغير مد إلياء ، فالنسب إليها أريسيئ
ونجمه أريسيون .

فهل اتضح النطق الصحيح للكلمة التى
وردت فى كتاب النبي ؟ نعم ، إن الصواب
النطق بها فى التعبير هكذا : فعليك إثم
الأريسيين (بفتح الهمزة وسكون الراء
وضم الياء وكسر السين وبعدها ياء مشددة
مكسورة ممدودة) .

وليس من الصواب النطق بها هكذا :
أريسين (بفتح الهمزة وكسر الراء الممدودة
وكسر السين وبعدها ياء مشددة مكسورة
ممدودة) كما نجد فى المصادر القديمة كلها .

ويعزز هذا أن رسم الكلمة واحد فى
النطقين ، فالتبس النطق الصحيح على
المدونين ، فاختلفوا فى معناها كما تقدم .
وبعد :

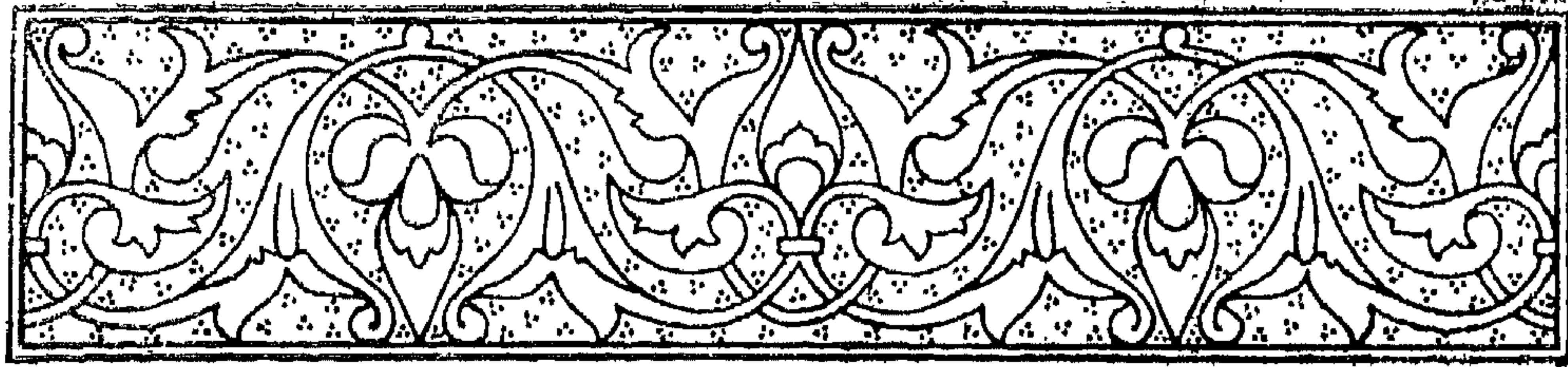
فلأنى أرجو أن يكون قد تكشف النطق
الصائب والتفسير الصحيح للكلمة .
أغلب ظنى أن كلا منهما قد اتضح واستبان ،
والله الموفق والمستعان .

المراجع

- ١ - أخبار قبط مصر ؛ المقرئى . طبعة
جونتجن ١٨٤٥ م .
- ٢ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب :
ابن عبد البر . مطبعة نهضة مصر .
- ٣ - الإصابة فى تمييز الصحابة . ابن حجر
العسقلانى . مطبعة نهضة مصر .
- ٤ - إنسان العيون فى سيرة الأمين والمؤمن
المعروف بالسيرة الحلبيّة :
برهان الدين الحلبي .
- ٥ - تاج العروس . الزبيدى .
- ٦ - تاريخ الأقباط فى مصر . زكى
شنودة .

- ٧- تاريخ الأمة القبطية . سليم سليمان .
مطبعة التوفيق ١٩٣١ .
- ٨- تاريخ الرسل والملوك . المطبعة الحسينية
بمصر .
- ٩- تاريخ الكتاب المقدس : الدكتور
يوسف منصور :
- ١٠- الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة :
طبعة ١٩٢٣ :
- ١١- السيرة النبوية . ابن هشام . تحقيق
السقا وزميليه .
- ١٢- سيرة الآباء البطارقة . أبو البشر
ساويرس أسقف مدينة الأشمونين
(الملقب بابن المقفع) بيروت سنة ١٩٠٧م .
- ١٣- صبح الأعشى : القلقشندي . مطبعة
دار الكتب المصرية .
- ١٤- صحيح البخاري . المطبعة الأميرية
١٣١٤ هـ .
- ١٥- صحيح مسلم . دار إحياء الكتب العربية
١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م .
- ١٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل :
ابن حزم .
- ١٧- قصة الكنيسة القبطية : إيريس حبيب
المصري .
- ١٨- القاموس المحيط : الفيروزآبادي .
- ١٩- الكامل في التاريخ . ابن الأثير ، مطبعة
بولاقي ١٣٠٣ هـ .
- ٢٠- لسان العرب . ابن منظور .
- ٢١- مجموعة الوثائق النبوية والخلافة الراشدة
محمد حميد الله الحيدر آبادي
- ٢٢- محاضرات في النصرانية . محمد
أبو زهرة .
- ٢٣- الملل والنحل . الشهرستاني .
- ٢٤- نظم الجوهر : سعيد بن البطريق .
مطبعة اليسوعيين ١٩٠٦ م .
- ٢٥- THE OXFORD
DICTIONARY OF THE
CHRISTIAN CHURCH

أحمد الحوفي
عضو المجمع



قضايا أهل الشعر العربي

لأستاذ محمد عبد القنى حسن

أيها السيدات والسادة :

قضايا الشعر في القديم والحديث كثيرة، والشعراء لا يستر يحون ولا يريحون . . . فهم منذ القدم أثاروا كثيرا من المسائل المشككة والأمور المعضلة . . . ألم يثيروا في أدبنا المعاصر قضية « الشعر الحر » أو الشعر المنفلت أو الشعر المتسبب أو الشعر المتمرد كما يحلو لخصوم هذا الشعر أن يسموه نكاية به وإزراء عليه . كأننا في هذا العصر القلق المتعب لم تكفنا مشاكل السياسة ، ومشاكل الطعام ، ومشاكل غزو البلاد الآمنة المطمئنة ، ومشاكل حصار السفارات وحجز الرهائن الأبرياء لشهور طوال ، فجاءنا إخواننا شعراء التجديد ، بمشكل جديد. فصرنا منهم كما قال شاعرنا القديم :

ولو كان هما واحدا لاحتملته

وامكنه هم ، وثان ، وثالث

ونحن في هذا المقام — الذى لو يقوم فيه الفيل أو فياله لزل عنه وزحل — لنرجو أن يكون كلامنا خفيفا على قلب هؤلاء الشعراء المتمردين على قيود العروض ، حتى ولو كانت تلك القيود مجدولة من الذهب والجمان الخالص . .

ومن الغريب أن شيخنا وإمامنا وأمرنا « شوقي » قد رفض كل قيد في الحياة ، اتباعا لمذهبه العظيم في تقديس الحرية الغالية حين قال :

والقيد لو كان الجمال مفصلا لم [يحمل] إلا قيود الشعر بأوزانه وقوافيه فقد قبلها شوقي راضيا مختارا ، ونظم منها كل شعره المعجز المبدع . فما استعصى عليه معنى ، ولا عزت عليه فكرة ، وجاء شعره سويا كالطبع السوى ، والخلق الرضى . وكذلك كان أستاذنا وزميلنا الراحل عزيز أباطة حين دافع عن قيود الوزن والقافية في محاضراته الرائعة (الشعر بين أضيل وهزيل) (التى ألقاها في مؤتمر الدورة السابعة والثلاثين سنة ١٩٧١ م) ولهذا لن نتعرض الليلة لقضية « الشعر الجديد » إيثارا للسلامة ، واكتفاء بما قاله الكرام الراحلون من أمثال : عباس محمود العقاد ، وعزيز أباطة ، وعلى الجندى ، وبهجة الأثرى ، وصالح جودت ، فى الرد على هذا المذهب الوافد الغريب . ولأننا نود أن نصبر على هذا المذهب زمنا حتى يثبت جفءه من نفعه ،

(*) انظر التمهيدات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جلسة الثلاثاء) العننية ٧ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ، الموافق ٢٠ من مارس سنة ١٩٨٠ م) .

ولأننا من ناحية ثالثة لانود أن نتعرض
لعداوة الشعراء ، عملاً بالحكمة الشعرية
القديمة القائلة :

وعداوة الشعراء بثس المقتنى !

كما لن نتعرض هذه الليلة للخطأ اللغوى
في الشعر ، ولو أنه شائع اليوم بلا انضباط
بين أبنائنا وإخواننا الشعراء العموديين ،
أو بعبارة أدق شعراء الوزن والقافية ؛

وسكوتنا عن التعرض للخطأ في الشعر ليس
لضعف منا ، ولا لإباحة له . . . ولكننا
نكتفى بما حكم به عليه شيوخ النقد في
القديم من أمثال الخرجاني صاحب الوساطة
وأبي هلال العسكري صاحب الصناعتين
والقزاز القيرواني صاحب كتاب (ما يجوز

للشاعر في الضرورة) وابن فارس صاحب
كتاب (الصحاح) في فقه اللغة وسنن العرب
في كلامها) وصاحب رسالة (ذم الخطأ
في الشعر) التي نشرها الدكتور رمضان
عبد التواب محققة مدققة في الجزء الذي
صدر أخيراً من مجلة معهد المخطوطات العربية .

ولابن فارس كلام جيد لا بأس أن نستحضره
هنا حيث يقول : (فإن قالوا إن الشاعر
يضطر إلى ذلك لأنه يريد إقامة وزن شعره ،
ولو أنه لم يفعل ذلك لم يستقم شعره ، قيل
فهم : ومن اضطره أن يقول شعراً لا يستقيم
إلا بأعمال الخطأ ! ونحن لم نسمع بشاعر
اضطره سلطان أو ذو سطوة بسوط أو سيف إلى

أن يقول في شعره ما لا يجوز أو ما لا يُجيزونه
أنتم في كلام غيره . فإن قالوا إن الشاعر يعنُّ له
معنى ، فلا يمكن إبرازه إلا بمثل اللفظ القبيح
المعيب قيل لهم : هذا اعتذار أقبح وأعيب .
وما الذي يمنع الشاعر إذا بنى خمسين بيتاً
على الصواب أن يتجنب ذلك البيت المعيب ،
ولا يكون في تجنبه ذلك ما يوقع ذنباً أو
يودي بمروءة ؟)

الواقع أن التشدد في نقد الأخطاء في الشعر
سيحمد أثره ، كسند الأخطاء في الوزن
والقافية . ولن يجرنا إلى أن نلتقي مع شاعر
كبير من الرواد في اللغة والشعر ، والأدب
حين يقول - رحمه الله - من قصيدته عن
الأم (ست الحبايب)
ما أشق الحياة لولا نسيم
من لدن أمهاتنا يهب نديا

بزيادة سبين خفيفين في الشطر الثاني
انكسر بهما الوزن كسراً لا يجبر ، وصوابه
أن نعدل عن صيغة الجمع في (أمهاتنا) إلى
صيغة المفرد ، فيعتدل الميزان حين نقول :

(من لدن أمنا يهب نديا) ولو أن التعبير
بالجمع هو الأليق والأوجب هنا :
والتشدد في النقد أيضاً لن يجرنا إلى أن نلتقي مع
هذا الشاعر الكبير نفسه في قوله من قصيدة
(لغز الألفاظ) والضمير في البيت يعود
على (حواء) ، وهي كناية عن المرأة في
كل العصور .

وهي فينا تقيست ذاتها تستطيع

منالا لكل مالا ينال

والبيت كما تشهد آذانكم الموسيقية وقواعدنا
العروضية مكسور كسرا لا يصلحه
« برسوم » المحبر ، ولاحتى زميلنا الراحل
الطبيب الجراح مجبر العظام الدكتور محمد
كامل حسين ، عليه رضوان الله .

بعد هذه المقدمة — وقد طالت والتمست
عفوكم — سيكون حديثنا الليلة حول
قضيتين اثنتين من قضايا الشعر : الأولى :
اضطراب الوزن وعدم إقامته ، والثانية
نسبة الشعر إلى غير أصحابه الأصليين .

وسنرتد بالقضيتين إلى الأدب القديم ،
وصولا بنا إلى الأدب المعاصر الذي هو
مناط دورتنا الجمعية الحاضرة السادسة
والأربعين ، ومدار المحاضرات فيها .

يدخل الشعر العربي مجال الاستشهاد به
من أبواب كثيرة . . فهو مليح حين
يُقرأ أو يسمع ، وهو مليح حين يُستشهد
بالبيت أو الأبيات منه لتأييد قضية ، أو
إذاعة محمداً ، أو بناء مكرمة ، مما يؤكد
صدق شاعرنا أبي تمام :

ولولا خلال سنّها الشعر مادي

بغاة العلا من أين توثى المكارم
ويبدو أن كثرة الاحتفال بالشعر ، والاحتشاده
في الاستشهاد كانت سببا في الحناية عليه . .
كما أن العناية بروايته أدت إلى قلة الاهتمام
بمتمنه ونصه ، ووزنه وصحة نسبته إلى
أصحابه .

وبهذا غدونا أمام سيل هرم من الأوهام
والأخطاء ، وأصبح كل ما يروى يسمى
شعرا . سواء أكان موزونا أم غير موزون .

وإذا كنا قد أنزلنا الشعر منزل الاحتفال
والاهتمام ، والإيثار بالاستشهاد ، فلا بد أن
نرويه على أصح وجوهه ، وأسلم أوزانه ،
وإلا غدونا الحدود التي وضعها له العرب .
ونخلطنا في روايته بين عمل صالح وآخر سيئ .

ولا يقال في هذا المقام إن النبي عليه
السلام كان لا يفرق بين الشعر الموزون
 وغير الموزون ، على الرغم مما أثر عنه من
تقدير للشعر الكريم الصادق ، ولكرام
الشعراء الذين نظموه . فإن الله ما علمه الشعر
مخافة أن يتهم بما لم يسلم منه الشعراء وأتباعهم
من الغاوين . . وقد شهد الله له بقوله :
(وما علمناه الشعر وما ينبغي له) .

وهناك أكثر من حادثة تؤكد أن
النبي عليه السلام لم يكن يقيم وزن الشعر
حين يستشهد به أو يرويه : وليس ذلك
بعائبه أو ناقص من قدره . : فإنه من
الفصاحة بالمكان الذي لا يطاول ، ومن البلاغة
في قمة لاتداني ، ولكنه في الشعر غير ذلك

يروى أن الشاعر « سحيا » عبد بنى
الحسحاس — وديوانه محقق منشور بعناية
العلامة المغفور له عبد العزيز الميمنى
الراجكوتى — كان النبي صلى الله عليه وسلم —

يستشهد ببعض شعره الحكيم . فتمثل يوما
بقوله :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

ولكنه رواها هكذا : كفى بالشيب والإسلام
للمرء ناهيا

مما أخل بالوزن ، وجانب الأصل . وكان
أبو بكر الصديق رضى الله عنه حاضرا ذلك
المجلس النبوى ، وسامعا رواية النبي فقال :
إنما هو : (كفى الشيب والإسلام) . .
فأعادها النبي عليه السلام كالأول على غير
وجهها الموزون ، فقال أبو بكر معقبا
ومعلقا : (أشهد أنك لرسول الله ، وما علمناه
الشعر وما ينبغي له) .

وفى حادثة ثانية روى النبي عليه السلام
بيت الشاعر طرفة بن العبد :
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
هكذا :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك من لم تزود بالأخبار
فاختل الوزن وتغيرت القافية ولكن بقي
المعنى الجليل كما هو لم تغيره الرواية . .

وفى حادثة ثالثة روى عليه الصلاة والسلام
بيت الشاعر العباس بن مرداس :
أتجعل نهي ونهي العبيد
بين عينة والأقصر
هكذا :

أتجعل نهي ونهي العبيد
بين الأقصر وعينة

ولا يعنى هذا إغفالا من النبي عليه السلام لقدر
الشعر أو إهمالا له ، وإلا فكيف يتفق هذا
مع اهتمامه بروايته والاستشهاد به ؟ وإنما كان
ذلك انصرافا منه عن قول الشعر وإقامة وزنه
حين يرويه ، حتى تتحقق شهادة الله له كاملة
من ناحية النظم أو الإنشاد أو الاستشهاد .
وقد عرفنا موقفه الكريم من الشعراء الذين
نصروه بالسنتهم ، حين دعاهم إلى الرد
على شعراء قريش من أمثال عبد الله بن
الزبعرى ، وكعب بن الأشرف ، وأبي
سفيان بن الحارث . وهل ننسى شعر حسان
ابن ثابت فى الدعوة وفى الدفاع عن النبي ؟
وفى هجاء المشركين من قريش ؟ وهل ننسى
شعر عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ؟
وهل ننسى - فوق ذلك - أنه كان عليه
السلام يكثر من استنشاد الشاعرة «الخنساء»
شعرها فى رثاء أخيها صخر ، ويقول لها :
هيه يا خناس ! أى زينا . وهل ننسى أنه
استمع لكعب بن زهير وهو ينشد أمامه

(١) العبيد بضم العين اسم فرس للشاعر .

لاميته المعروفة باسم « بانث سعاد » فعفا عنه ، وأثابه عليها بردة اشتراها منه معاوية ابن أبي سفيان بمال كثير ؟؟

ونحن حين ندعو إلى ضرورة إقامة الوزن حين ننظم الشعر أو نرويه - منشدين أو مدونين - لا نجرى هذه القاعدة الحتمية على النبي محمد بن عبد الله ، ولانلزمه بها ، فقد أرفعه الله بشهادته فوق هذه القاعدة ، أما من عدا محمدا من كل عربي أو ناطق بالعربية فإننا نأخذه بقيود الشعر وحدوده التي وضعها له العرب ، لانستثنى من ذلك أحدا مهما كان شأنه ، وإلا بات أمر الشعر فوضى ، وتفلتا من ذلك القيد الذهبي الجميل الذي قيده به الأوزان والقوافي . . .

ومن عجيب الأمر أن شاعراً جاهلياً مرموق المكان ومن أصحاب المعلقة قد اختل الميزان الشعري بين يديه في معلقته أو مجمرته التي مطلعها :

أقفر من أهله ملحوب

فالقُطبيّاتُ فالذَنوبُ

ونستطيع أن نسمى شعرها مكسوراً إذا قسناه بالمقاييس الصحيحة الدقيقة التي وضعها الخليل بن أحمد . ولم يستطع أحد أن يعلل لنا سبب اضطراب الوزن عند (عبيد) ، ولماذا كانت نغمات هذا الشاعر الجود نشارا في الشعر العربي كله ؟ أكان ذلك منه فقدانا لحاسة الوزن السليم عند العربي الشاعر مهما كانت طبقة بين أصحاب الطبقات ؟ أم كان ذلك من اختلاف الرواة ؟ ولكن مهما اختلف

الرواة فإنّ عجيباً أن يرووا شعراً غير مستقيم الوزن : وهل فاتهم ذلك الاضطراب في الوزن ، أم عرفوه - بفطرتهم - وتركوه على حاله أمانة في الرواية ؟؟

وأيا ما كان الأمر فإن هذه الظاهرة الغريبة في شعر « عبيد » لم تفت أبا العلاء المعري الذي جاء بعد «عبيد» بقرون فقال مشيراً إلى اختلال الوزن عنده :

وقد يخطئ الرأي امرؤ وهو حازم
كما اختل في وزن القريض «عبيد»

وإذا كان عبيد بن الأبرص الجاهلي لم يسلم من اختلال الوزن في شعره كما لم يسلم من التفاتة ابن منظور والمعري إليه ، فإن الشاعر الجاهلي الآخر : (المرقش الأكبر) لم يسلم من اضطراب الوزن بين يديه في ميميته المشهورة المنشورة في « المفضليات » بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ، وزميلنا الأستاذ عبد السلام محمد هارون ومطلعها :

هل بالديار أن تجيب صمم
لو أن رسماً ناطقاً كلم
الدار قفر : والرسوم كما
رقش في ظهر الأديم قلم

ولم يسلم (المرقش) كذلك من نقد ناقد قديم بصير هو ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) حيث قال عن هذه الميمية : (والعجب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيرته ، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن

الروى ، ولا متخير اللفظ ، ولا لطيف
المعنى ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن إلا
قوله :

النشر مسلك والوجوه دنا
نير وأطراف الأكف غم

أقول : ومن الطريف هنا أن « ابن قتيبة »
قد جانب الصواب حين زعم أن الأصمعي
قد أدخل تلك الميحية في اختياراته المسماة
« بالأصمعيات » فهي لم ترد فيها ، ولكن
وردت في « المفضليات » للضبي ، وهو
غير الأصمعي ... وشتان بين الرجلين ، وبين
الكتابين ... وهو وهم من ابن قتيبة
يؤكد من جديد أن الكمال لله وحده . وقد
صححه زميانا العضو عبد السلام هرون
مشركاً مع المرحوم الشيخ أحمد شاكر .

وإذا كنا رأينا الآن أن الوزن الشعري
لم يستقم عند شاعرين من شعراء العصر
الجاهلي ، فإن شاعرين من فحول الشعراء
في القرن الثالث الهجري ، بل من فحول
الشعراء في تاريخ الشعر العربي كله
قد أخذ على كل منهما اختلال الوزن
واضطرابه بين أيديهما ، وهما أبو
تمام والبحري . فالناقد الإمام الحسن
ابن بشر الأمدى ت ٣٧٠ هـ وصاحب كتاب
(الموازنة) المشهور يقع على بيت مكسور من
همزية للبحري .

والبيت هو :

ولماذا تتبع النفس شيئاً
جعل الله الفردوس منه بواء

ويقول الأمدى في تعليقه على هذا الكسر :
(وكذلك وجدته في أكثر النسخ . وهذا خارج
عن الوزن) ثم أخذ عقب هذا يقطع البيت
تفعيلة تفعيلة ليكشف زيادة سبب خفيف
في البيت ، وهو الهاء من الله واللام
من كلمة الفردوس . وهذا عيب فظيع
في الشعر . ولكن الناقد عاد فروى للبيت
رواية أخرى تقول : (جعل الله الخلد منه
بواء) . ثم اعتذر له بقوله : (فإن
يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ..)

وفي كتاب (عبث الوليد) المنسوب إلى
« المعري » ذكر البيت مختلاً كما في (الموازنة)
ولكن فيه ما يؤخذ منه أن الذي أصلح الخلل
ووضع (الخلد) مكان (الفردوس) هو
ابن العميد والغريب أن « أبا العلاء » في
(عبث الوليد) أضاف بيتاً آخر مضطرب الوزن
عند البحري . وهو قوله :

وأحق الأيام بالحسن أن يؤ
ثر عنه يوم المهرجان الكبير

والأمدى في الموازنة كشف آخر عن وزن
مضطرب في شعر البحري وهو قوله :
حالاتنا عن حاجة ممنوع * مبتغاها وحاجة ممطولة
فتقطيعه ووزنه هكذا في العروض :
فاعلاتن مستفعلين مفعولن . وهذا لا يجوز

في العروض إلا في حالة التصريح ، أى
إذا كان البيت مصرعاً .

وقد تعقب الناقد الآمدى (أبا تمام)
كما تعقب البحترى ، فوقع عنده على
زحافات كثيرة في الصدر ، أو في العجز ،
أو فيهما معا والزحافات جائزة
غير منكرة إذا قلت ، ولكنها إذا جاءت
في بيت واحد في أكثر أجزائه أو تفعيلاته
فإن هذا في نهاية القبح ، ويكون بالكلام
المنثور أشبه منه بالشعر الموزون . ومن
أمثلة ذلك عند أبي تمام قوله :

يقول فيسمع ويمشى فيسرع
ويضرب في ذات الإله فيوجع

فحذف النون من (فعولن) الأولى .
وحذف الياء من مفاعيلن التي تليها . وحذف
بعد ذلك النون من فعولن التي هي في أول
الشطر الثاني . وهذا الحذف لخامس فعولن
وخامس مفاعيلن هو (القبض) عند أهل
العروض . وهو كله زحاف جائز . إلا أنه
لما جاء على الكثرة والتوالي في بيت واحد
قبح جدا . ومن هنا صح للشاعر المطبوع
(دعبل) أن يقول : (إن شعر أبي تمام
بالخطب وبالكلام المنثور أشبه منه بالكلام
المنظوم) . ولا يميز مثل هذا الاضطراب
النادر جدا في شعر أبي تمام والبحترى أن يتخذ
منه الشعراء الضعاف غير مكتملى العدة تكأة
يسترون بها ضعفهم ، ويسوغون بها أخطاءهم .

والحقيقة أن الشعر مركب صعب لا يجوز
أن يجترأ عليه ضعيف الأداة أو ناقصها وكما
اضطرب الشعر عند بعض الشعراء القدماء -
على خطأ منهم أو على جهل من الرواة أو
النساخ - فإنه قد اضطرب أحيانا عند بعض
الأدباء القدماء . فقد ذكروا أن « أبا على
القالى » صاحب « الأملى » كان لا يقيم
أوزان الشعر على كثرة روايته له ،
واستشهاده به . ومما يروى في ذلك أنه حين
وفد على الخليفة الأموى الأندلسى (الناصر)
هياؤا له ركبا إلى قرطبة حاضرة الخلافة في
احتفال عظيم ، احتشد فيه عدد من أدباء
الأندلس وعلمائها ، احتفاء بهذا الأديب الوافد
من المشرق . وكان (الناصر) - وابنه الحكم
من بعده - يكرمان الأدباء أوفى تكريم .
وأخذ ركب الأدباء يتذكرون الأدب والشعر
مع القالى في خلال مسيرتهم إلى قرطبة . . . إلى
أن تحاوروا يوما - وهم على المطايا - في أدب
«عبد الملك بن مروان» ومساءلته جلساءه عز
أفضل المناديل في بيت الشعر الجاهلى لعبدة :

ثمت قمنا إلى جرد مسومة
أعرافهن لأيدينا مناديل

فروى (القالى) البيت هكذا :

أعرافها لأيدينا مناديل

بدلا من (أعرافهن) ، مما انكسر معه
وزن البيت . . . فأنكرها واحد من أدباء
الركب هو « ابن رفاعة الألبيرى » .

وسكان أديباً ولكن في خلقه زعارة ،
وفي صدره حرج : . . واستعاد أبا على
القالي مرتين مستوثقا ، فأعادها القالي :
(أعرافها) لا(أعرافهن) .. فلوى ابن رفاعه
عنان مطيته منصرفا عن الركب ، قائلا في
حدة وسخرية وتعجب : أمع هذا يوفد على
أمير المؤمنين ، وتتجشم الرحلة لتعظيهم .
وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس
لا يغلط فيه الصبيان ؟ والله لا تبعته خطوة !
وانصرف عن الركب : . .

ولم يقف ركب الذين لا يقيمون وزن
الشعر منذ ذلك الزمن القديم إلى يومنا
هذا : . . حتى كبار الشعراء من أهل عصرنا
هذا أخذت عليهم مأخذ في الوزن حين نظموا
من محور فيها مزالق الخطر : . . ومن ذلك
مأخذ الشيخ إبراهيم اليازجي على «شوقي»
في روايته (عنراء الهند) حيث يقول :
هذى سماء الهند شاهدة
وأرضها والجبال والسهل
فإن نقلنا لبقعة قدما
فلهوى لا البقعة النقل

فجاء الشطر الثاني من البيت الثاني على
وزن مغاير للبحر الذي منه البيتان :
فالبيتان من المنسرح ولكن « شوقي » نقل
الشطر الأخير إلى البحر الكامل في ضربه
الأخذ المضمحل : . . .

ومازلنا نقع في المحلات والصحف العربية
على شعر مكسور لزملاء ورفقاء في الدرب
يعز علينا أن يختل في أيديهم الميران ، ما بين
زيادة أو نقصان . . .

ولعل من أعجب الأوهام في هذا الباب
عند القدماء ما فعله « ابن اسحاق » المؤرخ
الإخباري الذي أخذ عنه « ابن هشام »
سيرة الرسول عليه السلام . فإن ابن إسحاق
لم يكن ذا بصر بالشعر ولا صاحب علم به :
ومن هنا تسربت إلى السيرة التي دونها
ابن هشام أشعار كثيرة ، ولم يرد الرجل
— وهو بالشعر جده عليم — أن يسكت عنها ،
أو يصمت عن التعليق عليها ، فيعيدها
مضبوطة مستقيمة سوية .

والشعر المروى يملأ صفحات كثيرة
من كتب الأدب والتاريخ والسير والطبقات
والتراجم والمحاضرات والأخبار والنوادر :
« كالبداية والنهاية » لابن كثير : « والعقد
الفريد » لابن عبد ربه ، « وعيون الأخبار »
لابن قتيبة ، « ونفح الطيب للمقرئ » ، « والكشكول »
للعاملي ، « ومحاضرات الأدباء » للراغب
الأصبهاني ، « وسراج الملوكة للطرطوشي » ،
« والمستطرف للابشيhi » وغيرها . ولا بد أن
نأخذ الشعر في هذه الكتب بحذر ، وخاصة
فيما ظهر منها غير محقق أصلا ، أو غير دقيق
التحقيق فإن فيه اختلافا في الوزن وتحريفا
في الكلام يخرج عن وجهه ، وفيه خطأ
في نسبه إلى قائله ، وذلك باب اضطراب في
رواية الشعر العربي : . . .

ومن حسن الحظ أن يكون عالم فقيه « كالإمام الغزالي » ذا بصر بالشعر الذي يرويه في (إحياء علوم الدين) ، فهو يسوقه للتدليل والاستشهاد ، ويدونه على أصح وجوهه وأسلم رواياته وأبعدها من الاضطراب في الوزن ، وإن كان في كثير من الأحيان لا ينسب الأشعار إلى قائلها ، بل يكتفى بمثل قوله : قال الشاعر ، بدون تعيين . وهو في هذا على الضم من الإمام « أبي الحسن البصري الماوردي » صاحب « أدب الدنيا والدين » و « الأحكام السلطانية » ، و « أدب القاضي » وغيرها من الذخائر النفيسة .

فهو يسوق في كتابه (أدب الدنيا والدين) كثيراً جداً من الشعر للاستشهاد ، فيحسن روايته ويقيم وزنه ، وينسبه إلى قائله في كثير من الأحيان ، فإن كان على غير علم أو يقين بالقائل سكّت ولم يعين ، وما كان أكثر تحقيقه وهو يروي شعراً « لعدي بن زيد » العبادي الجاهلي كان يتوهم أنه لغيره . وروي الإمام الماوردي شعراً للعباس بن الأحنف يوهم أنه لغير العباس ، ولكن بالرجوع إلى ديوانه نجده له .

وعلى سبيل التقابل يحضرنا هنا المؤرخ ابن كثير ، فيبدو من تصفح كتابه (البداية والنهاية) أنه كان لا يقيم وزن الشعر ، هذا إلى أخطاء النسخ والطباعة في كتابه ، وإن كان « النعيمي » يقول عنه في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) أنه نظم الشعر .. ولكن

يبدو لنا من إجازته الشعرية لأحد تلاميذه أن الوزن الشعري لم يستقم بين يديه .

والشعر العربي مظلوم جداً حين يظلمه أصحابه اليوم بالكسر واختلال الوزن تحقيقاً للتراث ، وممارسة ، وإلقاء . . . وكثيراً ما تستك مسامعنا في المديح والتلفزيون وعلى خشبة المسرح بشعر يلقى مهشم الأضلاع . وإذا كان (سيبويه) يضج اليوم — وهو في رحاب الله — بأخطاء النحو ، وكذلك (الخليل) يضج بعثرات الشعر والشعراء ، فلما نلرجو للنحو والشعر اليوم صلاحاً على أقلام الأدباء والمتأديين ، وعلى السنة الرواة والمنشدين . وهناك طامة كبرى في زماننا هذا غير طامة الكسر في الشعر المنظوم والمروى في كتب التراث المحققة والمنشد في المناسبات ، وهي — أعني الطامة — نسبة الشعر إلى غير أصحابه الحقيقيين ، وقائله الأصليين . وإذا كان هذا حادثاً وجائزاً في العصور السابقة أيام كان الناس يعتمدون على الرواية الشعرية الشفوية ، ولم يكن هناك شعر مدون مسطور ، وإنما كان شعراً محفوظاً في الصدور ، فإن هذا غير جائز في زماننا هذا ، حيث يتم تسجيل الشعر وتدوينه عن طريق الكتاب المطبوع الذي تعد نسخه بالآلاف ، لا كما يعد الكتاب المخطوط على أصابع اليد الواحدة ، أو اليدين على الأكثر . . .

وأوهام القدماء في نسبة الشعر إلى غير قائله كثيرة جداً ، تقع في البيت الواحد

والبيتين والمقطوعة والقصيدة الكاماة .
وهذا باب في بحر لا ساحل له ، ولا سبر
لأغواره ، ويحتاج تحقيقه وضبطه وتصحيح
نسبه إلى مجلدات ، وإلى محققين ثقات ، يقابلون
كتب الأخبار والنوادر والمحاضرات والأدب
بعضها ببعض ، ويرجعون إلى دواوين
الشعراء في مخطوطاتها المتنوعة ، ليجتثوا
عن البيت المختلف في نسبه . ويسلك بعض
المحققين اليوم هذا المسلك الدقيق ، ولكنه
عمل يحتاج إلى جهد كبير من رجال التحقيق
العلمي للتراث .

وأذكر هنا بعض أو هام القدماء واضطرابهم
في نسبة مقطوعة كاماة ، أو قصيدة برمتها
إلى غير قائلها الحقيقي ، وهي مثال صغير
جداً من ذلك المزدحم الذي يعج به هذا
الباب :

فهذاك أربعة أبيات قافية رقيقة في الغزل
الذي ينظر فيه قلب الحب ، وهي
مشهورة في الحفظ ولكنها مضطربة في
النسب ، وهي :

إذا جنَّ ليلى هام قلبي بذكركم
أنوح كما نوح الحمام المطوق
وفوق سحاب يطر الحُم والأسى
رتختي بحار بالأسى تتدفق
سلوا « أم عمرو » كيف بات أسيرها
تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول في القتل راحة
ولا هو ممنون عليه فيطلق

فذكر « ابن خلكان » في الوفيات أنها
للصوفي الكبير سيدي أحمد الرفاعي المغربي
الأصل العراقي المولد المشهور الطريقة المعروفة
بالأحمدية ، أو البطائحية ، أو الرفاعية والمتوفى
سنة ٥٧٨ هـ . وفي « طبقات الأولياء » لابن
الملقن أنها للرفاعي أيضا . وذكر ابن الجوزي
المؤرخ - ضمنا لا صراحة - أنها لغير الرفاعي .
وأيد صاحب « شذرات الذهب » ما ذكره ابن
خلكان من أنها لسيدي أحمد الرفاعي .
وقد جاء الوهم والحاط مما ذكره ابن الجوزي ،
فقد قال إن سبب وفاة الرفاعي رضي الله عنه
أبيات أنشدت بين يديه ، تواجد عند سماعها
تواجداً كان سبب مرضه الذي مات فيه ،
وكان المنشد لهذه الأبيات - بين يدي الرفاعي
الشيخ - « عبد الغني بن نقطة » .

وهذا النص واضح الدلالة على أن الشعر
أنشده ابن نقطة في مجلس الرفاعي . فهو
ليس للرفاعي . ولا لابن نقطة . ولكنه
لشاعر آخر لا يزال غير محقق ، ولا يزال
ينتظر من يكشف اللثام عن أصله . . .

وأعجب من هذا قصيدة طويلة كاملة في
وصف الربيع الذي نعيش الآن في كنفه ،
يقول فيها صاحبها :

ورد الربيع فرحبا بوروده
وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيجه
وأنيق ملبسه ووشى بروده

فصل إذا افتخر الزمان ، فإنه
 إنسان مقلته ، وببيت قصيده
 يا حبيذا أزهاره ، وثماره
 ونبات ناجيه ، وحب حصيده
 وتجارب الأطياف في أشجاره
 كبنان (معبود) في مواجب عوده
 والغصن قد كسى الغلائل بعدما
 أخذت يدا (كانون) في تجريده
 والورد في أعلى الغصون كأنه
 ملك تحف به سراة جنوده
 وانظر لرجسه الخفي كأنه
 طرف تذبذبه بعد طول هجوده
 وانظر إلى المنظوم من مشوره
 متنوعاً بفصوله ، وعقوده
 أو ماترى الغيم الرقيق وما بدا
 للعين من أشكاله وطروده ؟
 والسحب تعقد في السماء مآتما
 والأرض في عرس الزمان وعياده
 فابكر إلى روض (الصراة) وظلها
 فالعيش بين بسيطه ومديده

وقد نسب مؤرخ الأدب : (المرادى)
 صاحب «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني
 عشر» هذه القصيدة إلى (محمد بن الطيب
 المغربي الفاسي نزيل (المدينة المنورة) وهو
 ممن ترجم لهم المرادى في كتابه . وهذا وهم
 كبير من صاحب سلك الدرر ، فالقصيدة
 من شعر صفي الدين الحلبي ، ومودعة ديوانه

قبل أن يولد ابن الطيب المغربي بقرون ،
 وقد جاءت في مجاني الأدب «للأب شيخو»
 صحيحة النسب إلى صفي الدين . ولو أن
 «المرادى» استعمل الطريق العلمي في التحقيق
 لتبين له أن «روض الصراة» هو روض
 مشهور بين بغداد والكوفة ، فهو من بلاد
 صفي الدين الحلبي . . . أما ابن الطيب
 فهو مغربي لم يبرح المغرب إلا حاجا لبيت
 الله ومجاورا في الحرم المدني ، فهو لا يعرف
 العراق ولا «روض الصراة» ولا مر بهما . .

أما أوهام المحدثين والمعاصرين في نسبة
 الشعر إلى أصحابه فهي ثقيلة وغلظة ،
 ولا مقتضى لها مع وجود الكتب المطبوعة
 على أعين أصحابها . . .

■ ومن هذه الأوهام ما وقع الأبيات الآتية :
 سهرت أعين ونامت عيون
 لأمر ، تكون أو لا تكون
 فاصرف الهم ما استطعت عن الله
 نفس فحملانك الهموم جنون
 إن ربا كفاك بالأمس ما كا
 ن سيكفيك في غد ما يكون

فقد نسبها صاحب كتاب (حفيد
 الرسول) ص ٣٦ إلى السيدة زينب رضي
 الله عنها ، كما نسبها العالم السعودي المعاصر
 الشيخ أحمد العربي إلى الإمام الشافعي في
 كتابه : (الإمام الشافعي) . وكلتا النسبتين
 غير صحيحة ، والصحيح والمحقق أنها لأبي
 عبد الله الملقب القرطبي ، كما ذكر ذلك

الإمام السيوطي في كتابه (بغية الوعاة)
٣٧ / ٢ . والقرطبي هذا هو غير الإمام
القرطبي المفسر المشهور .

ومن أغرب الأوهام ما وقع فيه لغوى
معاصر من نسبة البيتين الآتين إلى شاعر
معاصر :

قل لمن لا يرى الأواخر شيئاً
ويرى للأوائل التقديماً
إن ذاك القديم كان جديداً
وسيغدو هذا الحديد قديماً

والصحيح المؤكد أنهما لابن شرف القيرواني
صاحب (رسائل الانتقاد) التي نشرها المرحوم
حسن حسني عبد الوهاب باشا عضو مجمعنا .
والقيرواني هذا غير ابن رشيق القيرواني
صاحب كتاب (العمدة) في صناعة
الشعر ونقده ، وكانا متعاصرين وبيئتهما
خصومات أدبية ومهاجاة .

● ومن الأوهام في نسبة الشعر كذلك ما
وقع في أبيات وصف القطار الحديدي
التي تقول :

طرائق في نواحي القطر تباخنا
أقصى المراد ولم ننقل بها قدما
مصر كصفحة قرطاس بتربتها
غدا القطار عليها الخط والقلم
لنا غنى عن قطار السحب منسجما
ولا غنى عن قطار النار مضطربا

إلى أن يقول بيته المشهور في ختامها :
مع السلامة يامن سار مرتحلاً
عنا . وأهلاً وسهلاً بالذي قدما

فقد نسبها المرحومان عبد الفتاح صبري
باشا وعلى عمر بك في كتابهما : (القراءة
الرشيدة) إلى مصطفى بك نجيب والد المرحوم
سليمان نجيب مدير دار الأوبرا سابقاً ،
والصواب أنها للشيخ نجيب الحداد الشاعر
اللبناني المتمصر ، وابن شقيقة اليازجي ،
ويراها القارئ في ديوانه :

● وهناك الأبيات الرقيقة التي منها :
صاح في العاشقين بالكناية
رشاً في الحفون منه كنانه
بدوى بدت طلائع لحظه
فكانت فتاة فتاته

إلى أن يقول ناظمها هذا البيت المشهور :
خطرات النسيم تجرح خديه
ولمس الحرير يدمى بنانه

فقد نسبها قوم إلى بعض المشاركة ،
وتوقف قوم عن نسبتها لأنها لم يثبت لها
عندهم قائل . . . ونسبها صاحب كتاب
(الشوارد) - وهو من المجمعين المراسلين -
إلى أبي فراس الحمداني . والصحيح
واليقين أنها للشاعر المصري الحلبي الأصل :
«الشهاب الأعزazy» من شعراء العصر المملوكي ،
واشتهر بالموشحات وأبدع فيها ، كما
يشهد له ابن تغري بردي في «المنهل الصافي» .

وابن حجر في « الدرر الكامنة » . وتوجد هذه القصيدة الرقيقة في ديوان الأعزازی المخطوط ، والذي توجد منه نسخة جيدة الخط بمعهد المخطوطات العربية :

● أما القصيدة الوعظية التي اشتهرت بين الداعين إلى الزهد في زماننا هذا ، والتي تقول :

الزم باب ربك واترك كل دون
لا تجزع لرزقك ما قدر يكون

فقد اختلف قوم في نسبتها إلى قائلها، حتى لقد نسبها صاحب كتاب (الشرق في فجر اليقظة) إلى الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية ، وصاحب كتاب (المواهب الفتحية) ، والصحيح أنها للشيخ محمد عليش شيخ المالكية بالأزهر في عهد إسماعيل :

● ولقد نسبوا في كتبهم الحديثة أيضا إلى الشاعر محمود سامي البارودي الأبيات المشهورة :

أمطري لؤلؤا جبال سرنديب
وفيض آبار تكرر تبرأ
أنا إن عشت لست أعدم قوتا
وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي
نفس حر ترى المدلة كفرا

ولعل الشبهة جاءت من (جبال سرنديب) لأن البارودي الثائر نفي بعد إخفاق الثورة

العراقية إلى جزيرة سرنديب أو سيلان وقضى فيها مع رفاق النفي شطرا من عمره ، فتوهم المتوهمون أن سرنديب لا تأتي إلا على لسان البارودي ، ولا تخرج إلا من بين شفثيه ، فنسبوا الأبيات إليه ، وهي من ديوان الشعر الذي ينسب إلى الإمام الشافعي . وقد ذكرها المرحوم مصطفى منير أدهم في كتابه (رحلة الإمام الشافعي إلى مصر) منسوبة إليه هـ

● أما الأبيات التي تقول :

ولست أبالي أن يقال إله محمد
ألف أم اكتظت عليه المآثم
ولكن دينا قد أردت صلاحه
أحاذر أن تقضي عليه العمام

فقد نسبوها ظلما إلى الإمام محمد عبده : ولعل الشبهة هنا جاءت من رفض الدعوة إلى الإصلاح الديني ، بل وهم السيد رشيد رضا صاحب (المنار) وتلميذ الأستاذ الإمام وصفه فنسبها إليه أيضا في كتابه الضخم : (تاريخ الأستاذ الإمام) ص ١٠٢٦ ، على الرغم من شدة قربه له وصلته به . والصحيح أنها لعالم وفقه ووزير مغربي مصلح هو الشيخ محمد كنسوس ، أو أكنسوس ، المتوفى سنة ١٨٧٧ م أي قبل أن يرتفع للأستاذ الإمام ذكر ،

أو يدعو إلى إصلاح ، وقد نظمها هذا الوزير الأديب الشاعر أسفا على ما أصاب وطنه الإسلامى من جهل رجال الدين وتقاعسهم . ونحن مدينون بهذا التصحيح إلى كتاب (الآداب العربية فى القرن التاسع عشر) للأب لويس شيخو اليسوعى .

● ونسبوا إلى إسماعيل باشا صبرى هذين البيتين :

أقول لهم فى ساعة الدفن خففوا
على ولا تلقوا الصخور على قبرى
ألم يكف هم فى الحياة حملته
فأحمل بعد الموت صخرا على صخرى ؟

وكأنهم استبعدوا أن يكون هذا الشعر لقائله الحقيقى : أحمد شوقى مع ما رزقه الله من ثراء ينتفى معه الهم ؛ ونسوا أن الهم قد يطرق باب المثرى ، كما يطرق باب المكسدى على السواء . فليست هموم الدنيا فقد مال وحسب ، وفاتهم أن شوقى قال هذين البيتين فى ساعة من ساعات الضيق فى الحياة ونشرهما صديقه : أنطون الجميل فى مجلته (الزهور) فى حياة شوقى سنة ١٩١٠ فلم يكونا لشوقى لأنكر نسبتهما إليه ، ولصحح ذلك فى « الزهور » أو فى غيرها ، ولكنه لم يفعل ، ونحن نكبر شوقى أن ينتهب لنفسه شعرا ليس هو صاحبه . . .

● ونحتم هذه الأنساب والنسب الكاذبة فى الشعر بيتين قالوا إن حافظ إبراهيم نظمهما فى شيخ عصرى مشهور ، وكان معهما ، فى المجلس : مجلس الشراب أديب اشتهر بظرفه . . فقام الشيخ يصلى حين حان وقتها ، وبقي حافظ والآخر مكبين على الكئوس ، فقال حافظ :

الشيخ قام يصلى
ونحن نشرب عنه
تقبل الله منا
ولا تقبل منه . .

والواقع أن حافظ إبراهيم لم يكن ناظما للبيتين ، وإكته كان مستشهدا بهما من محفوظه ، فنسبهما أصحاب الفكاهات إليه ، وهما من منظوم « المقرئ » صاحب نفح الطيب وصديقه المولى أحمد بن شاهين أديب دمشق وظريفها فى القرن الحادى عشر : والحادثة هنا كالحادثة هناك فى ذلك الماضى البعيد : رحم الله الجميع ، وهدانا جميعا سواء السبيل .

محمد عبد الفنى حسن
عضو المجمع

توحيد المصطلح العلمي في النقل والتفريب للدكتور شوقي ضيف

- ١ -

أُمَّتُنَا

العربية أمة ذات وحدة لغوية ، وهى وحدة جعلت لنا عالما متميزا ، تتماثل شعوبه فى حياتها الروحية والفكرية والحضارية ، وهو تماثل قديم بدأ مع الفتوح الإسلامية؛ إذ هجرت تلك الشعوب لغاتها واتخذت العربية لغة القرآن الكريم لسانا لقلوبها وعقولها ، بحيث أصبحت منذ هذا التاريخ القديم تكون عالما واحدا عربى اللغة والوجدان والفكر . وسرعان ما تحولت العربية من لغة بدو الى لغة علم تستوعب كل ما عرفت الأمم القديمة من علوم ، وتضيف إليها إضافات رائعة ، مستغلة ، فى وضع مصطلحاتها العلمية ، ثروتها الهائلة من الأصول والمشتقات فى الأفعال والأسماء ، وهى ثروة تفوق فيها العربية جميع لغات العالم فى القديم والحديث ومن أكبر الدلالات على هذه الطاقات التى حازتها العربية قديما فى دنيا العلوم أنه حين بدأت إيران حركاتها الاستقلالية فى القرن الرابع

الهجرى ، وأخذت تستظهر لغتها الفارسية لم تجد بدا من أن تظسل قرونا عدة متمسكة بالعربية لغة للعلم ، مؤمنة بأن الفارسية لا تستطيع فى هذا المجال أن تسد مسدّها أو تغنى غناءها ، ويصور البيرونى فى القرن الخامس الهجرى بوضوح هذا المعنى قائلا : « إلى لسان العرب نُقلت العلوم فى أقطار العالم وازدانت وحلت إلى الأقدسة ، وسرت محاسن اللغة منها إلى الشرايين والأوردة . . . ويعرف مصداق قولى من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسية ذهب رونقه وكشف باله وزال الانتفاع به » وهى شهادة قديمة من عالم إيراني كبير بعقريّة العربية فى أداء العلوم :

ومن أهم ملامح هذه العقريّة أنها مكنت بقوة لتوحيد المصطلحات العلمية فى جميع البيئات العربية وعلى ألسنة جميع الأسلاف من العلماء فى الماضى ، فمصطلحات علم

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جلسة الأربعاء ٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ، الموافق ٢٦ من مارس سنة ١٩٨٠ م) .

تكالطّب مثلاً في كتاب « القانون » لابن سينا كانت هي نفس مصطلحاته عند مذهب الدين الدخوار وابن القفّ الدمشقيين وعند ابن رضوان وابن النفيس المصريين وعند ابن رشد وابن زهر الأندلسيين . وهكذا مصطلحات بقية العلوم ، مما هيأ لكل علم تعاوناً علمياً خصباً مثدراً في مشارق العالم العربي ومغاربه ، فما يؤلفه عالم وينفذ إليه من تجارب ونتائج علمية في أي بلد عربي يشيع تواء في الأمة ويتدارسه أبنائها في كل مكان ، ويبني فيه الخالف على ما أسس السالف ، مما أتاح لكل علم نهضة كبرى ، إذ تضافرت فيه الأمة بجميع علمائها ، ولذلك مظهر واضح في كتب التراجم عند الأسلاف ، فلمهم حين أرخوا للعلماء وكتبوا سيرهم لم يخصصوا علماء أي بلدة بكتاب خاص أفردوه لتراجمهم ، بل جمعوهم دائماً في كتاب واحد إيماناً منهم بأن وحدة علمية تجمعهم ، وهي وحدة دعمت الأواصر الثقافية بين أسلافنا طوال القرون الماضية ، فكنا أمة واحدة في علمها ، تتعدد بلدانها ، وتتوحد علومها ، بحيث يشعر العالم في كل مصر بصلة وثقى تربطه لا بعلماء أمته الماضين فحسب ، بل أيضاً بعلمائها المعاصرين له على اختلاف أمصارهم ،

حتى لنجد نفراً منهم يرحلون من بلدانهم إلى بلدان أخرى كي يلتقوا زملاءهم في هذا العلم أو ذاك ، ويتحاوروا معهم فيه وفيما حققوا من تجاربه ، على نحو ما صنع ابن بطلان طبيب بغداد ، إذ رحل إلى ديار مصر ، للقاء على بن رضوان طبيب القاهرة بعد أن كثرت بينهما المراسلات والمراجعات فيما يؤلفان من الطب والعلوم الحكيمة . وكان لقاؤهما سنة ٤٤١ وظل ابن بطلان بمصر ثلاث سنوات ملأها مع الطبيب المصري بالمناظرات والمحاورات في علم الطب وأمراضه وأدوائه ، وهما في أثناء ذلك يستخدمان لغة طب واحدة ومصطلحات طبية واحدة ، ولو كانت هذه المصطلحات غير موحدة ما اجتمعا ولا اشتركا في مناظرة أو حوار ، بل ما ازدهر الطب ودراساته وتجاربه واكتشافاته في ديارنا ، وإنما ازدهر وآتى ثماره بفضل توحيد لغته ومصطلحاته ومشاركة جميع أطباء العرب فيه على اختلاف أمصارهم وأعصارهم ، وهذه الوحدة في الطب ومصطلحاته كانت تسرى في جميع العلوم العربية مما هيأ لنا نهضة علمية عظيمة أثرت في الحياة الإنسانية آثاراً بعيدة ، امتدت شرقاً إلى الهند وبلاد الصين وغرباً إلى أروبا في عصر النهضة وقبله وبعده أجيالاً وراء أجيال ،

وقد تجمعت الخطوب على هذه الوحدة العلمية في البلاد العربية مع الاحتلال العثماني ، فإذا حياتنا ، في العلم وغير العلم ، تفضى إلى ركود شديد ، ثم تكون الطامة الكبرى في العصر الحديث باحتلال الإنجليز والفرنسيين لديارنا ، وبمجرد أن ثبتوا في أرضنا الطاهرة أقدامهم الدنسة عملوا بقوة على أن يسيطروا على التعليم وأن يدرسوا للناشئة العلوم بلغتيهما الأجنبية ، حتى يقطعوا الصلة الثقافية بين ماضينا وحاضرنا ، حتى تنهار وحدتنا العلمية ولا تقوم لنا قائمة . وتنبهت مصر لهذا الخطر الداهم ، فعربت منذ أوائل هذا القرن العشرين العلوم في التعليم العام . ويدور الزمن دورة ، وتؤسس الجامعات في مصر وفي البلدان العربية ويستقدم العلماء الغربيون لتدريس فروع العلم بها ، ونعود ثانية في جامعاتنا إلى الاستعجام في العلوم ، وترسل بعوث كثيرة إلى الغرب ، ويعود لنا أفذاذ من العلماء النابهين في علوم الطب والطبيعات والرياضيات والهندسة والكيمياء ، غير أنهم لا يتخذون العربية لسانا لمحاضراتهم في الجامعات ؛ بل يتخذون نفس لغات العلوم التي حذقوها وما استقروا في أذهانهم من مصطلحاتها العلمية .

وحق اليوم لا تزال كثرة علمائنا في الجامعات ترى أن يظل تعليم العلوم فيها

باللغات الأجنبية ، محتجة بأن المصطلحات العلمية تتكاثر في الغرب يوما بعد يوم في كل علم ، بحيث يصعب متابعتها وحصرها ، ثم تعريبها ونقلها إلى لغة الضاد . وهي حجة واهية ، إذ صعوبة شيء لا تمنع من محاولة تدليله ، وخاصة إذا كان هذا التدليل يعد ضرورة لا مفر لنا منها لاستعادة نهضتنا العلمية ، وأيضاً هو ضرورة لا مفر لنا منها لإنقاذ الشباب العربي من التمزق بين لغة أدبية قومية ولغة أو لغات علمية أجنبية . ومن المؤكد أن الانفصام القائم وبين ما ننطقه عربياً من العلوم الإنسانية وما ننطقه أعجمياً من العلوم الغربية .. يعود بأسوأ الأضرار إلى حياتنا الأدبية لأنه يجعل العربية في عصرنا لغة أدب فحسب ، أدب لا تصقله المعرفة العلمية ، ومعروف أن عصور الازدهار الأدبي عند جميع الأمم كانت تقترن فيها النهضة الأدبية بنهضة علمية وفلسفية قوية ، على نحو ما حدث عند اليونان في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، وعلى نحو ما حدث عند الغربيين في العصر الحديث ، وأيضاً على نحو ما حدث عند أسلافنا في الماضي فإن نهضتهم الأدبية التي أنتجت أبا تمام والجاحظ وابن الرومي والمتنبي وأبا العلاء اقترنت بنهضة فلسفية وعلمية رائعة .

ولأنه لحق للأمة العربية ووحدها الثقافية علينا أن نعمل بكل ما نستطيع من جهد على رفع الأسوار اللغوية التي تفصل بين

لُتَمَّت علوم أسلافنا في القديم ، فإنها لم تُنم
متفرقة متنافرة ، في بيئاتها العربية المختلفة ،
بل نمت متواصلة متشابكة ، تشدُّها وحدة
علمية وثقى .

- ٣ -

ومعنى ذلك أننا لا نبتغي تعريب العلوم
العربية فحسب ، بل نبتغي أيضاً توحيد
هذه العلوم بتوحيد مصطلحاتها بحيث يكون
علم الكيمياء مثلاً بمصطلحاته في بغداد هو
نفسه في دمشق وبيروت والرياض والقاهرة
والخرطوم وطرابلس وتونس والجزائر
والرباط ، لا أن تكون عربيته إقليمية لكل
بلد عربي فيه كتبه ومصطلحاته ، بل تكون
عربية مشتركة ، بحيث تنمو جميع البلدان
العربية نمواً علمياً معاً ، وبحيث يعود لنا
مجتمعين دورنا العلمي القديم ، وتعود
لنا المشاركة العلمية الخصبية في الفكر
العالمي .

ونحن بذلك لا ننشد تعريب العلوم
العربية فحسب ، بل ننشد ما هو أبعد
من ذلك : أن يتجمع علماءنا في وحدة
علمية قوامها وحدة المصطلح العلمي في
التعريب والنقل ، حتى تكون لغتنا في كل
علم واحدة ، وحتى لا يمس بلداننا أى
شئ من التناكر ، ولا يمس أواصرنا
الثقافية أى شئ من الوهن ، وإلا كان ما
ينهض به علماءنا من تعريب لا يؤدي بحال
إلى الغاية المرتقبة من الوحدة الثقافية بيننا ،

حياتنا الأدبية وحياتنا العلمية ، حتى
يزول هذا التقاطع القائم بين الحياتين : بل
إنه لحق للأمة العربية ووحدة ثقافتها
أن يحاضر علماءنا في الجامعات ويؤلفوا
كتبهم للشباب بلغة عربية موحدة
المصطلحات العلمية ، فإن عالماً من العلوم
حين تختلف مصطلحاته في بلداننا العربية
وتتفرق لا يصبح عالماً معرباً كامل التعريب ،
بل يظل مستعجماً من بعض الوجوه ، فما
يكتبه عالم ببغداد مثلاً له مصطلحاته
العلمية الخاصة لا يفهمه عالم بالمغرب مثلاً
له فيه مصطلحات مختلفة مقابلة . وحتى
في العلوم الإنسانية مثل علم النفس يكاد
يستعجم أو يغمض ما يكتب منه في بيئة
عربية على بيئة عربية أخرى .

ولا ريب في أننا إن لم نعمل سريعاً إلى
توحيد المصطلحات العلمية في تعريب
العلوم فإن الغاية المثلى من هذا التعريب—وهي
وحدتنا العلمية والثقافية—تضل منا وتختفي
في الطريق . ومن الحق أن أمتنا لا تريد
فقط من تعريب العلوم أن تتغير حروفها
الأجنبية وتصبح عربية ، بل تريد أن تشيع
فيها وحدة لغوية ، وإلا ظلت بيئاتنا العربية
في العلوم متقاطعة متنافرة ، لكل بيئة لغتها
العلمية المستقلة التي تحول بينها وبين الاتصال
المنظم بعلوم البيئات العربية الأخرى .
وحينئذ يضيع منا ما نأمله من وحدتنا العلمية
ومن نمونا العلمي الجماعي المتكامل ، كما

ونحن نريد أن تعود هذه الوحدة قوية، وأن تُرفَّحَ من طريقها كل الأسوار اللغوية، ولن يتم ذلك على الوجه الأكمل إلا إذا اتحد المصطلح العلمي في كل كتاب علمي عربي من الخليج إلى المحيط.

ولإني لشديد الأمل في أن يؤمن علماءنا في الجامعات والمعاهد العليا أن مهمتهم ليست فقط أن يحدِّثوا هذا العلم الغربي أو ذاك في لغته الأجنبية ويحاضروا بها الطلاب، بل مهمتهم قبل كل شيء أن يضيفوا إلى هذا الحدق حدقا لا يقل عنه بدقائق العربية وأوضاعها، حتى يحاضروا بها الطلاب، وينقلوا إلى أوانها اللفظية العلم الذي تخصصوا فيه نقلا متقنا. ولهم قدوة أو ينبغي أن تكون لهم قدوة بكبار النقلة والعلماء في العصر العباسي، إذ بلغ من إتقانهم العربية أن أدخلوا فيها علوم الأوائل وصبَّوها في قوالبها دون أي مساس بأوضاعها ومقوماتها الأصلية. ويكفي أن نذكر منهم ابن المقفع أكبر النقلة عن الفارسية فقد كان في الذروة من بلغاء عصره. وكان حنين بن إسحق أكبر النقلة عن اليونانية يحدِّث العربية، وبلغ من حسن أدائه فيها أن رسم له المأمون وزن ما ترجمه وينقاه ذهباً. وكان ابن سينا أكبر أطباء عصره وفلاسفته يبلغ في العربية طبقة رفيعة، وكان يكبُّ على المعاجم يقرأها معجم تهذيب اللغة للأزهري.

ولا أشك في أن من علمائنا المعاصرين، وخاصة المجعنين، من يتقنون العربية فقها وفهما وعلماً بدقائقها وخصائصها، والأمل معقود على أن يصبح هذا الاتقان عاماً بين جميع علمائنا في التعليم العالي حتى نغذ سريعاً إلى تعريب العلوم وتوحيد مصطلحاتها العلمية. ومن العقبات التي تقف في طريق هذا التوحيد اللغة التي يعرِّب منها علماءنا وينقلون مصطلحات العلوم، ففي الشام: في سوريا ولبنان، وفي المغرب: في الجزائر وتونس ومراكش يعربون وينقلون من اللغة الفرنسية، وفي العراق والأردن والسعودية والسودان يعربون وينقلون عن الإنجليزية، وعنها يغلب التعريب والنقل في مصر، وقد يكونان عن الفرنسية. وأدَّى ذلك إلى اختلافات كثيرة في المصطلحات العلمية واستخدامها في البلدان العربية وحتى عنوانات بعض العلوم حدث فيها اختلافات عن طريق النقل والتعريب، فعلم مثل علم الطبيعة الذي نقلته بعض البلدان العربية بهذا الاسم يسمى باسم الفيزياء تعريفاً في بلدان ثانية، وباسم الفيزيكا في بلدان ثالثة. وإذا كان هذا يحدث في أسماء بعض العلوم، فما بالنا بما حدث في مصطلحاتها المتنوعة.

وكثيرون في عصرنا يحدِّثون من التوسع في تعريب المصطلحات العلمية، يقولون إن من شأن هذا التوسع أن يفتح أبواب

العربية على مصاريحها لدخول كلمات أجنبية كثيرة ، ليست منها ، وإنما لتبدو بوضوح كالرقع في نسيجها ، وخاصة تلك التي تخرج على أبنيتها وأوضاعها اللغوية :

وهو تحذير ينبغي أن لا نبالغ فيه ، لأن أسلافنا أنفسهم أجازوا التعريب وتوسعوا فيه يوم أن كانت المصطلحات العلمية لاتزال محدودة ، فما بالنا الآن وهي تتكاثر يوماً بعد يوم ، حتى ليصبح من العنت أكبر العنت أن نغلق أبواب العربية من دون هذه المصطلحات إلى أن نجد لها ما يقابلها في أساننا عن طريق تراثنا العلمي أو عن طريق المحاز والاشتقاق ، فإن ذلك يحول بيننا وبين التعريب السريع للعلوم ، وحقاً ما نجد له مقابلاً في العربية وما نستطيع نقله نضعه فيها وننقله ، ولكن سنبقى دائماً في كل علم مصطلحات كثيرة يعوزنا فيها أن نجد لها مقابلاً أو ترجمة في العربية وإذن لابد من تعريبها وإدخالها في عربيتنا بصورتها الأجنبية مع تغيير طفيف أحياناً وبدون هذا التفسير أحياناً أخرى ، نيسرنا علينا في حركة التعريب والنقل للعلوم الغربية . وهو حق مقرر في العربية من قديم سبقنا إلى تقريره الأسلاف ، إذا أجازوا ، وفي مقدمتهم سيديويه — تعريب الألفاظ الأجنبية أو كما كانوا يسمونها الأعجمية ، سواء حدث تغير في بعض حركاتها وحروفها أو لم يحدث ، وسواء ألحقت بأبنية الكلام

في العربية أو لم تلحق ، وبهذه الرخصة الواسعة عرب الأسلاف كثيراً من الكلمات اليونانية والفارسية والسريانية ، وحاجتنا اليوم إلى ذلك أشد من حاجتهم لتشعب العلوم الغربية وكثرة مصطلحاتها كثرة مفرطة :

— ٤ —

وسنظل نبديء ونعيد: أننا لا نريد تعريب العلوم الغربية فحسب ، بل نريد أيضاً وحدة المصطلح العلمي في التعريب ، حتى تصبح لنا لغة علمية واحدة ، كذلك التي كانت لأسلافنا في القديم ، فهم جميعاً كانوا يحاضرون ويؤلفون بلغة علمية واحدة ، ولم يكن لأي بلد عربي علماء مستقاون ، بل كانوا جميعاً علماء ، عالم تعددت أقطاره ، ولكل قطر دوائه السياسية ، أما في العلم فكانوا جميعاً لوطن واحد ، بل كأنهم لجامعة واحدة أو مؤسسة علمية واحدة . وهو ما نريده لأنفسنا ولعلمائنا اليوم : أن تكون لهم لغة علمية واحدة يتداولونها ويتعاملون بها ، عملة علمية تستخدم في جميع البلدان العربية ، يستخدمها جميع علمائنا من الخليج إلى المحيط ، بحيث يكونون عالماً علمياً واحداً ، تتعدد بلدانه ، وتنسب جامعاته ومجامعه ودور العلم فيه إلى ما يشبه مؤسسة علمية واحدة : وبذلك تتم لنا وتتكامل وحدتنا العلمية ، ونعود ثانية إلى الظهور على مسرح العلم العالمي بلغتنا العلمية العربية الموحدة ، لنؤدي دورنا من جديد في التأثير والتأثير العلميين ، فكما تأثر

أسلافنا بعلوم العالم القديم ، وأضافوا إليها
مكوّنين علومهم ، ومضوا يؤثرون بها في
الغرب والشرق ، كذلك نحن في عصرنا
الحاضر نتأثر بعلوم العالم الغربي الحديث ،
ونضيف إليها ، ونكوّن علومنا ، ونعود
إلى التأثير بها شرقا وغربا .

وهذه الوحدة العلمية العربية المرتقبة
التي ستمدّ أطنا بها حتى تظلّ الوطن العربي
جميعه بكل ما فيه من مجامع لغوية وعلمية
وجامعات ومعاهد عليا ليست خيالا ولا وهماء ،
بل هي حقيقة لابد وافتحه ، يوم يتم لنا تعريب
العلوم الغربية وتوحيد مصطلحاتها العلمية ،
وينبغي أن نتعجلها ونسرع إليها الخطى ،
والطريق إلى الإسراع بها سهل ميسر متى
صحت منا العزائم . وأقترح لذلك أن تتألف
هيئة علمية تتبع اتحاد المجامع اللغوية ، تتكون
من بعض أعضائها العلماء الأعلام ، بحيث
تكون مهمتها وضع البرامج التي تكفل قيام
هذه الوحدة العلمية العربية الكبرى والإشراف
على تنفيذ هذه البرامج سريعا بالوسائل الممكنة .

وفي تقديرى أن الفرص مهيئة للنهوض
بهذا العمل الجليل ، فقد وضع مجمعنا اللغوى
عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية ،
ويكفى أن نذكر في هذا الصدد أن مجمعنا
وضع حتى الآن في مختلف العلوم نحو ستين
ألف مصطلح علمى منقول ومعرّب ، وتحولت
أثبات منها إلى معاجم لتلك المصطلحات في

الفيزيكا النووية ، وفي الجيولوجيا ، والجغرافيا
والفلسفة : وستتوالى لهذا المجمع معاجم في
فروع العلوم المختلفة . وبجانب ذلك وضع
أفذاذ من علمائنا النابهين معاجم في الطب
والتشريح والثدييات والطبيعة والرياضيات
والزراعة والنباتات والحيوان والفلك والقانون ،

وهذا الرصيد الهائل من المصطلحات العلمية
آن أن تتوفر عليه الهيئة العلمية المقترحة ،
مستعينة بحشود من الخبراء والمحريين
لتدوينه وتسجيل الموحد منه في جداول
وكذلك المختلف . وقد عني مجمعنا دائما بتوحيد
المصطلحات العلمية ، مما جعله شديد الحرص
في مؤتمره السنوى على إشراك طائفة من علماء
البلدان العربية ، وعرضه فيه ما انتهت إليه
لحانه من مصطلحات علمية ، حتى تكون
ثمرة لإجماع عربى ، وهذا العمل السنوى يُعدّه
أكبر خطوة اتخذها مجمعنا حتى الآن في سبيل
توحيد المصطلحات العلمية نقلا وتعريبا .

وأرى أن تتسع مهمة الهيئة العلمية المقترحة ،
فتعمل على استخدام المصطلحات العلمية
موحدة في المجال العلمى : مجال التدريس
والمحاضرات في الجامعات والتعليم العالى ،
عن طريق اختيار أمهات الكتب في كل
علم لكي تعرّب وتنقل إلى العربية ، وتضاف
كتب بجانبها لعلمائنا وبذلك يتم فعلا تعريب
العلوم الغربية ، ونقلها إلى لساننا العربى
من الوجهتين النظرية والعملية .

شوقى ضيف
عضو المجمع

تأصيل بعض الدخيل من أسماء الملابس والأطعمة في كتاب الحيرتى للكتير احمد السيد سليمان

والعماد الأصفهاني وابن فضل الله العمري
والقلقشندي :

ومن ذلك أنه كان يقال لوزير المالية
في العصر المملوكي « ناظر الأموال »
فقليل له بعد الفتح العثماني « الدفتر دار » ،
وكان يقال للرئيس المالي في الإقليم من
أقاليم مصر « المتحدث » أى صاحب الكلمة
في مالية الإقليم فقليل له بعد الفتح « الأفندي » .
وبطل أيضا استعمال كلمات فارسية
عربية كانت قد ذابت في العربية حتى
لم يعد الأدباء يتخرجون من استعمالها في
الشعر وفي النثر الفني ككلمة « برددار »
أى صاحب الستارة فقد وردت في قول
ابن النبهي :

قلت لليل إذ نحاني حبيبا
وغناء يسبي النهى وعقارا
أنت ياليل حاجتي فامنع الصب

— سح وكن أنت يادجى برددارا
أخرجت هذه الكلمة من الاستعمال
لتقوم مقامها الكلمة التركية « قوبجى » أى
البواب أو الكلمة الفارسية التركية « جوحدار »

الحديث في الدخيل من
أسماء الملابس والأطعمة ،

قبل

أرجو أن يه ذن لى بكلمة قصيرة تكون
مدخلا إلى هذا الدخيل وكيفية استعمال
الحيرتى له :

كانت الدولة العثمانية عند فتح مصر قد
بلغت ثمانية عشر ومائتى عام ، ثابتة
الأركان ، مكتملة النظام ، ورثت كثيرا
من ألفاظ الحضارة والإدارة عن البيزنطيين
والسلاجقة والایلخانيين وصقالبه الباقان .
وما إن تحولت مصر المملوكية بالفتح
العثماني من سلطنة مستقلة إلى بلد تابع
بحكمه وزير عثماني برتبة باشا حتى صارت اللغة
التركية لغة رسمية ، ووفدت على مصر
جماعات من الموظفين الأتراك ليعاونوا
الباشا على حكم مصر .

وقد أحل هؤلاء الموظفون العثمانيون
مصطلحاتهم الملتقى من شتى اللغات محل
المصطلح الأيوبي المملوكي الذي شارك في تعريبه
وصياغته كبار أرباب القلم كالقاضي الفاضل

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جلسة السبت ١٢ من
نجمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ، الموافق ٢٩ من مارس سنة ١٩٨٠ م) .

أى لابس الجوخ لأن زى صاحب الستارة
كان من الجوخ واكن هاتين الكلمتين
الحديدتين لم تدوبا فى اللغة العربية ولم
نصادفهما فى شعر أو نثر فى .

ومن الفارسي العرب الذى بطل استعماله
فى مصر بعد الفتح العثمانى كلمة جاليش
أى الراية وطليلة الجيش، ولم يكن يخلو
من هذه الكلمة حديث عن الحروب
والمعارك فى العصرين الأيوبي والمملوكي،
وقد وردت كثيرا فى تسجيلات العماد
الأصفهاني فى كتابه الفيح القسى فى الفتح
القدسى ، ومن ذلك قوله « وأسرعت
الأعنة وأشرعت الأسنة ونقع النقع أوام
الجو وأجاب الصدى دوى الدو وجال
الجاليش وطار السهم المريش (١٠٧) .

وفى صبح الأعشى « وكم ساروا إلى بلاد
ملوك الأعداء قتلوا لهم عروشا ، وكم
كانوا على أعقاب العساكر المؤيدة الإسلامية
ردفا ومقدمتهم فى المحاصرة جاليشا ١٣٣٧ .

أخرجت هذه الكلمة أيضا من الاستعمال
وحلت محلها كلمة تركية يظن أنها من
أصل صينيّ وهى كلمة طوخ بالخاء أو
طوخ بالعين .

* * *

وقد كان الجبرقى رحمه الله محيطا بالمصطلح
العثمانى ملما بالمصطلح المملوكى يستعمله
أحيانا مع المصطلح العثمانى ؛ فهو يستعمل

مثلا كلمة جاليش التى بطل استعمالها
رسميا ، واتى يجهلها الترك لأنها من الفارسي
الذى لم يدخل المعجم التركى ، يستعملها
الجبرقى ويشرحها بالكلمة التركية الوافدة
مع الجيوش العثمانية وهى كلمة طوخ فيقول
« نصب جاليش شريف باشا المعبر عنه
بالطوخ عند بيته بالأزبكية » ٣٢٤٦ :

وكان الجبرقى يستعمل من المصطلح
المملوكى كلمة المستوفى وهى اصطلاح
قديم استعمله السلاجقة الكبار وسلاجقة الروم
والإيلخانيون ثم المماليك ، فقد كان فى
دولتهم مستوفيان : مستوفى الدولة ، ومستوفى
الصحية ، وهما منصبان كبيران للمراقبة
المالية ، ولما كان العثمانيون لم يعرفوا وظيفة
الاستيفاء ولا صاحبها ولم تدخل الكلمة فى
معجمهم اللغوى أو الإدارى فقد استعملها
الجبرقى استعمالا خاصا لم تستعمل فى مثله
فى العصر المملوكى ، فجعلها بمعنى
ناظر الدائرة فى لغتنا المعاصرة ، وقال : إن
عائلة الشرايبي كان لها مستوف .

ويستعمل الجبرقى الكلمة المملوكية «رنك» ،
وهى فارسية الأصل معناها اللون ، ولكن
لم تستعمل فى العصر المملوكى بمعناها اللغوى
الأول ، وإنما استعملت بمعنى اصطلاحى
خاص هو الشعر سواء كان آرما أو بنديرة
أى راية ، وفى النجوم الزاهرة :

« وضرب رنكه على اصطبل شيخون
بالرميلة تجاه باب السلسلة » ١١٥٨ :

وفي شعر للشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني :

لآل رسول الله جاءه ورفعة
بها رفعت عنا جميع النوائب
وقد أصبحوا مثل الملوك برنكهم
إذا ما بدوا للناس تحت العصائب
نفس المصدر ١١,٥٧

نعم لقد دخلت هذه الكلمة في اللغة التركية العثمانية وكن بمعانيها اللغوية فقط ؛ فالعثمانيون لم يقولوا للشعار العسكري أو السياسي رنك ، وإنما استعملوا للدلالة على الشعار كلمة فارسية أخرى هي النيشان ؛ فنيشان الانكشارية مثلا هو شعارتهم المميزة . وقد استعمل الجبرتي الاصطلاحين المملوكي والعثماني معاً في مواطن كثيرة منها : « ودخلت بلوكات الينكجيرية وطافوا بالأسواق ووضعوا رنكهم ونشاناتهم على القهاوى والخوانيت » ١٩٧ر٣

• • •

ولقد كان رحمه الله يحاول الرقي بأسلوبه ، فينتقل من استعمال التركية العثمانية إلى استعمال المصطلح المملوكي ، فهو يقول في الجزء الأول من تاريخه ص ٦٣ « ورمحوا إلى الباب فطردوا البكجية » أي طردوا الحراس ثم نراه يترك هذه الكلمة ويستعمل بدلا منها الكلمة ذات الأصل العربي « الحرسجية » ، ثم نراه يترك هذه الكلمة العربية التركية ليستعمل الاصطلاح المملوكي الفصيح (الحرسية) فيقول في الجزء الثالث ص ١١٢

« وأغلق بينه وبينهم الباب ووقف (الحرسية) أمام الباب الآخر » .

وقد كان لفظ الحرسية شائعا في كتب العصور الوسطى . يقول خليل الظاهري في زبدة كشف الممالك «وعلى كل برج منه أعلام وطبلخاناه وأبواق وحرسية » ويقول المقرئ « وكلما وصلوا إلى ساحل وجدوا عليه حرسية » انظر ترجمة كاترمير :

ولقد كان الجبرتي على حبه للمصطلح المملوكي يعي كثيرا من الدخيل العثماني ويستعمله في تاريخه ، ولكنه لم يكن يلتزم في بعض الكلمات برسم إملائي واحد لأنه كان يسمع هذا الدخيل صحيحا تارة ، ومحرفاً تارة أخرى ، فهو يقول مثلا البرشان بالراء ، ثم يقول في موضع آخر البيلشان باللام ، وهما من الكلمة الفارسية المتركة بریشان بمعنى المشتت والمبعثر ، وقد استعملها الترك اسما لنوع من العمائم المهلهلة الشاش المتركة اللقائف .

ويقول الجبرتي البيورلدي في رسمها رسما صحيحا كأنه ينقلها من المعجم التركي ولكنه لا يلبث أن يكتبها برسم آخر هو البيوردي بحذف اللام ، والبيورلدي أمردون الفرمان .

ويقول الجبرتي : اليطقان بتقديم الطاء واليقتان بتقديم القاف والأولى أقرب إلى الأصل التركي والثانية محرفة ، واليقتان خنجر يعلق أفقيا في الوسط .

ويقول النمشاه بالآلف والنمشه بغير ألف، ولا بد أن الآلف في النمشاه مملوكية الأصل، فقد كان كتاب ذلك العصر يزيدون ألفاً قبل الهاء الأخيرة في الكلمات الفارسية، فقالوا في البيروانه بمعنى الوزير البارواناه، وفي الشرايخانه الشربخانه، وفي النمشة النيمچاه، وفي النجوم الزاهرة « فأوهم كرجى أنه يصلح الشمعة فرمى الفوطة على النيمچاه » ثم قال فضربه كرجى بالسيف على كتفه فطلب السلطان النيمچاه فلم يجدها، ثم قال « وأخذ نوغيه السلاح دار النيمچاه وضرب بهارجل السلطان فقطعها ٨١٠٢ ر، ووردت في نفس الكتاب بغيرياء مع الإبقاء على هذه الآلف الزائدة قال : « وسير بذلك أصلم الدوادار ومعه النيمچاه وقال فوافاه أصلم الدوادار بالنمچاه » ٩٤٥ ر

وهذه الصبيغ كلها من الفارسية نيمچه « من نيم » أى النصف، « وجه » علامة التصغير أى النصف، وهو اسم سكنى قصير يستعمل في الطعان، ويقول الخبرتى « الفرتينه » بالياء « خرجت فرتينه بريح عاصف أظلم منها الجو » ١٥٢ ر؛ ثم يقول في موضع آخر « الفرتونه » بالواو « ثم خرجت فرتونه نكباء شرقية شمالية » ١٧١ ر ٢ :

والأصل في الكلمتين فيرطينه بكسرتين مفخمتين سمع الخبرتى هذه الكسرة فلم يدر كسرة هى أم ضممه فكتبها بالواو مرة بالياء مروة .

وهكذا نرى أن تاريخ الخبرتى مصدر من أغنى مصادر الدخيل من ألفاظ الادارة والحضارة بلغاته ولهجاته المختلفة، وإليكم الآن جزءاً من الدخيل من أسماء الملابس المدنية والعسكرية وما يتصل بها وأسماء الأطعمة وأنواع الخاوى، وقد ذكر الخبرتى بعض هذه الأسماء في وصف المواكب والحفلات، وبعضها في وصف حوادث الشغب في القاهرة، وبعضها في التراجم وبعضها في أحاديثه عن الغلاء بسبب نقص قيمة العملة وارتفاع المكوس واحتكار الباشا لبعض الأصناف وعسف المتزمنين :

من أسماء الملابس وما يتصل بها

الأتك في التركية أتك Etek ذيل الرداء، وفي الخبرتى : وكذلك أرباب العكاكيز فيطلقون إلى القلعة ويمشون أمام الباشا من باب السراية إلى جامع الناصر ابن قلاوون، فيصلون العيد ويرجعون كذلك ثم يقبلون أتكه ويهنتونه ٢٥٩ ر ويقول أيضا : « وانخفض مراد بيلك في تلك الليلة للباشا جدا وقبل أتكه وركبته ويقول ياسلطانم نحن في عرضك » ١١٥ ر ٢

الألاجـه تركية في الفارسية والتركية

آل، وآلا بمعنى أحمر فاتح وبراقي وجه أداه تصغير أى ضارب إلى الحمرة، ثم أطلق على القماش يتراءى فيه أكثر من لون، ونوع من الحزير الملون كان

يصنع في جهات مختلفة من الأناضول والشام.
وفي الجبرتي « . فيباع الثوب الواحد
من القماش الشامي المسمى بالألاجي الذي
كانت قيمته في السابق مائتي نصف فضة
بألفين فضة ١٦٧ ر ٤

ج : الأجات

ونهبوا ما وجدوه من النقود وأنواع
الأقمشة وأنواع الأطلس والأجات .
٢٣٨ ر ٤

الأوية : تركية من المصدر أومق
بمعنى أن يحفر وتطلق على الزخارف التي
تحفر في جدران الغرف وعلى واجهات
البيوت ويطلق على صانع هذه الزخارف
في لغة الصناع في مصر، اللفظ التركي
أومجى والأوية زخارف حجرية أو كتانية
تنسجها النساء على حواشي ملابسهن ولا
تطلق الأوية إلا على الطراز القديم المشغول
باليد فإن كانت الزخارف الحيطية مخلوبة
من أوربا فهي الدانتلة .

وفي الجبرتي : « فرأيت قماشا على
هيئة الأوية على عمود قائم وهو ملون
أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة
الغزال » ٣٣٣ ر ٣

البنش : في التركية بينيش من المصدر
بينمك أن يركب، والبنش في التركية هيئة
الركوب وطرازه والزي الخاص براكب
الفرس ، وجبة واسعة كان العلماء
يلبسونها في بعض المواسم .

وفي الجبرتي « وطفق كلما أعطاهم شيئا
حسبه عليهم من الوصية حتى إذا أعطى
الملك والبنش لنعمان بيك مثلا يعطيه له
أنقص من بنش أمين بيك » ١٢٤ ر ٤

وفيه أيضا « ولبس نخلته وهي فروة
على بنش لأنه بطونحين ١٣١ ر ٢

ج بنشات : يقول في وصف موكب
كسوة الكعبة الشريفة : « وأمامها الوالى
والمحتسب وعليهم القفاطين والبنشات وجميع
الأشائر بطولهم وزمورهم » ١٥ ر ٣

المجوزة : عمامة كبيرة يلف شاشها
مرتين وهي شبيهة بالمجوزة « ثم نزلوا
وركبوا وصحبهم أغات النيكجورية هيئة
الموكب وعلى رأسه المجوزة الكبيرة » ١٧٥ ر ٤

الضلمة : في التركية طولامة : لباس
قديم يشبه الحبة كان يصنع من الخوخ
ويلبسه الرجال والنساء ، مفتوح من أمام
وتضم حاشيتها الفتحة فوق الصدر ، والكمان
واسمان متموجان ، ونصف الضلمة
الأعلى ضيق ونصفها الأسفل واسع ، والضلمة
النسائية تتجاوز الركبة قليلا إلى
أسفل ، ولكن الضلمة التي كان يلبسها
الإنكشارية والخاصكية طويلا ويشد على
وسطها حزام مخطط . وكان الإنكشارية
يلبسون فوقها القبوط أو معطف المطر .
وفي الجبرتي « وكان مصطفي جاويش
أوده باشه فلبسه جركس الضلمة » ١٤٣ ر ١

وفيه أيضا « طاف آلاى جاويش بالأسواق على صورة الهيئة القديمة في المناداة على المواكب العظيمة وهو لابس الضلعة والطبق على رأسه وراكب حماراً عالياً » ١٣٥ ر ٤

الظلمة : الضلعة وفي الخبرتي « واتفقوا أنهم لا يرضون أفرنج أحمد باش أوده باشا ، فلما يلبس الظلمة أو يكون جرجياً في الوجاق » ١٣٨ ر ١

القاووق : في التركية قاوق وقاغوق وقاووق ، ويظن أنها من الكلمة التركية قوف أو قاو بمعنى أجوف .

قلنسوة عالية يلف حولها شاش كان الترك يغطون بهارؤوسهم قبل اتخاذهم الطربوش غطاء للرأس ، وكان لكل طائفة من رجال الدولة طراز خاص من القاويق . يقول الشيخ السقاف في مقامة أوردها الخبرتي :

« ثم أخذت الأبريق ، وملت عن الطريق ، واستكت واغتسلت وتوضأت واكتحللت وتنحطت وسعلت وخرجت ثم ملت إلى الصناديق وألقيت القاووق » ١٣٣١ ر ١

ويقول الخبرتي : « وعثمان بيك ذو الفقار أصابه سيف فقطع شاشه وقاووقه » ١٥٤ ر ١

ج : قواويق « لابس الأمراء الكبار القاويق على رؤوسهم ٢٠٥ ر ٣ ومنها أن الوزير أمر المصريه (أى المماليك) بتغيير زيهم وأن يلبسوا زي العثمانية فلبس

أرباب الأتلام والأفندية والقلقات القواويق الخضر » ١٢٣ ر ٣

القاووقجية : صناع القاويق وقد كانوا على وشك الانقراض في القاهرة في أواخر القرن الثامن عشر ، وحل محلهم الطرايشية في الغورية وما جاورها من الأسواق (اندريه ريمون ٢٣٦) ، وكان شيخا القاووقجية فيما بين عامي ١٦٧٩ و ١٧٠٠ انكشاريين :

وفي الخبرتي ، يصف حفل ختان أولاد البكوات بالقلعة « ودعوا في أول يوم المشايخ والعلماء وثنائي يوم أرباب السجاجيد والخرق ، ثم ذكر الصناجق والأغوات والجوربجية ثم التجار ثم القاووقجية والعقادين » ١٠٣ ر ١

القلبى : في التركية قلبى وقلباق بالباء المشربة ، غطاء رأس من الوبر مدبب أو أسطوانى ، دخلت هذه الكلمة في اللغة الفارسية بلفظها ومعناها ودخلت أيضا في اللغة الفرنسية بصيغة Colbac :

كان القلبى غطاء رأس للجركس وللتتر بخاصة ، وكذلك لبسه اليونان والأرمن ، وتطلق كلمة قره قلبى أى أصحاب القلبى السود على عشيرة من عشائر تركمان خوارزم . وفي الخبرتي « وقد كان طلب منه معجوناً للباء فوضع له السم في المعجون وأحضره له فأمره أن يأكل منه أولاً فتلكأ واعتذر فأمر بقتله ، وكان عبدالله الحكيم هذا نصرانياً رومياً يلبس على رأسه قلبى سمور » ٢٥٨ ر ١

القنطش : في التركية قونتوش Kontos

وقونطاش ، وربما قالوا قونتوز مجرية كما يقرر باك آين وهي اسم لكرك خاص من الجوخ أو السمرور أو السنجاب أو القاقم ، ضيق الأكمام مطرز الحواشي يلبسه كبار رجال الدولة ، ويذكر بارييه دومينار أنه كان زى خان التتار وكبار رجال دولته

وقال فانيان : إن القنطش نوع من الدرع :

ج : قنطيش :

وفي الخبرتي « اتخذ الباشا عسكرياً من طائفة التكرور الذين يأتون إلى مصر بقصد الحج ، فعرضهم واختار منهم جملة ، وطلبوا الخياطين ففصلوا لهم قنطيش قصاراً من جوخ أحمر ، وألبسة من جوخ أزرق ، وصدریات ، وجميعها ضيقة مقمطة مثل ملابس الفرنسيين وعلى رؤوسهم طراير » ٣٢٣٤

اليلك : من الكلمة التركية يل بمعنى الريح ولك أداة نسبة فاليلك هو الهوائي أو الريحي وهو لباس بلا أكمام يلبس على الصدر فيدفع عنه الهواء فهو الصدر :

وفي الخبرتي « كان الأمير ذو الفقار بيلك أميراً جليلاً شجاعاً بطلاً مهيباً كريماً الأخلاق مع قلة إيراده وعدم ظلمه وكان يرسل اليلكات والكساوى في شهر رمضان لجميع الأمراء والأعيان والوجاقات » ١٤٦

أسماء الأطعمة

التطلى : من التركية طاتلى الحلو اللذيذ ، ثم صارت اسماً لما يختم به الأكل من حلو الطعام كالمهلبية وغيرها وفي الخبرتي :

« واستعد فراشو الباشا بالتطلى والقهوة والشربات ١٢٥٩ » :

الرشال : في الفارسية رجال بكسر الراء الحلوى ، وفي التركية رجل بفتح الراء الفاكه المطبوخة المسكرة :

وفي الخبرتي :

« وكسروا أواني الحلوى وقصور المريات وفيها ما هو من الصينى والبياغورى والأفرنجى ومجامع الأشربة وأقراص الحلوى الملونة والرشال والملبس والفانيد » ٢٣٨ - ٤ :

الزردة : في الفارسية زرده طعام من أرز وعسل وزعفران ، دخلت التركية بلفظها ومعناها قال سامى بك : وجرت العادة على أن تؤكل بالأرز في الأفراح :

وفي الخبرتي « : ولهم عادات وصدقات في أيام المواسم مثل أيام أول رجب والمعراج ونصف شعبان ويسالى رمضان والأعياد وعاشوراء والمولد الشريف يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ، ويملاون من ذلك قصاعاً كبيرة » ١٢٠٨ :

الشريك : في التركية چورك بالجم المشربة وضمة • بسوطة مرققة Cörek المدور والقرص أو القرصة : خبز ناعم مدور يلت

بقليل من السمن أو الزيت وكثيراً ما توضع به الحبة السوداء حتى لتسمى هذه الحبة في اللغة التركية (جورك أوتى) أى نبتة الشريك .

وفي الجبرتي : « وكسد في هذا العيد سوق الخياطين وما أشبههم من لوازم الأعياد ولم يعدل فيه كعك ولا شريك ولا سمك مملح » ٤٢٤٣ .

وفيه أيضاً « واتخذت مسكناً ملاصقاً لقبره أقامت به نحو الثلاثين سنة مع دوام عمل الشريك والكعك بالعجمية والسكر وطبخ الأطعمة للمقرئين » ٤٢٥٨ .

الحشكار : من الفارسية خشاك بمعنى جاف وخشن وآرد بمعنى الدقيق وقد سقطت دال كلمة آرد في الكلمة الفارسية نفسها فالحشكار في الفارسية هو الدقيق الخشن لم تفصل نخالته قال بديع الزمان الهمداني : « ومنهم من يحتفل الود أيام خشكاره حتى إذا أيسر جعل ميزانه وكيلاه وأسنانه أكيلاه وأليفه رغيفه . الرسائل ص ٦٧ » .

ونقل أبو شامة في الروضتين : « كان الإمام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبي السعادات الأنباري النحوي . يفتقر على الخبز الحشكار ويبتاع برغيف أرزاً وماشاً » ٢٢٧ .

وفي صبح الأعشى : ومن ركن في أمرها إلى الإخلاد والإخلال ، وسكن إلى الإهمال ، ولم يرض بأن راية الذلة الصفراء على رأسه تشال

فأوسعه إنكاراً وألزمه منها شعاراً وإن قام بفحصه منهم معشر خشن فأرهم به العلامة خشكارا » ١١٣٨٨ .

والعلامة اسم للدقيق الناعم النقي المنخول مرات وهو خلاف الحشكار .

وفي الجبرتي : « والعيش العلامة خمسة أواق بجديدين والكشكبان ستة أواق بجديدين » ١٠٧، ١٠٦، ١٠٧ .

الكشكبان : نوع من اللبن الرومي كان يعرف في التركية باسم : قاشقاوال قال كاظم قدرى هو من الإيطالية Cacio Cavallo

وكاشيو أى اللبن . وكافالو أى الحصان فالكشكبان جن من لبن الخيل .

ويقرر المعجم الطلياني أن الـ Caciocavallo جن يؤكل في جنوب إيطاليا .

وفي الجبرتي : « واللبن الكشكبان بثلاثة أنصاف فضة ١٠٦ - ١ » .

اليميش : من التركية يمش ويميش ثمر الشجر من كل مايؤكل من فاكهة وغيرها ، وإذا كانت الكلمة مشتقة من المصدر التركي ييماك بمعنى أن يأكل فاليميش هو الأكل بضممتين في العربية ، فالأكل من أكل واليميش من المصدر نفسه بالتركية وكلاهما بمعنى الثمر .

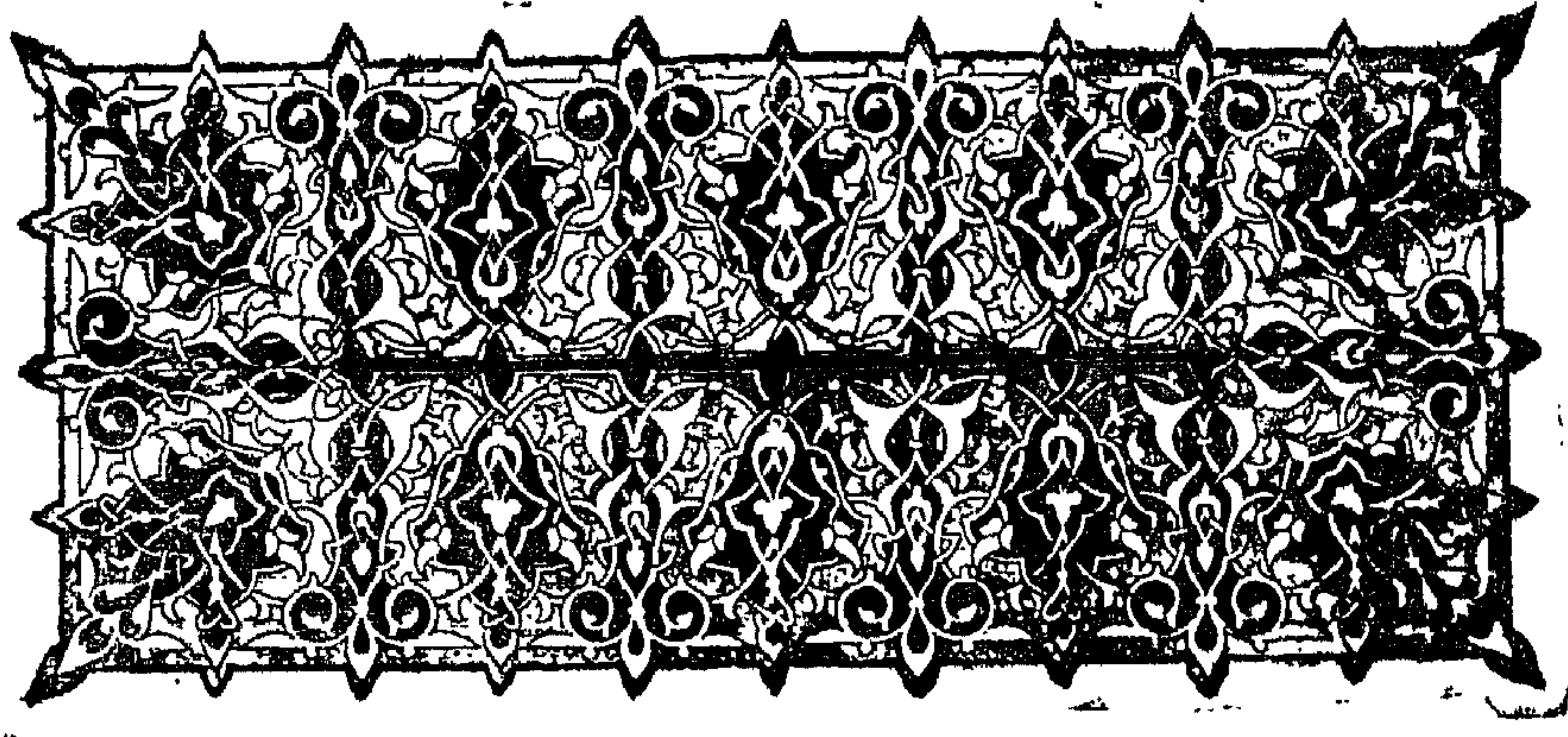
وفي الجبرتي : وصل إلى ساحل بولاق عدة مراكب بها بضائع رومية ويميش .

وفيه أيضاً : « وأما الزبيب والتين
واللوز والبندق والحوي والأشياء التي يقال
لها اليميش التي تجلب من بلاد الروم فبلغت
الغاية في الثمن » ٤٢٤٦ .

رحم الله الجبرتي ، فقد حدثنا حديث
صديق عن تاريخ مصر في الفترة من سنة ثمان

وثمانين وستمائة وألف إلى سنة إحدى وعشرين
وثمانمائة وألف ، وكان كما قال في مقدمة كتابه
« . . ولم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير
أو طاعة وزير أو أمير ولم أداهن فيه دولة
بنفاق أو مدح أو ذم مبادئ الأخلاق لميل
نفسى أو غرض جسماني . . » .

أحمد السعيد سليمان
عضو الجمع



يزيد بن محمد المهلبى

للكثر الشيخ محمد ففتح الله

أبرهال

يزيد بن محمد المهلبى
أديب شاعر قديم
كمعاصر ، ظهر أدبه

وشعره فى القرن الثالث الهجرى ، حين كانت
الخلافة العباسية — بألوان مدنيّتها وثقافتها
— أظهرًا ما سطعت عليه الشمس حينئذ .

واجهنى وجه أدبه وشعره فى كتبنا الكبرى
القديمّة ، فأردت أن أطلع على ترجمة
له — سوفية أو تقارب الإيفساء ،
وبحثت فأطلت البحث ، ولكنى لم أقف
إلا على أطلال ترجمة فى تاريخ بغداد ،
وفهرست ابن النديم ، ولآلى البكرى ، والوافى
بالوفيات ، وشرح أبيات المغنى لصاحب
خزانة الأدب . جاء فيها أنه يزيد بن محمد بن
المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن
المهلب بن أبى صفرة ، وأنه بصرى قدم
بغداد ، وكان أديبا شاعرا محسنا ، وقد
أسند الحديث عن عبيد الله بن عبد المجيد
وغيره ، وحدث عنه أبو بكر بن أبى
داود السجستانى ، ومحمد بن عبد الملك
التاريخى ، وأنه نديم لمؤكل ، وقد توفى
فى حدود الستين والمائتين :

ولعلنا إذا نظمنا ما تناثر حول يزيد
ابن محمد المهلبى مع جلائه بشئ من سوانح
الفكر وصلنا إلى صورة مستبينة لهذا الأديب
الشاعر .

إن يزيد بن محمد من آل المهلب ، « وهم
أهل بيت كبير اجتمع فيه خلق كثير من
الأعيان والأجناد النجباء » وكان أبوه محمد
يتولى نواحي نهر تبرى ، فنشأ يزيد نشأة
كريمة ، واستقى العلم والأدب من المناهل
الطيبة ، وصار « له من الكتب كتاب المهلب
وأخباره وأخبار ولده » :

وقد مدح كثير من الشعراء بنى المهلب
كقول الفرزدق — حين ولى يزيد الأكبر
أمر خراسان والعراق بعد أبيه المهلب — :
فألمدحن بنى المهلب مدحة
غراء قاهرة على الأشعار

... الخ

وكقول ربيعة بن ثابت الأسدى ، وهو يمدح
يزيد الكبير بن حاتم بن قبيصة بن المهلب
والى مصر وأفريقية

ألا إنما آل المهلب غيرة ... الخ :

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جلسة الأحد ١٣ من جمادى
الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ، الموافق ٣٠ من مارس سنة ١٩٨٠ م)

وقد أثرت في نفس يزيد نشأته المهلبية
العالية ، فصار يحفظ كرامته ويرفع رأسه
بانتسابه ، وإن كان مادحا آخذا للجوائز ،
فقال في مدحه إسحاق بن إبراهيم :

إن أكن مهدياً لك الشعر إني
لا بن بيت تهدي له الأشعار

وقال في مدحه الوزير سليمان بن وهب :

وكم ملحف قد نال مارام منكمو
ويمنعنا من مثل ذاك التجميل

وعوّدتونا - قبل أن نسأل - الغنى
ولا بذل للمعروف والوجه يبذل

ثم إن يزيد بن محمد قد عنى بالأدب والشعر
عناية عظيمة مما أعده لمجالسة الرواة والأدباء
والشعراء ومنادمة الخلفاء والوزراء إعداداً
موفوراً ، وكان هؤلاء يحبون الشعر والاستشهاد
به والنقد الأدبي وحسن المحادثة وحذق
المجالسة .

وصار يزيد محدثاً فطناً لبقاً ، يعرف
مواقع الكلم ومزالق القدم ، ويعلم كثيراً
من أخبار القصور والولاة والشعراء والمغنين ،
وهو خبير بأسلوب التحديث في حياة الأدب
وأدب الحياة ، حتى إننا نحس أنه لا يبعد
عن أسلوب الحديث أو المقال الجارى
عندنا في صحيفة أو إذاعة .

وكان يزيد صاحب مجاس أدبي في
(سر من رأى) وهي (سامراء) مدينة
المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر ، فيجتمع

في مجلسه الأدباء والشعراء ، وهو يسمع
ويقول ويبدى رأيه ويكتب ما يستحسنه .

قال أحمد بن علي الأنباري : كنا في
مجلس يزيد بن محمد المهلبى (سر من رأى) ،
فجرى ذكر أبي العبر الشاعر ، فجعلوا يذكرون
حماقاته ، فقلت ليزيد : كيف كان عندك
فقد رأيتك ؟ فقال : ما كان والله إلا أديباً
فاضلاً ، ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفع
له ، فتهامق ، فقلت له : أنشدك أبياتا
أنشدنيها . فقال : أنشدنيها ، فأنشدته قول
أبي العبر في قاضيين أعورين :

رأيت من العجائب قاضيين
هما أحلوثة في الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين قدأ
كما اقتسما قضاء الجانبين

. . . الخ ، فجعل يضحك . ثم كتب
الآبيات .

وسأله ابنه أحمد - وكان راوية له -
عن (دنيا) التي ذكرها أبو عيينة بن محمد
ابن أبي عيينة في شعرة ؟ وقال : إن قوما
يقولون إنها كانت أمة لبعض مغني البصرة ؟
فقال يزيد : لا يا بني ، كان أبو عيينة
يكنى بـ (دنيا) عن (فاطمة بنت عمر بن
حفص) صاحبه ، لا أنه كان يهوى
جارتها (دنيا) ، ثم أنشد يزيد شعراً لأبي
عيينة في تصديق ذلك .

وقال يزيد : كان أبو نواس صادقاً في
حبه (جنان) من بين من كان يشبب به

من النساء ويداعبه ، ورأيت أصحابنا جميعاً يصححون ذلك عنه ، فكان لها محبا ، ولم تكن تحبه حتى استأطا بصحة حبه لها فصارت تحبه .

وقد نادى يزيد بن محمد الخليفة الواثق : قال يزيد : خرجنا مع الواثق إلى القاطول للصيد ، ومعنا جماعة الحساء والمغنين ، فتصيدنا على القاطول . . . السخ . والقاطول : نهر حفره الرشيد عند موضع (سر من رأى) .

وقال أيضا : كنا عند الواثق فغنته (شجا) . . . الخ .

وقال أيضا : كان الواثق قد غضب على (فريدة) لكلام أخفته ، فعرفنا ذلك ، فغناه عبد الله بن العباس الربيعي المغني شعراً للأحوص يناسب ذلك ، فاستعاده الواثق مراراً وأعجب به .

ونادى يزيد المنتصر ، وهو ولي للعهد حين كان أبوه المتوكل خائفة ، وأعجب به المنتصر وأحبه ، ولكن المتوكل دخل على ابنه المنتصر دخلة على حين غفلة ، فسمع كلام يزيد ، واستحسنه فأخذ يزيد ليستخلصه لنفسه ، وجعله من ندمائه المقربين . وكان (المنتصر) يريد من يزيد أن يلازمه كما كان ، فلم يقدر يزيد على ذلك ، لملازمته الأب (المتوكل) ، فعتسب عليه لتأخره عنه على ثقة بمودة وأنس به . . .

فلما أفضت الخلافة إلى (المنتصر) وجاءه يزيد المهلبى حجه قليلا ، ثم أذن له ، وقال للمغنى (بنان بن عمرو) : غن ، فغنى بهذا البيت :

غدرت ولم أغدر ، ونحنت ولم أنح
ورمت بديلاً لي ولم أتبدل

فعلم يزيد أن (المنتصر) قائل هذا البيت وهو يعنيه بقوله ، فقام فقال : والله ما اخترت خدمة غيرك ولا صرت إليها إلا بعد إذ ذلك ، فقال : صدقت أتراني أتجاوز بك حكم الله عز وجل إذ يقول : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفوراً رحيماً » . ثم أنشاه يزيد قصيدته التي قال فيها :

جفاني سيد قد كان براً
ولم أذنب ، فما هذا الجفاء ؟
فوصله (المنتصر) بثلاثة آلاف دينار :

ولما استوزر (المهتدى) (سليمان بن وهب) رأى يزيد المهلبى أن يمدح (سليمان) وآل وهب بقصيدة ، فجاءه ، فأجلسه الوزير إلى جانبه وهو ينشد قوله :

وهبتم لنا يا آل وهب مودة
فأبقت لنا جاها ومجداً بؤثلاً

فقطع عليه الوزير الإنشاد ، وقال له : فأنت والله عندى كما قال عمارة بن عقيل لابنه : أقهقه مسروراً إذا أبت سالماً
وأبكى من الإشفاق حين تغيب

وثابع يزيد إنشاده لقصيدة المدح حتى ثممها ،
فقال له سليمان بن وهب : لا تبرح والله
إلا بقضاء حوائجك كائنة ما كانت

استطاع يزيد بن محمد المهلب أن ينفع
— بمناذمته ومجالسته — بعض أصحابه الذين
يرى فيهم البراعة :

فإن يزيد هو الذي ذكر أبا العباس المبرد
للمتوكل والفتح حتى وصل هذا العالم إليهما :

قال أبو بكر الزبيدي : كان سبب حمل
المبرد من البصرة إلى (سرمن رأى) أن
المتوكل قرأ يوماً — وبحضرته الفتح بن خاقان
« وما يشعركم أنها إذا جاءت » (بفتح
همزة أنها) فقال له الفتح : ياسيدي « إنها »
بالكسر ، ووقعت المشاجرة ، فتشايعا
على عشرة آلاف دينار ، وتحاكما إلى يزيد
ابن محمد المهلب — وكان صديقا للمبرد —
فخاف يزيد أن يسخط أحدهما فقال : ما
أعرف الفرق بينهما ، قال المتوكل :
فليس ههنا من يسأل عن هذا ،
فقال يزيد : ما أعرف أحدا يتقدم فتي البصرة
يعرف (المبرد) ، فقال المتوكل : ينبغي
أن يشخص مكرما . وإن يزيد هو الذي
أحسن تقدير البحترى أمام الفتح بن
خاقان حتى دعا الفتح ببصرة ، وقال اقتسماها
بينكما إلى أن أكلم أمير المؤمنين ، فلما
خرجما من عند الفتح قال البحترى ليزيد
أحسن الله عني جزاءك بأنني وابن عمي !

ولما أنشد البحترى الخليفة المتوكل قصيدته :
« عن أي ثغر تبسم ؟ » وصار يختال ويعجب
بما يأتي ، نغمز المتوكل أبا العنيس فأنشد أبيات
سوء بتغيير الألفاظ من قصيدة البحترى ،
فولى البحترى من المجلس مغضبا ، وخطر له
أن يخرج إلى بلد آخر ، ولكنه ذهب إلى
يزيد المهلب وقال له : أنت عشير وابن عم
وصديق ، وقد رأيت ما جرى عليّ ، فهدأه
يزيد ، وذهب به إلى الفتح ليتم تهدئته :

وكان يزيد بن محمد المهلب يحب الشعر
المطبوع السهل المذهب القريب إلى النفس
وإحساسها ، لذلك قال في نقده لشعر المنتصر :
كان طبع المنتصر متخلفا في قول الشعر ،
وكان متقدما في كل شيء غيره ، وكان حسن
العلم بالغناء ، فلما ولي الخلافة قطع ذلك ...
وقد استحسّن يزيد من شعر المنتصر قوله :
متى ترفع الأيام من قد وضعته

وينقاد لي دهر عليّ جموح ؟
أعلل نفسي بالرجاء وإنني
لأغدو على ما ساءني وأروح

فإن هذا الشعر يصور ما عند المنتصر
— بعد ما غاضبه أبوه الخليفة — من ألم النفس
الحريح ، وهزتها بجموح الزمن الحامح !
وإن شاعرنا يزيد كان ذا شعر مطبوع ؛
سهل المتناول ، قريب إلى النفس وإحساسها ،
يجري فيه ماء المجتمع وتظهر عليه صوره :
وقد مضت الإشارة إلى المدح في شعر
يزيد ، وأما الهجاء فقليل في شعره ، وأظهره

ما نكح من مهاجراته لعبد الصمد بن المعتدل
الشاعر الهجاء، فقال يزيد قصيدة ذكر فيها
أحداث شؤم صورها ونسبها إلى عبد الصمد،
ثم قال :

ولم ينزل بدار ثم تسمى
ولما يستمع لطم الحدود
وكل مديح قوم قال فيهم
فإن وراءه « يا عين جودى »
إذا وجل تسمع منه مدحاً
تذم منه وأثمة الصعيد

فألصق يزيد صور الشؤم بعبد الصمد حتى
اشتهر بالشؤم شهيراً أليماً .

ثم نقدم ألواناً من شعر يزيد بن محمد ؛
قال في ذم كأس النبيذ :
لعمرك ما يحصى على الكأس شرها
وإن كان فيها لذة ورخاء
مراراً تريك الغى رشداً ، وتارة
تخيّل أن الحسين أساءوا
وأن الصديق الماحص الود مبغض
وأن مديح المادحين هجاء
وجربت إخوان النبيذ فقلما
يدوم لإخوان النبيذ إخوان
وقال :

ونخل أنما كنا قد ديمماً نهاحبه
تأمر فاعتاصت علينا مسداهبه
إذا نحن غبنا عنه لم يُعجز ذكرنا
وإن نحن نجئنا صدنا عنه حاجبه

وما انشكك إلا حسن ظن بصاحب
خدرل إذا ما الدهر نابت نوائبه
فاجر أخاك الحبل وأترك جذابه
فإنك إن جاذبته الحبل قاضيه
فإن المديح الجون يخلف برقه
وإن الحسام العصب تنبو مضاربه
ومن ذا الذى ترضى بحاياه كلها
كفى المرء لبلاً أن تعد معاهبه

* * *

وقال :

لاتخافى إن غبت أن نتناسا
كـ ، ولا إن وصَلتنا أن نتملا
إن تغيبى عنا فسقياً ورعياً
أو تحلى فينا فأهلاً وسهلاً
ومن أشد مواقف يزيد على نفسه وأهزها
لشعوره وأبعثها لشعره موقفه ليلة قتل
الخليفة جعفر المتوكل في قصره (الخعفرى)
فقد كان يزيد والبحترى حاضرين مجالسين
للمتوكل ووزيره الفتح ، فدخل الأتراك
عليه دخلة الهجوم ليقتلوه ، وشاهد الشاعران
هذا المشهد المرعب ، وسارع كلاهما
إلى مختبأ قريب يختبئ فيه .

قال الحصرى في زهر الآداب :
وقد رثاه البهترى ويزيد المهلبى بمرثيتين
من أجود ما قبل فى معناهما .

قال البحرى :

تغير حسن (الجعفرى) وأنسه
وقوض بادهى (الجعفرى) وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة
فاضت سواء دورهُ ومقابرهُ
..... الخ .

وقال يزيد بن محمد المهلبى قصيدة أولها :
لا وجد إلا أراه دون ما أجد
ولا كمن فقدت عينى مفقود
وذكر فيها مقتل الخليفة ووعظته والأسف
عليه فقال :

ولا يبعدن هالك كانت نيتهُ
كما هوى من غطاء الزبية الأسد
جاءت نيتهُ والعين هاجعة
هلا أتته المنايا والقنا قصيدُ

فخرٌ فوق شرير الملك منجدلا
لم يحده ملكه لما انقضى الأبد
ضجّت نساؤك بعد العز حين رأت
خدا كريماً عليه قارت جسدُ

إذا بُكيت فإن الدمع منهك
وإن رثيت فإن الشعر مطرد
أضحى شيد بنى العباس موعظة
لكل ذى عزة فى رأسه صيدُ

خليفة لم ينل ما ناله أحد
ولم يُضَع مثله روح ولا جسد
وقال عارضاً حقارة القاتل وعظامة
المقتول وفجيرة الحزنان وسمود المدهوش
واضطراب الناس :

علتك أسياف من لا دونه أحد
وليس فوقك إلا الواحد الصمد

جاءوا عظميا لدنيا يسعدون بها
فقد شقوا بالذى جاءوا وما سعدوا
قد كان أنصاره يحمون حوزته
وللردى دون أرصاد الفقى رصيدُ
إنا فقدناك حتى لاضطبار لنا

ومات قبلك أقوام فما فقدوا
قد كنت أسرف فى مالى فتخلفهُ
وعلمتنى الليالى كيف أقتصدُ

لو أن سيقى وعقلى حاضران له
أبليت الجهد إذ لم يُبله أحدُ

قد وثر الناس طرا ثم قد صمتوا
حتى كأن الذى نيلوا به رشد

وأصبح الناس فوضى يعجبون له
ليثا صريعا تنزى حوله النقدُ

لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم
إذ لا تهزُّ إلى الحانى عليك يدُ
ثم التفت يزيد المهلبى - فى هذه القصيدة -
بشعوره وشعره إلى المعنى الاجتماعى المنتصب

في اعتماد الخلفاء العباسيين للموالى الأتراك ،
والاعتماد عليهم ، وترك الاعتماد على
العرب الأحرار ، فقال :
لما اعتمدتم أناساً لاحفاظ لهم
ضعتم وضيعتمو من كان يعتمد

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم
حمتكم الذادة المنسوبة الحشد
من الألى وهبوا للمجد أنفسهم
فلا يبالون ما نالوا إذا حُمدوا
قوم هم الأصل والأسماء تجمعكم
والدين والمجد والأرحام والبلد

محمد رفعت فتح الله
عضو المجمع



الأدب واللغة في شعر بدر شاكر السياب للدكتور إبراهيم السارني

منه الفكر العربي المعاصر فكان مادة الأدب
الحديد :

ولا أريد أن أشارك في هذه الحماسة التي
تفتقر إلى شيء من العقلانية فأكتب في هذا
الأدب . غير أنني معنى بلغة هذا الأدب
الحديد عنمايتي بالعريضة الفصيحة
وتاريخها وتطورها وما أفادته من عصرنا
الحاضر وما نالها منه في السوقت
نفسه . وقد قصرت بحثي على المادة اللغوية
في أدب هذا السياب :

أقول : لقد قال النقاد القدامى في أبي
تمام إنه خرج على عمود الشعر^(١) لأنه جاء
بجديد لأعهد للعربية به نحو « ماء الملام »
في قوله :

لا تسقني ماء الملام فإنني
صب قد امتعت به ماء بكائي

لقد قيل في المتنبي شاعر العربية
الكبير : لقد ملأ الدنيا
وشغل الناس ولعل شيئاً
من هذا يصدق في صاحبنا بدر السياب ،
ولكن هل كان حقاً أن ينال هذا السياب
هذه المكانة ، وهل كان له من
الشاعرية الفذة مادعا إلى أن يشيع اسمه
فيعرفه القريب والبعيد ، ويكتب عنه هنا
وهناك في بلاد الدنيا ؟

لقد كتب كثير من الدارسين عربا
وأعاجم في شاعرية السياب وخصائصه
الفنية التي عدت خصائصه للأدب العربي
الحديد أو كل المعاصر ، وقد ذهبوا
إلى أنه فتح أبواباً عريضة للتأديين شعراء
ومتشاعرين .

لقد ذهبوا إلى أن هذا الأدب الحديد
شيء من الفكر العالمي ولا سيما الغربي أفاد

(١) لقد أسى استعمال مصطلح « عمود الشعر » في عصرنا هذا فكان « الشعر العمودي » . وهذا المصطلح الجديد يعني في
استعمال المعاصرين الجدد من الشباب وغيرهم الشعر الذي يخضع للوزن الواحد والقافية الموحدة وهذا يعني أن هذا الضرب من
الشعر أي القصيدة في شكلها المعروف في التزام الوزن والقافية الموحدة تقابل الشعر الجديد الذي أسماه « الشعر الحر »
قلت : لقد أسى استعمال « العمود » وهو المصطلح القديم الذي أريد به في اصطلاح النقاد القدامى الحفاظ على اللغة في معانيها
واستعمالها ومجازاتها وأقيستها . ومن أجل هذا قالوا بخروج أبي تمام وآخرين على هذا « العمود » لأنهم أقبلوا باستعمالات لم تعرف
في العربية قبل تلك الحقبة .

وقوله :

يادهر قسوم من أخدعيك فناء
أضججت هذا الأنام من خرقك

وقوله :

ألا ، لا يمد الدهر كفاً لسيء
إلى مجتوى نصر فتقطع من الزند

وقوله :

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه
بكفنيك ما ماريت في أنه برد

ولقد عابوا على أبي الطيب المتنبي كثيراً من شعره وتنقصوه كما عابوا شعر طائفة أخرى من المحدثين أو المولدين : وظلت حال النقد اللغوي على هذا النحو حتى جاء العصر الحديث ، فظهر هنا وهناك أدب جديد . وقد وجد النقد في شيء من هذا الأدب خروجاً عما ألف الناس في استعمالهم الأدبي . لقد وجدوا في أدب المهاجرين من العرب إلى الديار الأمريكية نمطاً جديداً يشذ عما درج عليه الأدباء في أساليب العربية الفصيحة : فمن ذلك مثلاً أنهم وجدوا أن « جبران » من أدباء المهجر الأوائل كتب في أحد مصنفاته :

« جبلت رعوس الأفاعي » :

فقال النقد كيف يكون ذلك وكيف جاز « للرؤس الحبل » وهل « الحبل » جائز في الأفاعي ؟

أقول : إذا كنا قد أخذنا على جبران وغيره من أدباء المهجر تجاوزهم على العربية في معانيها ومجازاتها فماذا نقول في لغة الشعراء الجدد المعاصرين ؟

لقد كان لي أن استقربت ثلاث مجموعات في شعر السياب هي على النحو الآتي :

١ - المعبد الغريق (دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٢) :

٢ - منزل الأقنان (دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٣) :

٣ - شناسيل ابنة الحلبي (في منشورات وزارة الثقافة والإعلام في بغداد ١٩٦٥) :

إن شعر السياب في هذه المجموعات الثلاث وفي غيرها مما لم يشمل استقراؤى مثل « أنشودة المطر » نمط جديد دعى « الشعر الحر » من حيث عدم التزامه بوزن واحد وقافية واحدة . وإذا جاز لي توسعاً أن أسمى أى موضوع من موضوعات هذه المجموعات « قصيدة » لزمنى أن أقول : إن هذه القصيدة تجرى في عدة من أوصالها ، ولا أقول أبياتها على نغم أو وزن أو بحر من بحور الشعر المعروفة ، غير أن السياب يبدأ « موضوعه » على وزن من أوزان الشعر المعروفة حتى إذا مضى في ترنيمة لا تتجاوز أبياتاً أربعة أو خمسة انبرى إلى شيء يبتعد عن هذا النغم الموزون ، فقد يكون وزناً آخر وقد لا يكون شيئاً في وزن ، بل قد يكون نثراً بارداً ، فكأنه حين ينتقل هذه

الانتقال المحيرة ، أنشط في عقل ما يعتلج في نفسه في المضي على الوزن مخافة أن يقال له : وقع في أسر « الشعر العمودي » . وإني لأستميح سامعي أو قارئ من أهل العلم عذرا أن استعمل هذا المصطلح الذي بنى على الخطأ والوهم :

ولنسمع شيئا من هذا النمط الذي يتقلب فيه السياب فيأتي بأمشاج من أوزان مستقيمة ومتجانفة :

يقول في إحدى قصائده الحديدية أسماها « وصية من محتضر »^(١) :

يا صمت ، يا صمت المقابر في شوارعها الخزينة ،
أعوى ، أصبح في لهف فأسمع في السكينة
ماتنثر الظلماء في ثلج وقار

تصدى عليه خطي وحيدات ويتنلع المدينة
أصداء هن ، كأن وحشاً من جديد من حجار
أين العراق ؟ واين شمس ضحاها تحملها سفينه
في ماء دجلة أو بؤيب^(٢) ؟ واين أصداء الغناء
خفقت أجنحة الحمام على السنابل والنخيل
من كل بيت في العراء ؟

في هذه المقطوعة نغم من مجزوء الكامل يسرى في بيتين كاملين يخلفهما شطر أوشى

من شطر ليس من بابتة : ثم يعود إلى هذا الضرب من « الكامل » في خمسة أبيات ذيلت بشيء آخر يند عن وزنها . ومثل هذا كثير في شعر السياب وغير السياب من الشعراء الجدد أصحاب هذا الضرب المدعوب « الشعر الحر » :

وكأن هؤلاء أرادوا أن تكون هذه المسألة في النيل من الأوزان المعروفة ، سمة من سماتهم ، فإن لم تكن هذه سمة لهم فكيف نفهم أن شيئا من المتدارك في قول السياب يسلمك إلى ضرب من النثر أو شيء منه :

ظلاً يتأوج كالبحر

يادربا يصعد للرب

لولاك لما ضحكت للأنسام القرية

في الريح عبر

من طوق النهر يهددنا : : : ويغنيينا
وأنت واجد مثل هذا العداء إلى القافية
حيثما تهأت له قافية طيبة مواتية في
جماعة أبيات تعاصي عليها فانتقض إلى
قافية أخرى ، أو شيئا آخر ليس بقافية ،
وذلك لأن الشاعر الجديد ينحدر من نغم
موزون إلى نثر لا تلمح فيه وزنا أو تناسبا
بين فقرة .

(١) من مجموعته « منزل الأتقان » .

(٢) بويب اسم نهر صغير في أقصى جنوب العراق .

في العراق بيئة خضرة، ومياه وفيرة تقرب من
بيئة الخليج العربي؛ فالأنهار طول الليل والنهار
بين مد وجزر، يطغى الماء في المد ثم
ثم ينحسر في الجزر فيظهر في الشطآن الحصى
والرمل والمخار. فإذا قرأت أدب السياب
أدركت أن هذا الفتى بصرى أصيل أحب
بلده وتعلق به أيما تعلق، ومن أجل ذلك حفل
هذا الأدب بهذه المواد من الطبيعة البصرية؛
ثم إنك لتجد مواضع تلك البيئة من أعلام
القرى والأنهار والمحال. وقد تعجب
من أن السياب يطالعك بأسماء هذه
الشخوص الأعجمية مع مواد بيئته البصرية
القروية؛ فهو يقول في مجموعته «المعبد
الغريتي» في قصيدة أسماها «حدائق وفيقة»:

لم تزل تثقل «جيكور» رؤاها

آه لوروئي نخيالات الحديقة

من «بُويب» كركرات لو سقاها

منه ماء المد في صبح الحريف

إن وفيقة هذه إحدى فتيات صرح السياب.
باسمها، ولانعلم إن كان هذا الاسم صريحاً أم
مستعاراً. و«جيكور» هي قرية الصغيرة
في جنوب العراق من توابع البصرة،
و«بُويب» هذا اسم نهر صغير في تلك القرية،
وما أكثر النهرات الصغيرة في تلك
الجهات، وهي تتأثر بالمد، الذي يعم شط
العرب مبتدئاً من الخليج وفي هذه «المجموعة»

نفسها نقرأ في قصيدة تتصل بـ «وفيقة» هذه
موضوعها «شباك وفيقة» قوله:

(كجليل تنتظر المشيه

ويسوع) وينشر الواحه

ايكار يمسح بالشمس

ووفيقة تنظر في أسف

~~~~~

ظلا يتماوج كالجرس

ويهف كحبات النفس

والشمس تكرر في السعف

يادربا يصعد للرب

~~~~~

في الريح هبير

«عوليس» مع الأمواج يسير

فأنت ترى «الجليل» و«يسوع»، وهما
معروفان، استعارهما السياب من الثقافة المسيحية
وشبه بهما شيئاً أشار إليه في «قصيدته»
التي تتصل بإحدى الفتيات قد سماها «وفيقة»
ثم تقرأ «ايكار» وهو «يمسح الشمس» إيماءة
إلى أسطورة إغريقية، ثم «عوليس»
وهو بطل «الأوديسا» ثم إنك لتجد القصيدة
الواحدة تجمع هذه كلها في مادة جنوبية قروية
من ريف العراق الجنوبي تنتصب فيها هذه
المواد الغريبة من الأعلام النصرانية والإغريقية
والرومانية في لوازم الأدب القديم للفكر
اليوناني والروماني.

إنه يقول في قصيدته «أم البروم»^(١٩)
في مجموعته «المعبد الغريق» :

رأيت قوافل الأحياء ترحل عن مغانيها
يقول رفيقي السكران : دعها تأكل الموتى

مدينتنا لتكبر تحضن الأحياء تسقيننا
شراباً من حداثق «برسفون» تعلنا حتى
تدور جماجم الأموات من سكر مشى فينا
و «برسفون» هذه ابنة آلهة الحصب
اليونانية ، اختطفها «بلوتو» سيد العالم السفلي
عالم الأموات فصارت تعيش معه هناك :

وقد تعجب إذا بحثت عن شيء يتصل
بالأساطير العراقية القديمة ولا سيما البابلية فلا
تجد منها إلا شخوصاً باهتة ، ولا أدري
أحسب السياب أن الشخوص غير العربية
أو قل غير الشرقية مما يتصل بعوالم غير
عالمنا تزكية لأدبه ، وخصيصة لا بد منها لا يأتلق
الفكر الحديد في أدب الشباب إلا بها ؟
أقول كأن هذا مما يفتقر إليه أدبنا العربي
ليصبح في عداد الآداب العالمية .

قلت إن الأعلام القديمة التي كان
ينبغي للسياب أن يفيد منها في نهجه في
الإفادة من «الأسطورة العراقية البابلية أو

السومرية» قليلة باهتة لا تكاد تشعر بها ، ومن
هذا القليل النادر قوله في «شباك وفيقة» :

إذا انشق عن وجهك الأسمر
كما انشق عن عشروت المحار

و «عشروت» في الآلهة البابلية . وأنت
ترى أن حضور هذه المواد الغربية في
الآداب القديمة لم يكن شيئاً متساياً بأصالة
وضرورة فنية فهو شيء لا يتجاوز التشبيه
العابر الذي لا يضيء صورة مظلمة ولا يبدع
فكرة أصيلة : والمحار وهو الصدف شيء في
مادة السياب يرمى إلى تأثره ببيئة الجنوب ،

ولنتقل إلى معجم السياب في هذه
المجموعات الثلاث وغيرها لنقول : إنه
معجم زهيد القيمة قليل المادة لا غناء فيه
إنه طائفة من ألفاظ نجدتها ونسمعها
في حديث الناس سحابة يومهم ، وإنه
عما تضطرب به أقلام الكتبة في صحف هذا
هذا العصر . وهذا شيء عدرج عليه السياب وغيره
من هؤلاء الشبان أصحاب المذهب الحديد الذي
أسموه «الشعر الحر» : وليس غريباً أن
يكون معجم هؤلاء الشبان من رصيدهم
اللغوي فقيراً يفتقر إلى غير قليل
من هذه العربية السمحة ، ذلك لأنهم لم يطيلوا
الوقوف على الأدب القديم ولم يعرفوا مادته
معرفه الدارس المتبصر ، ولم يكن لهم أن

(١٩) «أم البروم» اسم مقبرة شهيرة في شمالي البصرة قد أزيلت حين اتسعت رقعة المدينة فبعثرت القبور وطست
معالمها وقامت مقامها المساكن والمرافق الأخرى التي تتصل بالمدن الجديدة كالحداثق والمنزهات .

يشقوا بمعرفة كتب العربية وما اشتملت
عليه في الأعلام النفسية :

أقول : إذا كانت بضاعة هؤلاء الشبان
في المادة اللغوية على هذا النحو من الفقر
فكيف يتأتى لهم أن يبلغوا في أدبهم مكانا رفيعا
وكيف يتأتى لهم أن يقيموا بناء ثابت الدعائم
مستقر الأصول . لعل أحدا أن يقول :
إنهم يعتمدون على الفكر الحديد المعاصر
مما يبدعه الفكر الغربي ، وما أظن أن شيئا
يستقيم لهم من ذلك إن لم تكن بضاعتهم
اللغوية في العربية سنية مجدية على افتراض
أنهم يحذفون شيئا في اللغات الغربية ، فإذا
عرفنا أن هذا الافتراض غير متوفر ، وأن
أغلب هؤلاء الشباب لا يشدون شيئا من
اللغات الغربية يمكنهم من معرفة تلك الآداب
أدركنا أن ليس في طوق هؤلاء أن يجعلوا من
أدبهم شيئا يحسب له الحساب في الآداب
العالمية :

وقد بلغ من فقرهم اللغوي أنهم يغيرون
على الكلم العامي الدارج ، فيضمونه إلى
مادتهم عارفين أو جاهلين أنه ليس من
العربية الفصيحة كما سنتبين . وقد يكون
من فقرهم اللغوي أيضا أنهم يسيئون
إدراك المعنى الحقيقي للكلمة الفصيحة فيتوهمون
أنها تعني شيئا لا تعرفه في العربية الأصلية .

ولنبدا هذه المسيرة الطويلة من مجموعة :
« المعبد الغريق » فنقرأ قول السياب في
« شباك وفيقة » :

ظلاً يتماوج كالبحر سـ

ويهف كحبات النفس
والشمس تكرر في السعف

إن الفعل « تماوج » شيء من العامية
العراقية ولعله كذلك في غير العامية العراقية
من الألسن الدارجة ، وذلك لأن من مادة « موج »
الفعل « ماج يموج » و « تموج » ، أما
« تماوج » فهو صيغة عامية دارجة : وما
أحسب أن السياب يدرك أنها عامية . ولعل
من نهجه أن « يتماوج » فعل عربي فصيح
لأنه جرى على صيغة من أبنية الفعل المزيد :

ثم إن قوله : « ويهف » لـ « حبات
النفس » لا يفصح عن معنى الفعل كما هو
في العربية ذلك إن « الهفيف » سرعة السير ،
قال ذو الرمة :

إذا مانعنا نعسة قلت غننا
بخرقاء ، وارفح من هفيف الرواحل

وريح هفاقة : سريعة المر ، وهفت
الريح هفا وهفيفا إذا سمعت صوت هبوبها ،
فكيف يتسنى لنا أن ندرك معنى استعمال
الفعل في قول السياب ؟ وكيف يكون للظن
« هفيف » ؟ ثم نأتي إلى الشطر الثالث فنجد
« الشمس تكرر في السعف » ويخيل إلى
أن السياب استعار « الكركرة » هذه من اللغة
الدارجة العراقية بمعنى الضحك المتصل ، مع
أنى لا أدرك كيف « تكرر » الشمس في
السعف ، أى تضحك . وما أظن أن السياب
يعرف أن هذا الفعل المضاعف من الفصيحة
والعامي في الوقت نفسه . ولا أدري كيف

يُتَّجِه لى أن أعرف أن « الشمس تُكركر فى
السعف » ؟ وإذا أردنا أن نحمل الفعل « كركر »
على معنى التردد والإدارة لم نستطع أن نجد له
وجهاً فى بيت السياب . ولنسر مع الشاعر
فى « قصائده » فنجد أن « الكركرة » المأخوذة
من العامية تفيد الأصوات المترددة والسياب
يستعملها كثيراً دون أن يلمح معناها الدقيق ،
ليقول فى مقطوعة أسماها « حقائق وفيقة » :

.. .. .

آه لو روى نحيلات الحديقسة
من بوب كركرات ! لرسقها
.. .. .

وهو يقول فى قصيدته « أم البروم » التى
أشرنا إليها :

.. .. .

فتحلم أعين الموتى
بكركرة الضياء وبالتلال يرشها النور

لا أدرى كيف يتجه لى شىء من معنى فى
نسبة الكركرة للضياء ! وليس هذا مندرجا
فى نهج الشاعر فى إطلاق المجازات والاستعارات
التي تنخرم فيها العلاقات بين الألفاظ ، فالمجاز
قائم دون أية رابطة تسهل هذا التوسع المجازى ،
بل قل إن العلاقات غير كائنة ، وهذا كثير
فى شعر السياب ، وأكثر منه ماورد فى شعر
الذين خلفوا بعده وفى شعر المعاصرين من
هؤلاء الشباب الأجرىاء . وسأتى على ذكر
هذه المسائل الغريبة التى تقدح فى علم الدلالة .

ولابد من استيفاء ماورد من الكلم الدارج
فى شعر السياب مما يتلقفه من لغة الناس فى
حديثهم وصحفهم اليومية ، يقول السياب فى
« شباك وفيقة » التى أشرنا إليها :

تمثلت عينيك يا حفرتين
على ضفة الموت بوابتين

أقول : ليس فى العربية « بوابة » بمعنى
الباب ، ولانعرف الكلمة فى العامية الدارجة
فى العراق ، وإنما أخذت سبيلها إلينا من الألسن
الدارجة العربية فى مصر وسورية وغيرها .
وأنت تجد الكلمة فى قصائد أخرى كأن يقول
فى قصيدة أسماها « دار جدى » :

أين حياة لا يحد من طريقها الطويل سور
كشر عن بوابة كأعين الشباك

ثم كيف تدرك أن « السور كشر عن بوابة
كأعين الشباك » !!

ومن الانسياق فى المادة الدارجة استعمال
السياب للفعل « يلهث » فى غير معناها الذى
نعرفه فى العربية . يقال : لتهيث الرجل إذا
أخرج لسانه من شدة العطش والحر ، ولهث
الكلب إذا خرج لسانه من التعب والعطش
كما فى التنزيل العزيز : « كمثل الكلب إن تحمل
عليه يلهث أو تتركه يلهث » .

ثم لننظر كيف يقول السياب فى قصيدة
أسماها « حنين فى روما » :

عريان تزلق فى أيسمد

.....

في ليل الشهوة كل دمي
يتحرق ، يلهث ينفجر

وعند النهار خزامي ، أقاح
وختمية مالها ذبول

من غير شك أن « يلهث » في قول السياب
من العامية في وصف المتعب المجهد ، ثم إننا
إذا وجدنا سبيلا إلى فهم هذا الفعل في قوله :
« . . . كل دمي يتحرق ، يلهث . : »
بتقريبه من الدلالة الفصيحة فكيف نفهم
قوله في قصيدة « النبوة الزائفة » :

تطفأت الكواكب وهي تسقط فيه كالشرر
ويلهث تحتنا الآجر يزحف تحتنا زحفا
إن الفعل « يلهث » في نسبه إلى « الحجر »
شيء غريب بعيد عن الاستعمال الفصيح بل
هو عامي دارج .

وفي قصيدة أسماها « جيكور شابت » يقول
السياب :

كركرات المياه التي كسر الشمس منها ارتجاف
.. :: :. :. :. :. :. :. :. :. :. ::

ودرابلك في الأرض تنقـرهن البذور
في هذين البيتين نعود إلى « الكركرة »
العامية التي تحدثنا عنها والتي توهمها السياب
مادة فصيحة ، ومثلها « الدرابلك » جمع
« دربكة » وهي ضرب من الدفوف أو
الطبول يستخدمها العامة في الأفراح وغيرها.
ومن المفيد أن أشير إلى أن « الدرابلك »
لا تعرف إلا في العامية البصرية . . .

ومن هذا الكلم قوله في قصيدة أسماها
« صياح البط البري » :

.. .. :: :: :: :: ::

أقول : و « الختمية » صنف من الزهر
لا يعرفه غير العراقيين :

ويقول في قصيدة أسماها « المعبد الخريق »
وهي اسم المجموعة كلها :

وحدث وهو يهمس جاحظ العينين مرتعدا
يعبئ الحمر شيخ : عن دجى ضاف وأدغال
تلامح وسطها قمر البحيرة يلثم العمدا
يمس الباب في جنبات ذلك المعبد الخالي
طواه الماء في غلس البحيرة بين أحراش
معثرة وأدغال

إن الدارس ليجد في هذه المقطوعة شيئا
من تأثير السياب بالعامية ، فأين الفعل « تلامح »
في فصح العربية ؟

إنه يعني « بدا باهتا » ، ثم إن « الأحراش »
بمعنى « الشجر مجتمع » من العامية وفصيحه
« الأحراج » بالجمع ، والأحراج والخرج
يفتحين . والحرجات واحد ، والحرجة
واحدة الحرج كالشجرة والشجر :

ومن التأثير بالعامية قول السياب في
قصيدة أسماها « أفياء جيكور » :

جيكور مسي جيني فهو ملتهب
مسيه بالسعف

والسنبل الترف

على الكلام العامي ونقرأ في قصيدته هذه التي
جعل اسمها اسماً للمجموعة كلها : وفتحت
السما لغيثها المدرار بابا بعد باب .

عاد منه النهر يضحك وهو ممتلئ

تكلمه الفقائع عاد أخضر، عاد أسمر،
غصن بالأنغام واللهف

يا مطراً يا حلبي

عبر بنات الحلبي

يا مطراً يا شاشا

عبر بنات الباشا

أقول : أراد بـ « الفقائع » الفقاعات
لأن المفرد هو فقاعة مثل درّاعة وليس
« فقيعة » أو « فقاعة » مثل سخابة ليكون
جمعها لو وجدا : « فقائع » كما جاء في قول
السياب : ثم إن السياب استعار من أغاني
الأطفال في العراق وهم يرددون أغنية عند
مطول المطر :

يا مطراً يا حلبي إلى آخر

و « الحلبي » في هذه الأهزوجة تعني
« الحلبي » في لغة عوام مصر وغيرهم .
ومن المعلوم أن ما يرددّه الأطفال قد يكون
خلواً من المعنى ذلك أن المهم أن تهبأ أهزوجة
فيها الوزن والقافية ، وإلا فما معنى « حلبي
وشاشا » ؟ إن كلمة « حلبي » جاءت بـ
« حلبي » و « شاشا » استدعتها كلمة « باشا »

وهو اللقب التركي الذي استعاره العرب
ودلالته معروفة :

ونقرأ في قصيدة « ارم ذات العماد » من هذه
المجموعة قوله :

نقودى الأسماك لا الفضة والنضار ،

والورق والشياك والوهار

في خورها العميق أسمع الحمار

نجد في هذه القطعة مواد بصرية تتصل
بالبيئة البصرية ذات المياه والأنهار وما تشتمل
عليه أمن السمك أولوازمه وهي الشباك
من أدوات الصيد، و « الوهار » من أدوات
الصيد أيضاً وهي جملة عيدان تغرس
في صدر النهر أو الساقية فلا تدع السمك
يفلت منها فيسهل اصطياده . ولا نعرفه
في العربية الفصيحة لفظ « الوهار » وإن كان
بناؤها على نحو أسماء الأدوات والآلات وهو
« فعال » المكسور الفاء كالحياط والصمام
والسلاح والقناع وغير ذلك ..

وأنت تحس أن مادة هذه الأبيات كلم
حلي ومن ذلك « الخور » وهو مصيب الماء
في البحر وقيل خليج من البحر . ولا نعرف
وجوداً لهذه الكلمة في العربية المعاصرة غير
اللغة العامية البصرية، فهناك خؤور عدة، منها
خؤور عبد الله في بعض جهات البصرة الحديثة .
وإذا رجعنا إلى مادة « خور » في معجم
البلدان^(١) نجد عدة مواضع منها خور سيف

(١) معجم البلدان لياقوت (ط . ليزك ١٨٦٧) ١ / ٤٨٨ - ٤٨٩

إن « الغمازتين » التي استعملها السياب غير مرة يشير بها إلى شيء من محاسن الفتاة على رأيه ، وهما « حفرتان » في خد الفتاة تبدوان عند الكلام والضحك . وهذا من مولات السياب من غير شك .

لقد استوفيت الكلم العامى فى شعر السياب
ولا بد أن آتى إلى شىء آخر وهو إساءة استعمال
الفصيح أو توهم ما ليس فيه من دلالة ٥

وسأجترىء من هذا بذكر مواد معينة
منها استعماله تطفأ ويريد بها انطفأ ، ومنها
استعماله « الرحم » مذكرا فيقول :

تفجر باللظى رحم البحيرة بين أحراش وأدغال
وقرة عليه كل كل معبد عصفت به الحمى ،
ولا أدري كيف يكون للمعبد « كل كل »
وهو الصدر ، أو ما بين الترقوتين إلى الزور ،
ونقرأ قول السياب في قصيدة أسماها « في
انتظار رسالة » من المجموعة الثالثة :

وذكرت كَلْتَنَا يَهْفُ بِهَا وَيَسْبَحُ فِي مَدَاهَا
قَمَرٌ تَحِيرُ كَالْفَرَّاشَةِ ، وَالنَّجُومُ عَلَى النَّجُومِ
..
مثل الحصى ينداح فيه وأنت أول وارديه
..
طال انظارى وهى لاتأتى وتشرق الزوارت
والتخوت »

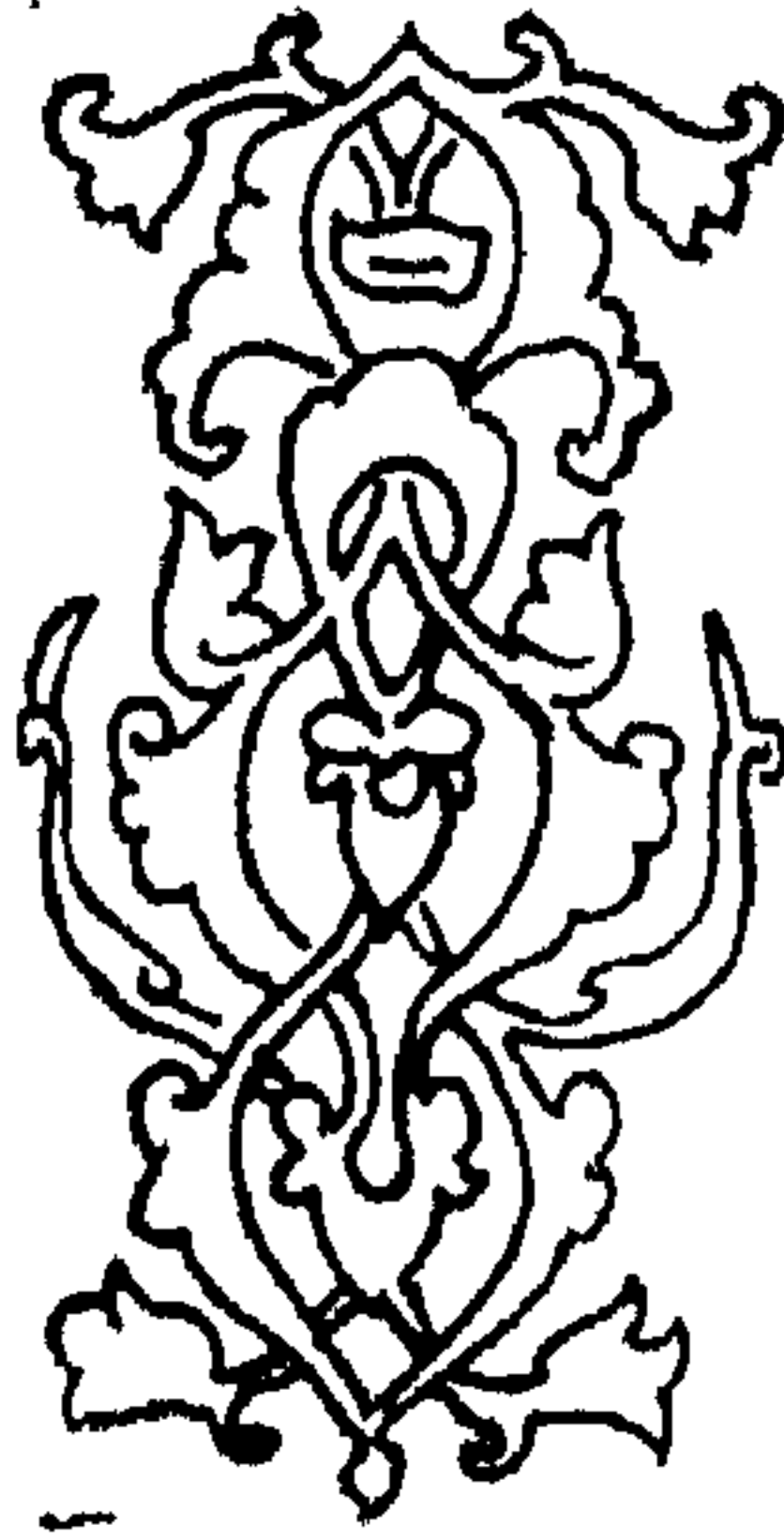
وفي هذه القطعة نعود إلى « هف » الذي
مر ذكره ، فلاحاجة بنا إلى مزيد من القول :
ولا أعرف مايعنى قوله : « مثل الحصن »

« النجمة » تعني شيئاً آخر فيقول في « المعبد
 الغريق » في قصيدة « دار جدى » :
 وفي المساء كنت أستحم بالنجوم
 عيناى تلقطانهن نجمة فنجمة وأركب الهلال

 وبعد فهذا هو السياب في أدبه من حيث
 مادته ونظمه ، والكلام على هذه المسائل
 يطول لو اتسع استقرأى فشمع مجموعات
 الأخرى :

لنداح ، وذلك لأن معنى « انداح » اتسع ،
 قالوا انداح بطنه أى خرج من وراء اتسع :
 ثم إن « التخوت » جمع تخت وهو مقعد
 من خشب يتسع لثلاثة يقعدون عليه وفيه
 متكأ ويظن السياب أنه من فصيح العربية .
 ويتوهم السياب أن « النجوم » وهى
 الأجرام السماوية جمع « نجمة » ولا يدرى أن

ابراهيم السامرائى
 عضو المجمع المراسل من العراق

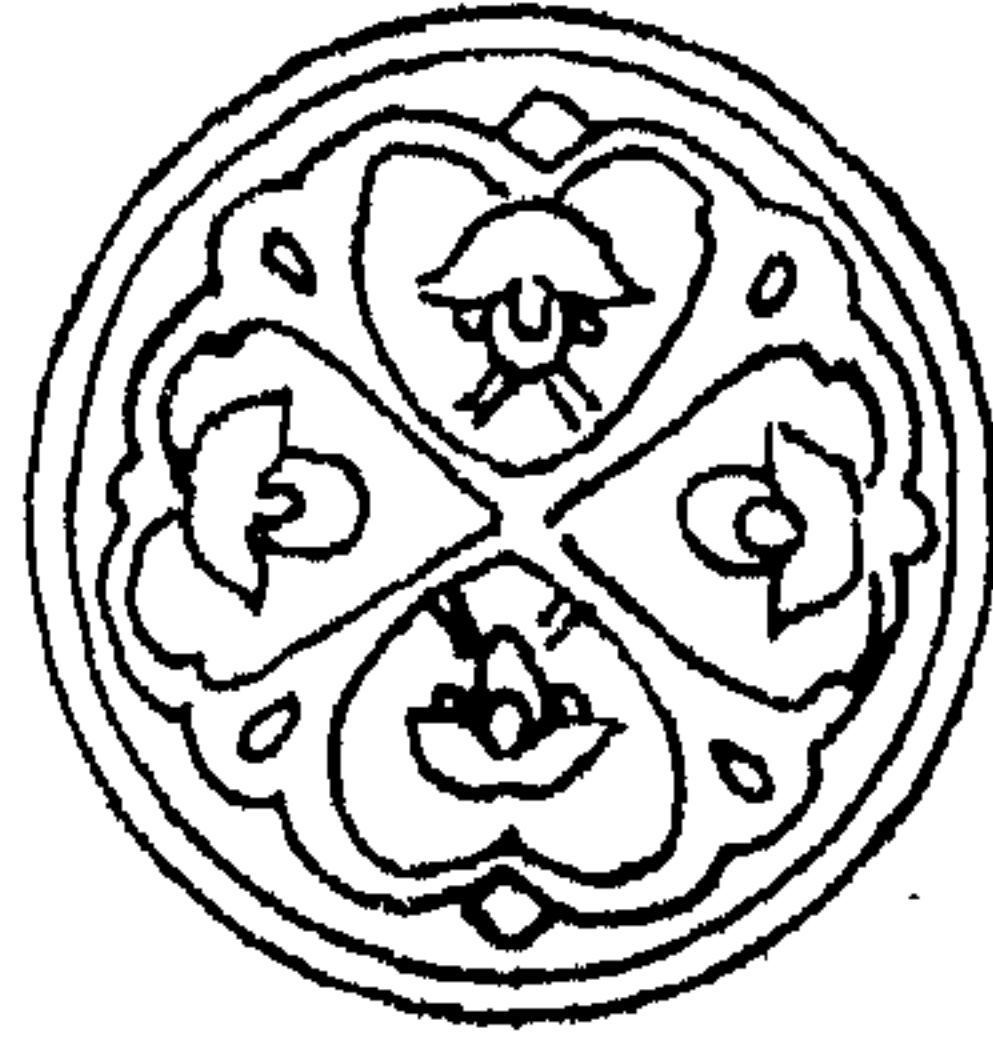




في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٢ من ربيع
الآخر ١٣٩٩ هـ (الموافق ٢١ من مارس ١٩٧٩ م) أقام
المجمع حفل استقبال أعضائه الجدد : الدكتور مجدى وهبة،
وصاحب الفضيلة الشيخ أحمد هريدى ، والدكتور أحمد
السعيد سليمان ، والدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله .
وفيما يلي ما لقي في الحفل من كلمات :

● كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتي سادتي :
يطيب لى فى هذا المقام أن أهنيء الزملاء
الأربعة الجدد بعضوية المجمع ، وأهنيء
المجمع بهم ، وأن أرحب بكم جميعا ،
وأشكر لكم جميعا مشاركتنا فى استقبالهم ؛
فهم يحملون إلينا كل عام نشاطا وقوة ،
نجدد بهم السير ، ونسير معهم ، نحمل الرسالة قدر
ما استطعنا . والكلمة الآن للزميل الدكتور مهدى
علام الأمين العام للمجمع ليقول كلمة
المجمع فى استقبال الدكتور مجدى وهبة :



• • كلمة الدكتور مهدي علام الأمين العام للمجمع



في استقبال الدكتور

عال في القانون الدولي من جامعة باريس
سنة ١٩٤٧ :

وعندئذ جذبته إليها الدراسات الأدبية ،
فانتقل إلى جامعة أكسفورد ، وحصل منها
سنة ١٩٤٩ على درجة الليسانس بمرتبة الشرف
في الأدب الإنجليزي . وواصل فيها دراسته
حتى حصل في سنة ١٩٥٤ على درجة
الليسانس في الآداب ، وهي التي تؤهل
لدراسة الدكتوراه : (وهذا نظام شبيه
بنظام الماجستير في جامعاتنا) .

وفي سنة ١٩٥٧ حصل من هذه الجامعة على
درجة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي .
فجمع بذلك أرفع الدرجات في الأدب
الإنجليزي من أعرق جامعة بريطانية .

وعاد إلى الوطن فوجد مكانه الطبيعي في
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية الآداب
بجامعة القاهرة ، مدرسا حتى سنة ١٩٦٥ ،
فأستاذًا مساعدًا حتى سنة ١٩٧٢ ، فأستاذًا
للأدب الإنجليزي من ذلك التاريخ حتى
اليوم .

لمجمعنا هذا أيام مشهودة ، ترفرف علينا
فيها نعمة الاستبشار ، وتهتز فيها نفسنا هزة
الرضا .

من هذه الأيام يوم استقبال عضو جديد
ينضم إلى سدة العربية . نحن اليوم في
عيد سابغ ، نستقبل فيه أربعة من أساطين
اللغة ورواد الفكر :

ويسعدني أن أبدأ باستقبال أحدهم وهو الأستاذ
الدكتور مجدى وهبة ، وهو صاحب أربعة أسماء
اختصرها باسمين عرف بهما في مؤلفاته ،
وبهما يدخل اليوم مجمعنا الموقر : فهو يوسف
مجدى مراد وهبة ، المعروف باسم
الدكتور مجدى وهبة ، الذى ولد في التاسع
عشر من أكتوبر سنة ١٩٢٥ .

وكانت نشأته التعليمية نشأة ثرية بفروع
المعرفة : فقد تلقى التعليم الابتدائى والثانوى
بالمدرسة الإنجليزية بالقاهرة ، ثم التحق
بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وحصل
منها على الليسانس سنة ١٩٤٦ ، وسافر
عقب ذلك إلى فرنسا ، وحصل على دبلوم

وفي أثناء تلك المدة لدب وكيلا لوزارة الثقافة من سنة ١٩٦٦ حتى سنة ١٩٧٠. وينتظم نشاطه الأدبي أربعة فروع من الإنتاج :

أولا : الترجمات الى اللغة العربية :

(أ) راسيلاس أمير الحبشة ، تأليف الدكتور صمويل جونسون سنة ١٩٥٩ (بالاشتراك) :

(ب) لن تحدث حرب طروادة : وهي مسرحية فرنسية لحان جيرودو سنة ١٩٦٤ :

(ج) مقال في الشعر المسرحي ، لحان درايدون (بالاشتراك) :

(هـ) قدماء الإنجليز وملحمة بيولف ، مترجمة عن اللغة الانجلوساكسونية ، سنة ١٩٦٦ :

ثانيا : الترجمات الى اللغة الانجليزية :

Renè Huygh, Trois Conférences Aur l' Art .

(أ) عن الفرنسية سنة ١٩٦٥ :

(ب) أخلام شهرزاد لطف حسين سنة ١٩٧٤

(ج) إبراهيم الكاتب لعبد القادر المازني سنة ١٩٧٦ :

ثالثا : المعاجم :

(أ) An Arabic Phrase Book for use in U. A. R.

(ب) معجم مصطلحات الحضارة إنجليزية - عربي سنة ١٩٦٨ :

(ج) معجم الفن السينمائي (إنجليزية ، فرنسي ، عربي) سنة ١٩٧٢ بالاشتراك .

(د) معجم مصطلحات الأدب (إنجليزية ، فرنسي ، عربي) سنة ١٩٧٤ :

(هـ) معجم العبارات السياسية الحديثة (إنجليزية ، فرنسي ، عربي) سنة ١٩٧٨ بالاشتراك :

رابعا : أعمال مؤلفة :

(أ) مطالعات في الأدب والسياسة سنة ١٩٦٠ نشر بالقاهرة :

(ب) السياسة الثقافية في مصر (باللغة الإنجليزية) نشر اليونسكو بباريس سنة ١٩٧٢ :

(ج) مجموعة مقالات في مجلة السياسة الدولية « والأهرام الاقتصادي » « وعالم الفكر » ومجلة كلية الآداب جامعة القاهرة :

ولقد تمر بهذه الثروة العلمية مراكبا فتشر احترامنا ولكن إعجابنا (الذي أرى أنه يفوق احترامنا) يتجلى عندما نقف عند بعضها ، على الأقل ، لنرى أن من بين ما ترجمه الدكتور مجدى وهبه إلى العربية ، نصوصاً لقمة الأدب والنقد الإنجليزى على مدى عصوره المختلفة ، وهو الدكتور صمويل جونسون : وإن من بين ما ترجمه إلى العربية كذلك ملحمة بيولف من اللغة الأنجلوساكسونية التى لا يتجاوز عدد العالمين بها فى إنجلترا بضع مئات ، ولست أدرى عدد عارفها فى مصر :

كذلك يسترعى نظرنا قدرته في الترجمة إلى الإنجليزية لنصين عربيين ، قد يظن أنهما من الأمور الهينة في الترجمة : أحدهما لطف حسين ، والآخر لإبراهيم المازني ، وأسلوب طه حسين ، بما فيه من ميل إلى الترادف وإلى التنغيم الموسيقي ، تشق ترجمته إلا على القادرين ، وأسلوب المازني ، وما يتضمنه من الفكاهة ، لا يقوى على نقله إلى لغة أخرى إلا خبير بأساليب الفكاهة في اللغتين .

ولإن تقديرنا لجهود الدكتور مجدى وهبة في تصنيف المعاجم نشرية في لسان المعجم في مجعنا هذا ، ولا سيما المصطلحات الحديثة ، ففي معجمه للعبارات السياسية الحديثة أكثر من عشرة آلاف عبارة لم يكن اختيارها سهلاً ولا عشوائياً ، بل كان نتيجة لاستخلاص العبارات التي تستخدم فعلاً ، كما استقاها المؤلف من صحيفة «التايمز الإنجليزية» و«النيويورك تايمز الأمريكية» و«الليمند الفرنسية» ، وأمّهات الصحف اليومية في العالم العربي ، ومن محاضرات المؤتمرات والمعاهدات ،

وفي معجمه لمصطلحات الأدب نرى الشبكة المترامية الأطراف التي ألقى بها في خضم الأدب العربي والإنجليزي والفرنسي فبينما يعرف المجاز المرسل ، وادغام المتحركين ، والطباق ، ونظام الأملالي في التأليف العربي نجده يعرف الرهزية ، والسونيت ، والقافية الثعبانية ، والساجا ، وروى الصدارة Alliteration الخ .

ونجد لمحة من تصور الدكتور مجدى وهبة لنشأة المعرفة وتفرعها في افتتاحيته لهذا المعجم إذ يقول : برغم أن هذا المعجم قد غنى أساساً بالمصطلحات الأدبية الخالصة إلا أن الباحث سيعثر في ثناياه على مصطلحات فلسفية أو اجتماعية أو دينية ، أو فنية ، وذلك لأن المعارف الإنسانية اتخذت في بدء أمرها شكلاً موسوعياً قبل أن تنمو وتتفرع إلى فروع ، على أننا لا نستطيع أن نضع حداً فاصلاً بين ألوان المعرفة بعضها وبعض : فأرسطو فيلسوف وأديب ، وابن جرير الطبري مؤرخ وأديب ، وعمرو ابن الفارض متصوف وشاعر ، وللعوارج والشيعة والمعتزلة والمتصوفة في الإسلام أدب ، والبلغة العربية قبل أن تحجرها قواعد أرسطو بصيرورتها علماً من العلوم . كانت من صميم الأدب ، بل كانت هي الأدب بعينه ، هكذا الحال عند جميع الأمم والشعوب ، مهما اختلفت أجناسها وأسراتها اللغوية .

وتتجلى الأمانة العلمية عند زميلنا الحديد في اعترافه بفضل مجعنا هذا في معاجمه التي ألفها ، فهو يذكره في مراجعته .

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن الأعمال الأدبية للزميل الحديد الذي أتاح له ثقافته أن يؤدب القانون ، وأن يقنن الأدب .

سيدى الرئيس ، سادتي أعضاء المجمع :
بتمنويضكم لى سعديت باستقبال الدكتور مجدى وهبة ، وبإذنكم أدعوه للجلوس بينكم .

مهدي علام
الأمين العام للمجمع

● كلمة الدكتور مجدى وهبة

أستاذى وسيدى رئيس مجمع اللغة العربية :

أستاذى وسيدى الأمين العام للمجمع :

أساتذتى أعضاء المجمع :

سيدائى وسادتى !

إننى لا أستطيع أن أجد الكلمات التى تعبر عن عظيم امتنائى للأستاذ الدكتور محمد مهدي علام ، وعن شعورى العميق بأئنى مدين له ، وذلك لترشيحه لى عضواً فى هذا المجمع الموقر ولكرمه الفياض فيما أسبغ على من صفات اليوم ، ولرعايته لى طوال حياتى الجامعية ، فقد كان هو والأستاذ الحليل محمد خلف الله أحد المدافعين دائماً عن إنتاجى وعلمى فى جميع ترقياتى بجامعة القاهرة :

وبعد :

فإذا عسائ أن أقول ، ودينى كبير ودائى عديدون ؟ فهناك روح ترفرف على هذا المجمع وتوجه تفكيره أجيالاً بأسرها ، هى روح فقيه العربية وآدابها المرحوم الأستاذ العميد الدكتور طه حسين الذى كان أول من أثار فى نفسى الولوع باللغة العربية والتطلع إلى البحث فيها ، كما علمت دائماً أن الانتماء لهذه اللغة يستوى فيه المسلم والقبلى :

وأما أنت يا سيدى الرئيس - رئيس المجمع - فقد فجرت فى ذهني التماق بالفكر

العربى العميق والفلسفة الإسلامية العريقة ، وفتحت كتبك وبحوثك أمام عيني آفاقاً لم ألقها من قبل . كما أسعدنى أستاذى الدكتور محمد مهدي علام بموازناته بين الحضارات وبحوثه فى العلاقات بين الأدب الإنجليزى وآدابنا العربية :

وأنت يا أستاذى الكبير مصطفى مرعى قد غرست فى نفسى احترام القانون ، وحببت إلى تلك المسالك الفكرية والمنطقية التى قامت عليها التشريعات الإنسانية :

وأنت يا أستاذى الدكتور عز الدين عبد الله قد كنت مثلاً فريداً فى الأمانة والأناة أثناء تلقينا منك دروس القانون المدنى بحقوق القاهرة :

وان أنسى ، ماعشت ، معلماً قديراً ومفكراً بارعاً وهو المرحوم فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف - أستاذ الشريعة بحقوق القاهرة - فقد كان أول من ألهمنى "روح الشريعة الإسلامية" ، ووقفت عن طريقه على منطقها السليم وروحها الإنسانية الحكيمة :

وما قلته يا سادتى قليل من كثير مما أنا مدين به لأساتذتى الذين يسعدنى ويشرفنى أن أجلس فى مجمعهم جميعاً من أعضائه ، وإنما يذكرنى وجودى بينكم بأحدى كليات جامعة أكسفورد العريقة التى كان ينتخب

أعضاؤها وأسائلتها ممن قضوا حياتهم في خدمة العلوم الإنسانية ، وبينهم طالب واحد فقط : حتى يصدق عليها اسم « كلية » ، فهو لاء العلماء الأعضاء هم أنتم يا سادتي - وأما الطالب الوحيد فهو المتحدث إليكم : وقد كان تفضلاً عظيماً منكم أن تسمعوا لي بالجلوس بين صفوفكم :

ويجدر بي في هذا المقام أن أشير إلى تقليد عريق في تاريخ الثقافة العربية : هو تجميع مركز المعلم في المجتمع العربي : وكلنا يذكر شيوخ الأزهر وما لهم من إعزاز وتبجيل ، ومعلمي المدارس العليا ، ومنها دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي ومدرسة المعلمين العليا ، وما لهم من احترام في نفوس الجميع ، ثم أساتذة الجامعات المصرية ، وما شغلوا من مراكز ممتازة بين المواطنين ، لما تركوا من آثار في تهذيب النفوس وتنمية العقول وتقوية الروح الوطنية :

فكل هذه المعاهد قد خرجت لنا نخبة من المعلمين كانوا كواكب نيرة أخرجوا تلاميذهم بغزارة علمهم وسمو أخلاقهم من الظلمات إلى النور ، وكانوا خير مثل للأخلاق الفاضلة والتفكير السليم ، ونهضة مصر في الحقيقة مدينة لهم بما وصلت إليه من تقدم ورفق :

وليس مجعنا هذا لإلامظهورا من مظاهر ذلك التقليد العريق ، فانه يضم طائفة من أئمة فقهاء اللغة وأساتذة المواد المختلفة ، كان انتخابهم

ثمرة لتبحرهم في العلوم والفنون وتقديراً لممارسة كثرتهم مهنة التعليم وتفوقهم في شتى مناحيها : فنالوا بذلك تكريماً لم ينله سلطان المال ولا بريق الحياة الدنيا :

ومن هذه النخبة الفاضلة فقيدنا العظيم المرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن :

وإذا كنت لم أتشرف بالاتصال المباشر بالفقيد فان ما أجمع عليه زملاؤه ومن تتلمذوا عليه ، وما خلفه من آثار علمية وأدبية ، لا يترك في نفسي أدنى شك في أنه كان مربياً فاضلاً وعالماً جليلاً ولغوياً نادر المثال : ولد الفقيد بالقاهرة ، وتلقى تعليمه في مدارسها ، وفي الأزهر الشريف ودار العلوم ، وتخرج فيها سنة إحدى عشرة وتسعمائة وألف للميلاد ثم أوفدته وزارة المعارف إلى إنجلترا ، وهناك قضى في دراسة التربية وعلم النفس والأدب والإنجليزى أربع سنوات ،

ثم عاد إلى القاهرة ودرس اللغة العربية بمدارسها الثانوية ، ثم التربية وعلم النفس بدار العلوم والمعلمين العليا ومعهد التربية كما نقل مفتشاً للغة العربية بعض الوقت ، غير أن دار العلوم حظيت بالنصيب الأوفر من علمه وفضله ، إذ ظل يدرس فيها إلى أن أحيل للتقاعد ، وهو وكيل لها ، سنة تسع وأربعين وتسعمائة وألف :

وفي سنة إحدى وستين وتسعمائة وألف انتخب عضواً بمجمعنا هذا :

أما إنتاج الفقيه فقد كان متعدد النواحي عميق الأثر ، فلم يقتصر على التربية وعلم النفس والأدب وتاريخه وعلم التجويد فحسب ، بل تعدى ذلك إلى إلقاء بحوث أصيلة قيمة في مؤتمرات المجمع ، كالمرونة في اللغة العربية ، والترخص والتوسع في بعض القواعد النحوية ، وأثر المذهب الكوفي في تطور النحو العربي واللغة العربية وتيسيرهما ، والخصائص الصوتية للحروف الهجائية .

ولم يفته أن يقدم بحوثا دينية لمجمع البحوث الإسلامية الذي كان عضوا مؤسسا فيه منذ إنشائه كالتربية الخلقية والاجتماعية في السنة النبوية ، ومكانة بيت المقدس في الاسلام ، وأن روح الاسلام تمثل أقوى دعامة لإصلاح المجتمع .

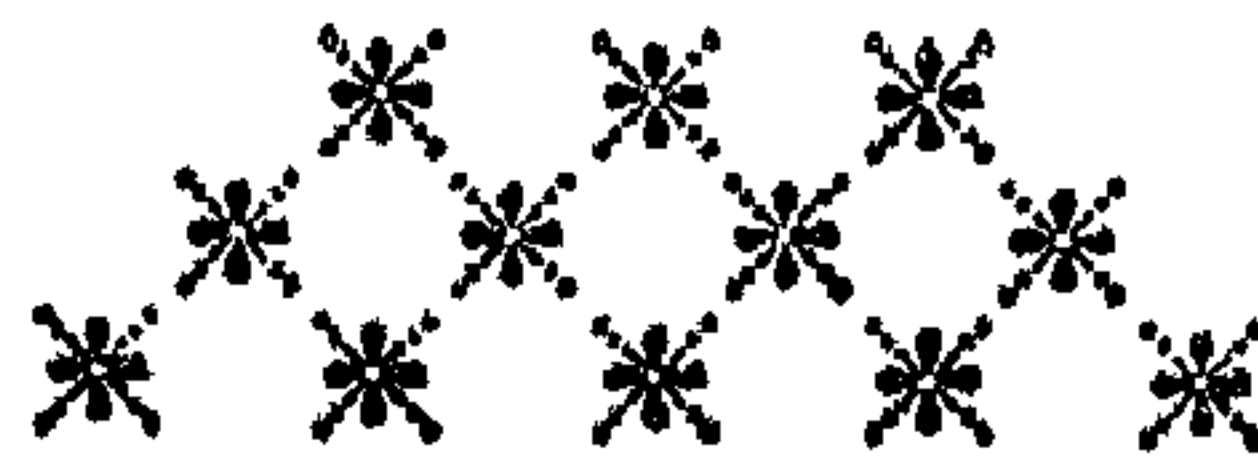
ومن هذه اللوحة السريعة إلى ما اتصف به الفقيه من سمو الخلق وغزارة العلم وسعة الأفق ، ترون سيادتكم أننا قد فقدنا بوفاة المرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن مثالا فريدا قل أن يجود الزمان بمثله في سماحته وعطائه ودقته ووفائه ونشاطه المتواصل .
رحم الله الفقيه وأمكننا من السير على نهجه وتحقيق ما تمناه .

أستاذي السيد الرئيس :
لا يفوتني قبل أن اختم كلمتي أن أشيد بالجهود المثمرة الصادقة لهيئة المجمع في العشرين سنة الأخيرة ، فقد أخرجت لنا في هذه المدة المعجم الوسيط وعشرين مجلدا في مصطلحات العلوم والفنون ، وحرف الهمزة من المعجم الكبير ، فضلا عن البحوث اللغوية الرائعة ، والمقالات الأصيلة القيمة التي ألفت في مؤتمرات المجمع أو نشرت في مجلته .

ولا أريب أن إجماع العرب يحمّدون للمجمع ما قام به من أعمال جليلة ، وإن كنا لا نزال نطمح في المزيد ، فالمعجم الكبير لم يتجاوز نشره حرف الهمزة مع أنه سيكون المرجع العمدة في معرفة الألفاظ العربية وتاريخها وعلاقاتها بغيرها من اللغات السامية واللغات الأخرى ، وأملنا ألا تنقضي السنوات العشر القادمة دون أن يتاح للمجمع الموقر لإخراج هذا المعجم كاملا إن شاء الله تعالى .

ونختاما أكرر لسيادتكم امتناني وشكري ، وإذا أذنتم فلنني في أدب واستحياء أتخذ مجلسي بينكم .

مجدى وهبة
عضو المجمع





فى استئقبال الأستاذ الشيخ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
سيادة رئيس مجمع اللغة العربية :
السادة الأعضاء الزملاء :
سيداتى وسادتى :

استن مجمع اللغة العربية الموقر سنة حميدة
منذ نشأته إلى اليوم ، أن يحتفل بمن يفوز
بعضويته ، ويرحب به ترحيباً أخوياً ودياً ،
يتمثل فى تعريف به ينهض به أحد الأعضاء ،
يعقب هذا التعريف شكر من العضو والحديد
وتقدير لسلفه ، وتعريف بإنتاجه ، وحفاوة
بذكره .

وهى سنة حميدة حقاً ، تجمع بين
الترحيب بالقادم والتقدير للراحل ، بين
الحفاوة بالخلف والوفاء للسلف ، شبيهة بالحال
التي هنا فيها جمال الدين بن نباتة السلطان
الأفضل بالملك ، وعزاه فى والده المؤيد ،
فقال :

هنا محاذك العزاء المقسدا
فما عيس الحزون حتى تهسما

ثغور ابتسام فى ثغور مدامع
شبهان لا يمتاز ذو السبق منهما
مليكان هذا قد هوى لضريحه
برغى وهذا للأسرة قد سما
وقد عهد إلى المجمع الموقر أن أنوب عنه
فى الترحيب بالعضو الحديد الزميل الكريم
صاحب الفضيلة الشيخ أحمد هريدى .
ويقتضىنى هذا الترحيب أن أعرض نبذة
عن حياته العامة ، وعن حياته العملية ، ثم
أعرف بإنتاجه ، ثم أعقب بتقدير نابع من
خبرة ومخالطة .

أما حياته العلمية فانه بعد أن ولد فى ١٥ مايو
سنة ١٩٠٦ ببلدة النقاى التابعة لمركز ببسا
بمحافظة بنى سويف حفظ القرآن الكريم
بمكتب القرية ، ثم درس بالجامع الأزهر ،
ودرس بكلية الشريعة ، وكان أول خريجها ،
ثم التحق بتخصص القضاء الشرعى بها مدة
سنتين ، وكان أول المتخرجين سنة ١٩٣٦ ،

وعمل بالمحاكم الشرعية فى وظيفة موظف
قضائى - وهى تماثل وكيل النيابة فى النظام

المدنى - ، ثم عين قاضياً من الدرجة الثانية
سنة ١٩٤١ ، واختير للتفتيش القضائى الشرعى
بوزارة العدل ، ثم عين قاضياً من الدرجة
الأولى سنة ١٩٤٨ ، ثم وكيلاً للمحكمة الكلية
الشرعية سنة ١٩٥٢ ، ثم رئيساً لمحكمة -
المنصورة الكلية الشرعية سنة ١٩٥٤ .

ولما ألغيت المحاكم الشرعية سنة ١٩٥٥
عين رئيس نيابة بمحكمة النقض .

وفى سنة ١٩٦٠ اختير مفتياً للجمهورية .

فلما بلغ سن التقاعد سنة ١٩٦٦ جددت
الدولة مدة عمله أربع مرات ، فى كل مرة
سنة ، تقديرأ لعمله وفضله ، حتى انتهى
من العمل سنة ١٩٧٠

وفى سنة ١٩٧٣ عين عضواً بمجمع البحوث
الإسلامية .

ولقد شارك فى أعمال جليلة أخرى ،
فكان عضواً باللجنة التى اختارت أحكام
قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، واختير
لتدريس نظام الحكم فى الإسلام ،
ونظام القضاء فى الإسلام بتخصص القضاء
الشرعى بكلية الشريعة الإسلامية وبالدراسات
العليا بها ، وبالدراسات العليا بكلية الحقوق
بجامعة القاهرة .

وشارك فى مؤتمرات ولجان شتى ، فساهم
فى المؤتمر الإسلامى بماليزيا سنة ١٩٦٨ ،
وألقى فيه بحثاً عن نظام الزكاة .

وساهم فى لجنة تعديل القوانين واستعداد
أحكامها من الشريعة الإسلامية سنة ١٩٧٢
بمصر وبالكويت .

وشارك فى لجان المجلس الأعلى للشؤون
الإسلامية ، وكان رئيس لجنة موسوعة الفقه
الإسلامى .

وهو عضو بالمجلس التأسيسى لرابطة
العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، ويحضر مؤتمراتها
السنوى .

وأما بحوثه فكثيرة ، نشر بعضها فى
أعداد من موسوعة الفقه الإسلامى ،
وكثير منها ما زال مخطوطاً ، مثل نظام
الحكم فى الإسلام ، نظام القضاء فى الإسلام ،
نظام الزكاة ، الولاية على النفس والمال ،
رؤية الهلال ، الإسقاط ، الولاية العامة
والخلافة ، نظام الإقرار ، نظام الشهادة ،
قتل الحاسوس ، نظام تطبيق الحدود
الشرعية .

سيدى الرئيس :

السادة الزملاء الأعضاء :

سادتى :

يسرنى أن أقدم إلى مجمع اللغة العربية
الموقر عالماً جليلاً ، يليق بالجمع ، ويليق
به المجمع ، لأنهما يتشابهان فى عدة وجوه :
فالشيخ أحمد هريدى رجل وقور ،
والجمع قمة فى الوقار ، وهو رجل عالم ،

بعد أن تم الانتخاب ، ولقد عرفته ولخبرته
وصاحبته في أعمال إسلامية في مصر وفي
مكة المكرمة ، فكان في كل شؤونه
صاحب أخلاق فاضلة ، وسجايا طيبة:
أرجو أن يمنحه الله من العمر والصحة
والتوفيق ما يتيح له أن يخدم اللغة العربية
والثقافة الإسلامية بمجمع اللغة العربية
العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله :

أحمد الحوفي

عضو المجمع

والمجمع غنى بعلمائه . وهو رجل بحثة ،
والمجمع يمتاز ببحوثه ومبتكراته .

وهو رجل يعمل في صمت ، والمجمع
ينهض بأعمال جليلة في صمت . وهو رجل
هادئ ، والمجمع يجاهد في هدوء ، ويؤثر
الهدوء ، وهو رجل تجاوز السبعين ، والمجمع
متتدى الخبراء والخالدين : ثم إنه رجل
لم يقرع باب المجمع ، ولم يعلم بفوزه إلا



● كلمة الأستاذ الشيخ أحمد هريدى

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتى :

سأحدثكم فى هذه الكلمة عما تركه
سلفى العظيم الدكتور كامل حسين من الآثار
فى ميدان العلم والأدب وكامل حسين
هو الطبيب الأديب العالم الناقد الدقيق الذى
جمع بين دقة العلماء ورقة الأدباء . . .
تخرج من كلية الطب وسافر فى بعثة دراسية
إلى إنجلترا ١٩٢٥ ، ومكث بها خمس
سنوات . حصل خلالها على ألقاب علمية
ممتازة . منها زمالة الجراحين الملكية
وماجستير جراحة العظام . وعاد إلى مصر
سنة ١٩٣٠ وعين مدرساً بكلية الطب . ثم
أستاذاً مساعداً ثم أستاذاً لجراحة العظام .
قال عنه الدكتور إبراهيم مذكور رئيس الجمع
فى حفل استقباله بالجمع ١٩٥٢ . « وكامل
حسين عالم علمى أدق وأكمل مايراد بهذا
الوصف ؛ فهو مؤمن بالتجربة إيماناً لا يقل
عن إيمانه بالعقل . . . يؤمن بها لأنها
سبيل كشف الحقيقة وكسب المعارف . . .
وكثيراً ماردد كلمة « هنرى برانكاريه »
الرياضى الفرنسى المشهور : إن الغرض
العلمى الخصب هو ذلك الذى يقود إلى
إنتاج حقائق جديدة : لهذا كله عني
كامل حسين بالتجربة ودعا إليها فى مناسبات
شتى . وكامل حسين يؤمن أيضاً بالعقل

سيدى الرئيس :

سادتى :

سأعنى نفسى من بعض التقاليد التى
تحكم حياتنا وتفرض علينا قيوداً قد تكون
ثقيلة فى بعض الأحوال التى قد تلائمها القيود ،
أحدثكم بأنى قد شعرت بفخر واعتزاز
عندما تحدث إلى الصديق الكريم
والعالم العظيم عبد العزيز محمد عضو الجمع
مهنتاً بانتخابى عضواً بالجمع ، وكان مبعث
فخرى أنى قد أصبحت بين هؤلاء النفر
الكرام من العلماء والمفكرين وقادة الرأي ،
وقد تفضلوا فأولوني ثقتهم الغالية ، وأحسنوا
الظن بى فاختروني زميلاً لهم . ولعله
من المألوف أن تستخف الإنسان الغبطة
ويغمزه السرور حين يظفر بنصيب من
الشرف العظيم على مثل هذه الصورة
الكريمة الرائية أن تفيض به وتقدمه نفوس
الصفوة المختارة من علماء الأمة ومفكرىها .

ولن أحاول هنا أن أقابل جميل صنيعكم
بالشكر والثناء والتقدير ، لأستزيدكم
فأظفر بعد الثقة والتأييد بالحببة والرضا
فما أنا - إن حاولت - ببالغ غايتى من
تصوير شعورى والإعراب عن إحساسى ،
فليتول الله شكركم . وليلهمنى من القدرة
على العمل ما يحقق رضاه عني .

إيماناً كاملاً لأن التجربة تنصب عادة على وقائع جزئية لا يفيد منها العلم الفائدة المرجوة إلا إن استخلص منها العقل القضايا الكلية والأحكام العامة فهو يريد ذلك العقل العلمى الذى يحلل ويحلل ، لا ذلك العقل الإقطاعى كما يسميه أحياناً أو عقل القرون الوسطى الذى يسلم ويستسلم ، فلا ينتقد ولا يناقش ولا يخترع ولا يبتكر . . . وهو فى ربطه بالعقل يدرك فى وضوح مبدى الصلة بين الطب والفلسفة ؛ فهو فى نفسه فيلسوف بقدر ما هو عالم وطبيب ، وعنده أن العلم عقلية ومنهج . . . وهو مغرم جداً بالمنهج والدراسة المنهجية ، وذلك من أنخص خصائص العلم والعلماء . . . ذلك بعض ماقاله الدكتور إبراهيم مذكور فى عالمنا الراحل .

وليس كامل حسين بالعالم فحسب بل هو أديب كذلك . . . وقد دفعه علمه إلى دراسة الأدب ؛ لأنه كان يرى أن الحقائق العلمية فى ميسر الحاجة إلى تعبير سليم يكشف عنها .

وقد درس كامل حسين الأدب دراسة أخذ فيها بمنهج المقارنة والتحليل يقاس فيه اللفظ بمقياس المعنى فإن لم يلائمه عدل عنه إلى لفظ آخر أكثر ملاءمة . . . وقارن فى دراسته أدباء العربية بعضهم ببعض ، وقارن بينهم وبين بعض الأدباء العالميين ، وهو يميل فى أسلوبه الأدبى إلى السهولة والوضوح ، فلا يرتضى اللفظ الغامض ولا يرتاح إلى

التعبير المعقد : وعنده أن الكاتب يكشف عن كثير من صفاته العقلية والخلقية والنفسية وإنه ليس أحد من الناس يضطره عمله أن يعرض نفسه على الناس جبراً على النحو الذى يقع من الكاتب . . . ومن ثم كان أدب كامل حسين صورة صادقة لنفسه وعلمه ومشاعره . ولكامل حسين مذهب فى الأدب ضمته نصائحه لشباب الكتاب فى كلمته التى ألقاها فى الاحتفال بمنحه جائزة الدولة للأدب . إذ قال فيها : على شباب الكتاب ألا يحاولوا عملاً ضخماً تتحدث عنه الأوائل والأواخر ، حتى لا يكبلوا أنفسهم بقيود تحد من قدرتهم . . . وليس على الكاتب إلا أن يعنى بالموضوع والأسلوب . ويستمد الموضوع من حياته وخبرته . ولا يضيف شخصيات من نسج الخيال .

ولا يصف وقائع لم يشهد لها شبيهاً فى حياته . . . وأن يكون الأسلوب صورة من نفسه ومتسقاً مع طبيعته . فلا يتحدث بأسلوب الشجاعة إذا كان جباناً . ولا يميل إلى الهدوء إذا كان عنيفاً حتى يكون صادق الشعور صادق التعبير .

وقد أضاف فى كلمته التى ألقاها فى حفل استقباله بالجمع حين تحدث عن الحياة الفكرية فى مصر الحديثة قوله :

وإنى لأدعو شبابنا أن يروضوا أنفسهم على شيء واحد فى حياتهم الفكرية وهو

الصدق . وليكن همهم أن تكون حياتهم صادقة وتعبيرهم صادقاً . والصدق كل شيء في الحياة الفكرية . وإني لأدعوهم في سبيل ذلك إلى قتل الفصاحة ؛ فهي شكل محض ، وإلى تجاهل البلاغة فقد أصابنا منها شر كبير . . . وقد أصبح جهالها أجوف لا يحمل أى معنى من معانى الصدق . . . وعليهم أن يتركوا وراءهم ظهرياً كل ماتعودوا أن يعدوه مثلاً علياً للأدب . . . وأن لا يسعوا إلى بلوغ العظمة أو الخلود . . . بل إن الجمال نفسه يجب أن لا يكون غايتهم فإن له معايير كثيرة تختلف بعدا وقربا زمانا ومكانا ويضل به من يعتمد عليه وحده . . . أما الصدق فلا يضل به أحد وكل ما يفسده يقضى على حياة الفكر المحض . . . »

ملاحظة :

وقد يلفت النظر أن الدكتور كامل حسين — حين تحدث عن إعجاز القرآن في كتاب الذكر الحكيم : تكلم عن قوة التعبير وضرب مثلاً بعبارة — الله أكبر — وما تدل عليه من المعانى وقال : « ولو حاولنا ترجمة هذه العبارة ترجمة حرفية ما دلت الترجمة على شيء من هذه المعانى : » وقد قال البعض إن الدكتور كامل حسين لا يرى ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية لأنها لا تؤدي المعانى التى يؤدىها النص العربى الكريم . . .

وإذا صح أن يكون هذا تعبيراً عن رأى للدكتور كامل حسين فى عدم جواز ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية فإنه يكون قد أصاب الحق وانتهى إلى الرأى الصحيح . . . فإن ترجمة القرآن تصدق بمفهومين الأول الترجمة الحرفية للنص العربى المنزل من عند الله ، وهذا غير ممكن ولم يقبل به أحد ممن درسوا الموضوع وقت أن ثار التفكير فيه ؛ لأن القرآن أساس للتشريع الإسلامى وأحكامه وقواعده ومبادئه التى تتعلق بتنظيم حياة المجتمع الإسلامى فى مختلف جوانبها وربط علاقاتهم ببعضهم وبنفسهم وبغيرهم من المجتمعات الأخرى من جميع النواحي وفى أوقات الحرب والسلام . وألفاظه العربية لها معانيها ومدلولاتها واحتمالاتها وتوجيهاتها التى ترتبط بها الأحكام والقواعد والمبادئ التى تكون محل اجتهاد المجتهدين واستنباطهم واختلافهم واتفاقهم . . . وذلك فضلاً عن جانب الإعجاز اللفظى والمعنى المرتبط بالنظم العربى . . . الترجمة الحرفية ليس فيها شيء من ذلك كله وقد اتفق المسلمون على عدم جوازها . وقد أصدرت بعض الدول غير الإسلامية ترجمات للقرآن كانت مسخاً وتشويهاً وتحزيفاً للقرآن وفيها أخطاء كثيرة جداً . . .

والقسم الثانى ترجمة معانى القرآن بأن تؤلف لجنة من المختصين لوضع تفسير مختصر للقرآن يعتمد الصحيح والراجح

والأقرب مما فيه خلاف . ثم تولى لجنة على هذا الأساس لترجمة هذا التفسير . وهذا ممكن وجائز بالاتفاق ، وقد قامت بعض الدول الإسلامية بإصدار ترجمات من هذه النوع . . ويفكر الأزهر في عمل ترجمة دقيقة صحيحة لمعاني القرآن ونشرها لتكون بمثابة الأصل الذى يرجع إليه عند الاختلاف بالنسبة لما صدر من ترجمات المعاني .

ملاحظة أخرى :

يرى الدكتور كامل حسين عدم جواز تفسير القرآن تفسيراً علمياً . لأن مقررات العلم خاضعة لسنة التطور والتجديد . وقد يؤديه ذلك إلى أن يلغى اليوم ماقرره بالأمس ، بعد أن يكون التفسير العلمى قد أثبتته وقرره فى تفسير بعض الآيات ، الأمر الذى يثير الشك فى سلامة وصحة ما يقرره القرآن ويأتى به : وأعتقد أن عالمنا العظيم يريد بالمقررات العلمية التى تحتل الإلغاء والبطلان المقررات النظرية التى لم يقم عليها الدليل القاطع الذى يفيد العلم واليقين . أما المقررات التى أصبحت حقائق ثابتة وقامت عليها الأدلة القاطعة . فإنها ليست عرضة للإبطال والإلغاء ، ومن ثم يمكن أن يشار إليها فى تفسير الآيات الكونية والتنويه بأن القرآن سبق العلم فى تقرير ذلك :

والقول بعدم جواز تفسير القرآن تفسيراً علمياً بإطلاق دون تفصيل يبين ما يكون عرضة للإلغاء والإبطال من مقررات العلم ومالا يكون كذلك ، يعيد إلى الأذهان ما كان يردده بعض الباحثين من مجافاة الدين للعلم مما لا أساس له ، فإن الدين قد مجد العلم ورفع من شأن العلماء «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» . . «ولئما يخشى الله من عباده العلماء» . وقد دعا الدين إلى تعلم العلم وحث عليه — ولا نقول مع القائلين إن العلم الذى يدعو إليه الدين هو علم الدين وما يتصل به ويعين عليه — كعلم التفسير والحديث والفقه والتوحيد وأصول الفقه — وإنما نقول هو كل علم يرقى بحياة الإنسان وينفع الإنسان ويسير به وبحياته قدماً مع ركب الحياة والحضارة والتقدم العلمى الحضارى .

والله تعالى حين أراد أن يستخلف الإنسان فى الأرض لعلمائها واستخدام ما أودعه فى الكون من أسرار وعجائب ومكونات لمصلحة الإنسان والارتقاء بحياته ، أشارت قصة القرآن الكريم فى ذلك إلى أن أساس الصلاحية للاستخلاف هو العلم والقدرة على تحقيق العماره ، وتفهم أسرار الكون ، ثم الإيمان بخالق الكون ومبدعه . وتلك هى غاية الدين وهذا هو أساسه العريض : الإيمان والتوحيد والتنزيه :

وقد نجح الإنسان في خلافته وعمر الأرض وأثار الحياة زاخرة في جوانبها ، وكشف بالعلم والاختراع كثيراً من أسرارها وعجائبها ، وامتد الإصلاح إلى كل ركن فيها . . . وصعد الإنسان إلى القمر بوسائل العلم وآثار العلم ، ونزل على سطحه ونقمل إلى الأرض بعضاً مما يحتويه : وهو يواصل الآن أبحاثاً عن الحياة في القمر ونوع هذه الحياة ومدى ما يمكن أن تكشف عنه أو يترتب عليها من آثار ، وما عسى أن يكون على صلة بالعوالم الأخرى . . . وسواء أراد القائمون بهذا العمل العلمي العظيم أم لم يريدوا أو أنه لم يكن من قصدهم ولا من تفكيرهم ، فستنتهي البشرية إلى الإيمان

بخالق الكون كله ومسا فيه من أسرار وعجائب ومكنونات ، وأنه إله واحد خالق بر مدبر قادر ، وهذا الإيمان هو دعوة الدين وغايته : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله . » وذلك ما أدى إليه العلم ، فالعلم يخدم الدين ، والدين يدعو إلى العلم ويفتح آفاقه ويحضر على تعلمه . وفي مجال الحقائق الثابتة لن تكون بينهما مجافاة ولا تناقض فليس 'من منطق الدين أن نمنع تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً في نطاق الحقائق الثابتة . وليس من منطق العلم أن نباعد بينه وبين الدين في هذا النطاق .

أحمد هريدي
عضو المجمع





فى استقبال الدكتور

السيد رئيس المجمع : السادة الزملاء !
لقد كان من مقضى إرادة الله .
مقلب الليل والنهار ، أن تنفض تركيا
يديها من العالم العربى والإسلامى ، منذ
امتدت يدها كمال أتاتورك إلى
الخلافة الإسلامية ، فقضى عليها ، كما قضى
على السلطنة العثمانية سنة ١٩٢٤ . وبكى
كثير من الباكين الخلافة وعلى رأسهم شاعرنا
العظيم أحمد شوقى حين قال من مرثيته
الرائعة :

عادت أغاني العرس رجع نواح
ونعيت بين معالم الأفراح
ضجعت عليك مسأذن ومنابر
وبكت عليك ممالك ونواحي
الهند والهة ، ومصر حزينة
تبكى عليك بمدى سحاح
والشام تسأل ، والعراق ، وفارس
أحما من الأرض الخلافة ما ؟

وعلى الرغم مما قام بين العرب والترك من
صراع على أثر الانتفاضات العربية الواعية

فإن بعض عقلاء الترك - وعقلاء الأمم
عادة هم علماءؤها - صرحوا بفضل العرب
وتأصلهم فى الحضارة ، إذعانا للحق
الذى لا ينكره إلا مكابر . كالذى كتبه
الباحث الأديب التركى المنصف : سليمان
نظيف ، فى مجلة الاجتهاد التركية
سنة ١٩١٣ قائلا : (إن العرب هم الذين
أرشدونا إلى سواء السبيل . وهم أساتذتنا
الممدون بل هم كل شئ بالنسبة لنا . . حتى
إذا أعدنا للعرب ما أخذناه منهم ، فلا
يبقى لدينا إلا جبة ذات أكمام طويلة . .)

ولقد استمرت صلتنا بالأتراك منذ الفتح
العثمانى لمصر أكثر من أربعة قرون ، تركسوا
خلافنا - فىنا وفى العالم العربى كله - كثيرا
من طابعهم وألوان طعامهم وألفاظ لغتهم ،
وإن كنا بدأنا اليوم ننقى لغتنا العربية ونحررها من
كل دخيل ، إلا ما تقضى به ضرورات
التقدم العلمى الحديث .

وليس عجيبا أن يقوم شاعر تركى هو
« عاشق زاده » . فى القرن الرابع عشر

الميلادى ، فيشكو انصراف الأدباء الأتراك عن اللغة التركية وازدراءهم إياها ، وعدولهم عنها إلى الفارسية ، ثم يجيء دارس مصرى فى أخريات القرن الرابع عشر الهجرى ، ليهتم باللغة التركية ، ويجعلها مجال تخصصه ، وميدان دراسته . ألا ما أعظم الفرق أيها الزملاء بين الموقفين !

ومن هنا نفرح أن طرق علينا باب مجمعنا العربى متخصص فى اللغة التركية لأنه سيفتح أمامنا أبوابا للبحث فى تاريخ الأتراك وحضارتهم ، وتطور الفكر واللغة والحياة الروحية عندهم :

وإذا كنا نقيم وزنا لعدد من اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، لأهميتها لنا فى مجالات كثيرة : علمية وأدبية ، فهل غريب أن نقيم وزنا للغة شرقية ربطت الأقدار بيننا وبين أهلها زمانا طويلا ؟ حتى لقد كان منهم علماء سجلوا تراثنا الفكرى العربى وأحصوه إحصاء دقيقا ، كالذى صنعه فى القرن الحادى عشر الهجرى — السابع عشر الميلادى « حاجى خليفة » صاحب (كشف الظنون) ، ولا أزيدكم به علما ، وكالذى يصنعه اليوم عالم تركى مستعرب حين كتب بالألمانية (تاريخ التراث العربى) فى بضعة أجزاء ضخمة ، ظهر منها فى الترجمة العربية جزآن ، فأربنى على بزوكلمان واستكمل نقصه وغطى عليه بما بذل من مجهود تنوء به العصبية أولو القوة .

وقد يكون عمل العالم التركى هذا : « فؤاد سزكين » فى (تاريخ التراث العربى) دينا فى أعناق العرب جميعا ، لا يجزئ عنه إلا أن يكون بيننا — فى مجمعنا العربى — دارس باحث مصرى عربى متخصص فى اللغة التركية وآدابها ، وتراثها الصوفى حتى نرد لعلماء الأتراك المستعربين بعض الجميل ، وحتى نوكد حبنا لعلاقات الحب بين الشعوب .

ولكن هذا الزميل الحديد الذى دخل مجمعنا بعد ما استأنس وسلم على أهله ثلاث مرات ، لم تلفته اللغة التركية عن لغة آبائه العرب ، فهو حفى بها ، متمكن فيها منذ أن كان طالبا ناشئا فى مدرسة المنصورة الثانوية .

وللمنصورة فى نفسى ذكريات ليس هنسا مجال عرضها ، ولكن الطالب المنصورى القديم ، والزميل الحديد لى ولكم ، فى هذا المجمع ، أبى إلا أن يشير فى نفسى بعض ذكريات تصلنى به . والزميل الحديد الدكتور أحمد السعيد سليمان أستاذ اللغات الشرقية بآداب القاهرة ورئيس القسم فيها ، هو نفسه الذى ذكرنى ببعض ذكريات محاسنها الزمن من ذاكرتى ، ولكنها بقيت فى ذاكرته زاهية اللون . فقد كنت مدرسا فى المنصورة الثانوية ، ولا أذكر اليوم — بعد أكثر من أربعين عاما — لون سترة كنت أرتديها ، فقد أنصلت السنون

كل لون في عيني ؛ ولكن التلميذ أحمد السعيد
يذكرني الآن بلون سترتي ، وبطرازها
الإنجليزي المميز ! فقد كانت مما حملته معي
من إنجلترا بعد عودتي من البعثة فيها . . .
ويزيد الدكتور أحمد السعيد فيذكرني بأني
دخلت فصله يوما - لا مدرسا أصليا - ولكن
بدلا من زميل غائب ، ودرست للطلاب
شيئا من الأدب الحديث ، وكان مقررا
عليهم ، ويذكرني بما رويته لهم من أبيات
زجلية قالها عثمان بك جلال - صاحب
« العميون اليواقظ » و مترجم لافونتين
إلى العربية شعرا - قالها حين تعهد الوزير
رياض باشا أن يفوت عليه الترقية
فبعث إليه بترقية شكوى من الشعر العamy
يقول فيها :

الخير على كل الناس فاض

أمام عادش حد الا استكفي

واشمعني أنا ياسي رياض

وقعت من قعر القفه ؟

هذا ماذكرني به اليوم تلميذي العابر
د . أحمد السعيد سليمان حين جلست
معه من أيام نتذاكر الماضي البعيد ونستعيد
بعض صوره : وإذا كانت الظروف لم
تسعدني بأحمد السعيد تلميذا دائما فقد
سعدت به تلميذا عابرا لحصة واحدة سمح
بها الزمان . . .

ولقد كان أحمد السعيد منذ أيام الطائف
في المنصورة الثانوية طالبا ممتازا ، بل كان
قارئاً مدهنا مكبا على كل أثر مشهور .

فكان (دودة كتب) كما يقول الإنجليز
في تعبيراتهم ، أو جلس كتب كما نقول
نحن في عربيتنا . وكان يحفظ غير قليل
من الشعر القديم والحديث ، وينسبه إلى
قائله لا يخطيء في نسبة ، ولا يخلط في
رواية ، ولقد روى مرة بيتا ونسبه إلى
صاحبه لشاعرنا الرقيق محمد الأسمر ،
فأنكر مدرسه - وكان أدبيا - أنه للأسمر
ظانا أنه لشاعر قديم ، ثم ظهر بعد ذلك
أن الحق كان في جانب التلميذ الراوية . .
وكتب طالب مرة في موضوع الإنشاء
عبارة (ولربما) فسأله مدرسه - وكأنما
كان ينكر هذا التعبير - من أين جئت
بهذا الاستعمال ؟ فانبرى التلميذ الراوية
ليؤيد تعبير زميله بقول الشاعر أبي
العتاهية :

ولربما استيأست ثم أقول : لا

إن الذي ضمن النجاح كريم

وضج الطلبة العراييد فرحين بنصر
هذا الزميل المتمكن ، على حين غطى
المدرس موقفه المهزوز بقوله : (أنا
لا أقع من أول قبيلة)

زملائي الأعزاء !

جزت عادة مجتمعا أن تكون الكلمات
التي تقال في استقبال الأعضاء الجدد
مصدرا من مصادر الترجمة لهم وخاصة
في زمان قلنت فيه الترجمة للمعاصرين أو
أهملت . . . وشاهدنا ملكنا - فخافه - في لحظة

سجل الأدباء بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، التي يرأسها الزميل والأستاذ الدكتور محمد مهدي علام . ولقد أنصف المجمع حين أصدر كتاب (المجمعيون في ثلاثين عاما) بقلم أمينه العام الدكتور مهدي علام ، فسد بذلك فراغا في عالم التراجم ما كان لغير مجتمعا أن يسده . : : ومن هنا أترجم للزميل الحبيب الدكتور أحمد السعيد سليمان ، وأعرف به في هذه السطور :

ولد بمدينة المنصورة سنة ١٩٢٤ ، وحصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٣٥ من مدرسة خاصة . كما حصل على التوجيهية من مدرسة المنصورة الثانوية سنة ١٩٤٠ . ووجد من نفسه ميلا إلى الدراسات الأدبية ، فالتحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وتخرج في قسم اللغة العربية بتميز سنة ١٩٤٤ . واشتغل فترة بالتعليم الحر في إحدى مدارس البنات : وكانت تجربة عسيرة عليه لم ينقذه منها إلا تعيينه في وزارة الشؤون الاجتماعية موظفا في إدارة الدعاية والإرشاد أول الأمر ، فموظفا في إدارة الجمعيات الخيرية بعد ذلك . وسمت به مطامحه إلى معهد اللغات الشرقية فحصل على الدبلوم منه سنة ١٩٤٧ ، وكان الأول على فرع اللغة التركية ، وحين سجل موضوعا للدكتوراه عنونه : (الأمثال في النثر العربي في نهاية القرن الأول) وكتب فيه فصولا اطلع عليها المشرف الأستاذ أحمد الشايب ، كان القدر يعده لشيء آخر . : : فرشحت كلية الآداب لبعثة الدراسات التركية

لأنه كان أعلى زملائه درجة في هذه اللغة ، فسافر إلى باريس سنة ١٩٥٠ . وهنا لاقاه القدر بالدكتور طه حسين زائرا لمكتب البعثة بالعاصمة الفرنسية ، وكان يومئذ وزيرا للمعارف ، فوجهه إلى « استانبول » لجمع مواد الرسالة في مهذ تلك اللغة : : فقضى على ضفاف البوسفور عامين إلا أربعة أشهر عاد بعدها إلى باريس ليسجل فيها موضوع الدكتوراه ، وكان يتكون من قسمين : الرسالة الرئيسية ، وعنوانها : (العقائد البيرية للبيكتاشية) والرسالة التكميلية ، وتتضمن ترجمة نص تركي صوفي منسوب إلى (قاغوسز أبدال) وهو المتصوف عبد الله المغاوري المدفون بجبل المقطم خلف قلعة صلاح الدين ، مع شرح النص والتعليق عليه ، وقد أشرف على الرسالة الرئيسة المستشرقان ماسينيون ، وچان قال : وعلى الرسالة التكميلية لويس بازان .

وعاد صاحبنا إلى مصر في أغسطس سنة ١٩٥٦ بعد حصوله على دكتوراه الدولة من السوربون بمرتبة الشرف الأولى ، حيث عين معيدا في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم عين بعدها مدرسا ، فأستاذامساعدا ، فأستاذ الكرسى اللغات الشرقية ورئيسا للقسم حيث هو الآن . وقد وزع الدكتور أحمد السعيد سليمان إنتاجه - تأليفا وترجمة - بين التصوف والتاريخ والدراسات اللغوية . فله في مجال التصوف الكتب الآتية : (١) العقائد البيرية للبيكتاشية بالفرنسية ، ولما يطبع (٢) دفتر العشاق ، وهو رسالة للصوفي عبد الله

(قايفوستر أبدال) نقلها عن التركية إلى العربية ، وقدم لها (٣) المولوية : آدابها ومراسمتها مستنبطة من « المثنوى » ، بالفرنسية ونشرت في القاهرة ، ولندن (٤) وحدة الوجود وبعض الأفكار الباطنية في الكتب التركية . وله في مجال التاريخ والوثائق :

(١) مخطط لتكوين أرشيف إقليمي للعالم العربي أعده للجامعة العربية بطلب منها ، وطبع ونشر في حوليات آداب عين شمس (٢) تاريخ الترك في آسيا الوسطى للمستشرق الروسي بارتولد ، وهو مترجم عن التركية إلى العربية (٣) قيام الدولة العثمانية للوزير السياسي المؤرخ محمد فؤاد كوبريللي ، وهو مترجم عن التركية (٤) تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، وهو في الأصل بالإنجليزية لاستانلي لين بول - صاحب سيرة القاهرة - وابن أخت « إدوار وليام لين » وقد نقله زميلنا إلى العربية عن ترجمته التركية بقلم « خليل أدهم » العالم التركي وزاد عليه تاريخ سبع وعشرين دولة إسلامية (٥) التيارات الدينية والقرمية في تركيا المعاصرة . أما في مجال اللغويات ، فله : (١) ، أوزان الشعر الشعبي التركي وأشكاله ، وهو منشور بحوليات كلية الآداب ، جامعة القاهرة (٢) تأصيل ماورد في تاريخ الجبرقي من الدخيل ، وهو تحت الطبع . وإذا كان الله قد بارك لزميلنا الجديد في نشاطه ، ممثلاً لجامعة القاهرة في المؤتمر الدولي للمستشرقين الذي عقد في مدينة كانبرا ، بأستراليا سنة ١٩٧١ ، وأستاذاً

للغة التركية وتاريخ الترك والبيزنطيين والمغول ، وتاريخ الدعوة الإسلامية بآسيا في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٧٨ ، ومشرفاً على عشرين رسالة للدكتوراه والماجستير بجامعة القاهرة وعين شمس ، تمت مناقشتها جميعاً ، فإننا نرجو أن يبارك الله نشاطه بيننا ، وأن يمدّه بروح من عنده : أيتها الزملاء .

كأن الله أراد ليوم استقبالنا هذا أن يكون يوم استقبال الربيع في الحادي والعشرين من آذار - مارس سنة ١٩٧٩ . وكأننا كنا في موعد مع القدر حين كنا نقرب الرأي في هذه القاعة لاختيار يوم لحفل استقبال زملائنا (الأربعة) الجدد . . . وشاء القدر أن تكون مادة (ر . ب . ع) هي الجذر اللغوي لهذا الاستقبال . . . فزملنا الجدد أربعة ، واليوم هو الأربعاء ، والموسم هو يوم الربيع ٢١ مارس !! موافقات والله غير متعمدة ولا مقصودة ، ولكنها طريفة ، ميمونة ، مسعودة . . . نرجو أن تكون ربيعاً جديداً في حياة هذا المحجم الذي نرجو أن يكون عمره ربيعاً طلقاً باسم ، وشباباً دائماً . . .

أما أنت أيها الزميل الجديد ! فإن هذا المحجم صومعة من صوامع الفكر ، وروضة من رياض البحث والعلم ، فتحت لك أبوابها ليتلقاك خزنتها قائلين : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد عبد الغنى حسن
عضو المحجم

•• كلمة الدكتور أحمد السعيد سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء
 والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه

سيدى رئيس المجمع :

أيها السادة :

يرى فريق من صوفية الترك أن الصوفى
يولد مرتين مرة يوم تضعه أمه ومرة
يوم يلتقن العهد ويقبل عضواً فى الطريقة ،
ومن قواعدهم المتبعة فى استقبال العضو الجديد
أن يخلقوا رأسه وحييته وشاربه ، وربما حلقوا
حاجبيه ليكون شبيهاً بالطفل ساعة الميلاد ،
فإن سئل هذا العضو بعد ذلك كم مضى من
عمره ؟ فإنه - تأدباً بأدب الطريق - يعتبر
بداية حياته من يوم إجلاسه وإلباسه الزى
بيد المرشد .

وها أنا أيها السادة أولد فى مجمع
الخالدين بين أيدي شيوخ اللغة والأدب
وأساطين العلم وفقهاء القانون .

أولد ميلادى الثانى وقد ذرفت على الخامسة
والخمسين ، وشرفت بالعمل خبيراً فى
مجمعكم الموقر ثمانى عشرة سنة ، كان
المجمع طوالها الجامعة الرابعة التى تخرجت
فيها ، فقد تقبلتمونى مدة التجربة بقبول
جس ، وشجعتمونى بحسن الاستماع إلى ،
وكننت أسمع مناقشاتكم ومحاوراتكم فقبست

من علمكم فى قاعات المجمع مثل ما أخذت
عنكم من قبل إذ أنا طالب فى الجامعة .

لقد أسديتم إلى من عوارف معارفكم فى
ثمانى عشرة سنة ما لا أقوى على النهوض
بشكره ، ثم أذن الله أن يتحقق بكم أملاً
طالما جمجم فى الصدر ، فشرفتونى
بانتخابى زميلاً أودى معكم فرض الخدمة
تحت راية اللغة ، وأقف معكم فى المصاف
أشارككم شرف الجهاد فى الدراسة والحراسة .

سيدى رئيس المجمع :

أيها السادة :

لقد صحح عزمى إن شاء الله على أن
أكون طوعاً مطالب كتابكم الباقى على الدهر .
المعجم الكبير ، وعلى أن أوصل ماأنا
بصدده الآن من جمع العرب والدخيل ،
وتأصيلهما إيهاماً فى تيسير قراءة الكتب
العربية المحررة فى العصور الوسطى ، وبخاصة
فى العصر المملوكى ، فإن فى هذه الكتب
طوائف من العرب والدخيل بطل استعمالها
وأغفلها أصحاب المعجمات فهى غير
مفهومة للقارئ المعاصر .

نعم ! لقد أنجبت العصور الوسطى
كثيراً من رجالات اللغة والأدب العربيين ،

وخرجت دواوين الإنشاء جماعة من أهل
الخبرة بالكتابة الديوانية وأصحاب الكتب
الموسوعية، ولكن اللغة التركية رغم هذا
علت علواً جعل بعض علماء اللغة من
العرب يحرصون على معرفتها، وكما كان
اللغويون الأولون يخرجون إلى البادية ليجمعوا
اللغة من أفواه البدو، خالط هؤلاء
اللغويون العرب في العصر المملوكي الأتراك،
وتلقفوا التركية من أفواههم ثم أعملوا
فيها أذهانهم فاستنبطوا نحوها وصرفها،
ولئن كان أول معجم تركي وهو «ديوان
لغات الترك» لمحمود الكشغري قد
وضع في بغداد سنة ٤٦٦ هـ، وقدم
للخليفة العباسي المقتدى فإن أول كتاب
في نحو اللغة التركية وصرفها قد
وضع في القاهرة، ولم يكن واضعه تركياً
كالكشغري ولكن عربياً نحويًا مفسراً
للقرآن الكريم هو أبو حيان الأندلسي
المتوفى سنة ٧٤٥ هـ.

يقول أبو حيان في مقدمة كتابه
«الإدراك للسان الأتراك» . . وقد ضبطت
هذا اللسان حرفاً حرفاً، ورتبت الكلام
في اللغة على حروف المعجم باللسان التركي
فأذكر اللفظة التركية وأتبعها بمرادفها
من اللغة العربية ثم أردفه بعلم التصريف
ثم بعلم النحو، فما كان فيه من علم اللغة
فأخوذ عن أثق به في باب النقل ولى
فيه الترتيب الغريب والتلخيص العجيب
وما كان فيه من علم التصريف ومن علم
النحو فهو مما لم أنسج فيه على منوال، بل

استخرجته من القوة إلى الفعل بالتطلب
والتسأل فبلغت بلطيف الإدراك إلى أحسن
متراد وحصلت بكثرة السؤال أوفر مطلب
وأوفى مراد وجنيت من رياض هذا اللسان
فوائد ألد من الجنى واستخرجت من بحار
علومه فرائد هي غاية المنى . . ثم قال :
« وما وجدته في كتابي هذا مضبوطاً
ورأيت من يتكلم بلسان الترك يخالفه
في زيادة حرف أو نقصه أو تغيير حركة
بحركة أو تحريك مسكن أو تسكين محرك
أو غير ذلك، فلتعلم أن ذلك منه لحن في
هذه اللغة إذ قد تغير كثير منها بهذه البلاد
لخالطة المستعربة وغيرهم من الأعاجم » :

وبعد كتاب أبي حيان ظهر كتاب
ثان : هو كتاب « القوانين الكلية
في ضبط اللغة التركية » لمؤلف مجهول ،
يقول في مقدمته : « وأنا أسأل الناظر فيه
أن يسبل على ذيل فتوته ، ويغض عما
يقع فيه من الخطأ عين مروتة فإنه كما
يقال من صنف فقد استهدف ومن ألف
فقد استشرف وأن يقيم عذرى في ذلك فلاني
لست من الترك ولا أولادهم ولم أرحل
إلى بلادهم وإنما اعتمادي على السماع
منهم لكثرة مخالطتي بهم ومعاشرتي إياهم » .

هذا في العصر المملوكي : فلما كان
الفتح العثماني جعلت اللغة التركية لغة رسمية
وغلب استعمالها على استعمال اللغة العربية
في الدواوين :

حتى إذا كان حكم محمد على شرع في كتابة القوانين والتعليمات باللغتين التركية والعربية ولكن النص التركي كان يقدم على النص العربي ، ومع أن اللغة العربية بدأت تسترد مكانتها في عهد أولاد محمد على ظل الديوان الخديوي يرسل الدواوين المصرية باللغة التركية حتى سنة ١٨٧٩ ، وبعد عشرة أعوام من ذلك التاريخ كادت القطع المحررة باللغة العربية في الديوان الخديوي تتعادل - كما لاحظ جان دني - مع القطع المحررة باللغة التركية ، ثم توالى انتصارات اللغة العربية ففي سنة ١٩٠٤ كان عدد القطع المحررة بالتركية أقل من عدد القطع المحررة باللغة العربية :

ولكن الديوان الخديوي التركي لم يبلغ إلا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى .

ولقد أدى شيوع اللغة التركية في العصر المملوكي ثم غلبتها على اللغة العربية في العصر العثماني إلى دخول كثير من الكلم التركي في اللغة العربية ، ولما كان الترك قد تركوا كثيراً من الألفاظ الفارسية فقد دخلت مع الكلمات التركية الخالصة كلمات فارسية بعضها كان عربياً ، من قبل الإسلام وبعضها لم يكن عربياً ، فأما ما لم يكن عربياً فغير مدرج في المعجمات العربية هو وكل الكلمات التركية وأما ما كان عربياً قديماً فقد أعيد تعريب بعضه بقواعد جديدة .

ولأضرب لكم مثلاً كلمات أعيد تعريبها :
كان العرب قد عربوا كلمة جنك بالحميم

المشربة والكاف الفارسية بكلمة صنج ، فجعلوا الحميم المشربة صاداً والكاف جيماً عربية وتصرفوا في هذه الكلمة حتى قالوا في الأعشى إنه صناجة العرب فلما دخلت كلمة جنك في اللغة العربية مرة ثانية في العصر المملوكي ضمن الكلم التركي عربت بجعل الحميم المشربة جيماً عربية وبجعل الكاف الفارسية كافاً عربية فقالوا جنك واستعملت بهذه الصيغة في بعض الأشعار الركيكة مثل :
لجنك لي تضرب أوتاره

إلا ثناء يمل على جنكلى

ومثل :

بعثت لهم بجنكى بعد هذا

لأقتلهم بأطراف الأنامل

وكان العرب قد عربوا الكلمة الفارسية چادر بكلمة شوذر أى الخيمة والملاحفة والإزار فلما دخلت هذه الكلمة ثانية مع الكلمات التركية قالوا فيها شادر بالألف والبدال المهملة .

فلما عربوا الكلم التركي في العصر العثماني عربوه على قواعد غير التي عربت عليها الألفاظ الفارسية فقالوا مثلاً في الكلمة التركية چرچوه لك الشر كفلك فقلبوا الحميم المشربة الأولى شيئاً والثانية كافاً والشر كفلك بيت خشبي مصفح يوضع بداخله نوع من المدافع في أثناء الحرب .

وقد وقع مثل هذا التغيير في كلمات تركية أخرى فقد لوحظ قلبهم الهمزة المفخمة عينا والباء المعقودة باء عربية موحدة والياء

المحركة بالضم في أول الكلمة همزة مضمومة
أو مكسورة فقد قالوا إلداش وأولداش في
الكلمة التركية يولداش .

وكلما زاد وقوفنا على ما عرب في العصور
الوسطى وأوائل العصر الحديث زاد علمنا
بتطور قواعد التعريب .

سيدى رئيس المجمع :

أيها السادة :

لقد زدتموني شرفاً حين بوأتموني كرسيّاً كان
يقتضيه العلامة اللغوى الدكتور إبراهيم أنيس .

ولد رحمه الله في القاهرة سنة ١٩٠٦ ،
وحصل على دبلوم دار العلوم سنة ١٩٣٠ ،
واشتغل بتدريس اللغة العربية في المدارس
الثانوية وفي سنة ١٩٣٣ فاز في مسابقة عقدها
وزارة المعارف لاختيار أعضاء لبعثة دراسية
في أوروبا فأشخص إلى لندن فحصل من جامعتها
على بكالوريوس الشرف ثم على درجة
الدكتوراه ، فلما عماد عين مدرساً بدار
العلوم فكلية الآداب بجامعة الاسكندرية
ثم أعيد إلى دار العلوم وما زال يرقى حتى
حصل على الأستاذية وقلد العمادة مرتين ، ثم
انتخب عضواً عاملاً بالمجمع وشارك في
لجنتي المعجمين الكبير والوجيز ورأس
تحرير مجلة المجمع .

وقد وقف رحمه الله حياته على الدراسات
اللغوية التي تخصص فيها فأنتج فيها كتباً ذائعة
الصيت تخرج عليها جيل من أساتذة فقه اللغة

بالجامعات المصرية وقد قرأت منها ستة
كتب : الأصوات اللغوية (٢) اللهجات
العربية (٣) موسيقاً الشعر (٤) من أسرار
اللغة (٥) دلالة الألفاظ (٦) مستقبل اللغة
العربية المشتركة .

ولما كان الوقت لا يتسع للحديث عن هذا
الإنتاج الغزير فأرجو أن يؤذن لي بكلمة عن
إبراهيم أنيس من كتبه .

تشهد هذه الكتب بأنه رحمه الله قد أوتي
خصالتين تكفلان له خلود الذكر في عالم
الدراسات اللغوية .

الأولى : هي الغيرة على اللغة العربية فقد
كان رحمه الله أول من دعا إلى إيجاد نطق
نموذجي ينشر في جميع بلاد العرب تمهيداً
لوضع اللغة النموذجية المشتركة ، ولم يقنع
بالدعوة بل وضع للمشروع خطة محكمة
ومفصلة تشمل إعداد المدرسين واستغلال
الإذاعة وتوجيه السينما والمسرح والاستعانة
بالسلطة التشريعية للقضاء على سلطان اللهجات
الحالية فلا تستعمل في المدارس ولا الإذاعة
ولا دور الخيالة والمسارح .

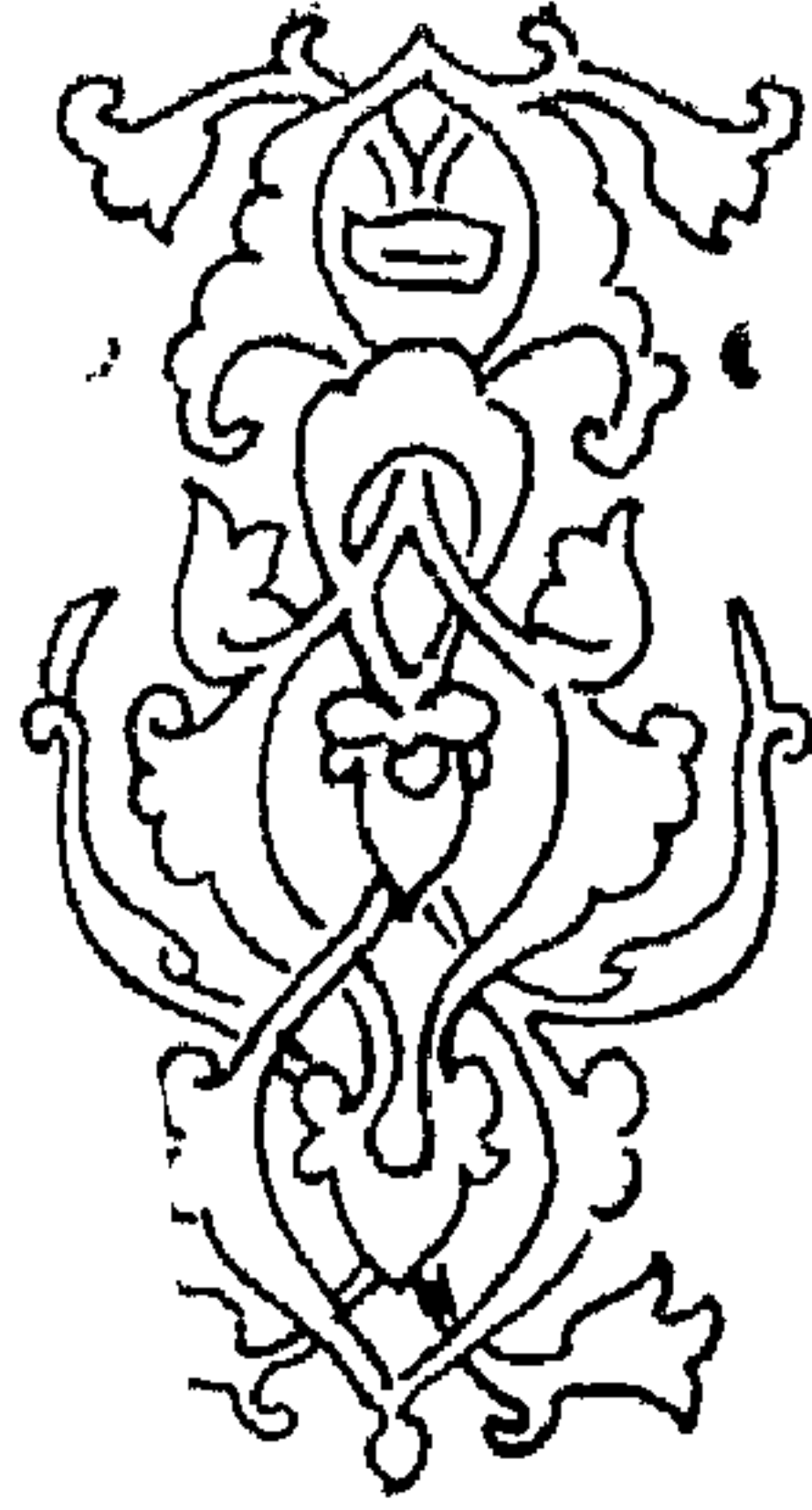
والخصلة الثانية : هي الشجاعة فقد كان
رحمه الله يرى الرأي لا يراه أحد غيره فلا
يكتمه بل يجهر به فإذا هو كتاب ففصل من
كتاب ، فتهال مختصر ، ، ولكن في شجاعته

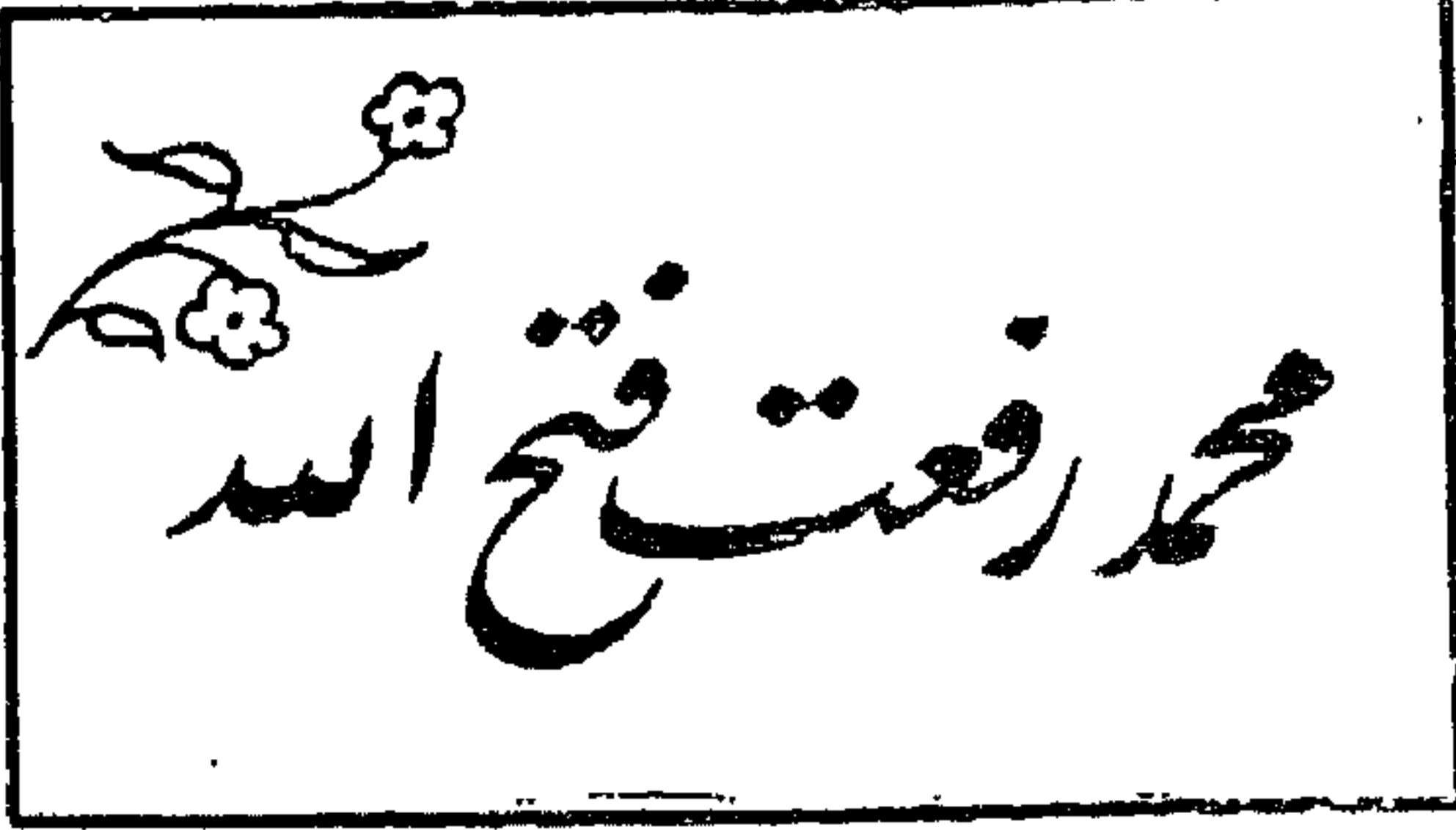
وأستهساكه برأيه سمح رجب الأفق ، حلو
لا تعتريه مرارة قد تخالفه الرأي ولكن لا
الاجتهاد ثناء وموحداً ، رحمه الله رحمة
واسعة :

يسعك إلا أن تشهد له بنبل القصد وبوضوح
الأسلوب وجمال العرض ، وأشهد ما قرأت
له كتاباً أو مقالا إلا أحسست كأنى أجالسه
وأستمع بحديثه .

لقد قضى حياته عالماً مجتهداً ، يؤلف
ويحاضر ، ويأتي بكل جديد ، فيكتب له أجر
وبعد فإني لم أوت من البيان ما أستطيع به
الوفاء بحقكم من الشكر فشكر الله لكم ورزقني
وإياكم السداد في القول والعمل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أحمد السعيد
عضو المجمع





في استقبال الدكتور الشيخ

واستدعت إليه ، يعرض رأيا ، أو يعقب بملاحظة ، فتجالت لي شخصيته ، ومواهب ذهنه كما برأه الله تعالى ، فهو من أولئك الذين يرى باطنهم في ظاهرهم ، ويعبر كلامهم عن خصائصهم ، كما يعبر عن أفكارهم ونخواطهم ، فتذكرت قول القائل :

تطابق الخبر في رؤياه والخبر

وصديق السمع في أوصافه البصر

وظلت شخصيته من بعد حاضرة لدى تتمثل لي حيناً بعد حين ، ثم اختاره المجمع خبيراً في لجنة الأصول ، وقرأت بحثين له قدمهما إلى اللجنة ، فازدت علمه ولا كباراً

له . ثم كان انتخابه عضواً في المجمع ووكلاً إلى أن أقدمه إلى السادة المجتمعين ، فكانت الرغبة المرجاة ، والفرصة المواتية : أنى عرفته عن كثب ، ومن طريق قاصدة ، عرفان إحاطة وشمول ، لا عرفان مقارنة واكتفاء .

عرفت أنه قاهري مولداً ونشأة وحياة ، وكان مولده عام ١٩١٢ ، واستقبل حياة الدراسة بمثل ما كان يستقبل به أبناء جيله ، فحفظ القرآن الكريم ، ثم لحق بالأزهر

من الناس من يجمع بيننا وبينه عمل مشترك أو تصلنا به صلة ما من صلات الحياة العاملة ، في صورها المختلفة ، ومطالبها المتجددة ، ثم لا نكاد نعرف عنه إلا ظاهراً من الأمر أو يسيراً من الواقع ، لا يقيم له وزن ، ولا يعلق به طرف ، فكأننا منه ، وكأنه منا في اغتراب ، أو كأنما ضرب بيننا وبينه حجاب .

ومن الناس من لا نلقاه ، ولا تصلنا به صلة ، ونحن مع ذلك نعرفه في فكره ورأيه وإن لم نعرفه في شخصه وسمته . وخير ما في المرء فكره ورأيه ، فهما يوزن ، وبهما يكون التفاضل والترجيح بين الناس .

وكنت امراً ليست له من قبل صحبة بالشيخ الدكتور محمد رفعت ، ولا جمعتني وإياه مشاركة في عمل ، لكنني مع ذلك كنت أسمع اسمه يتردد ، وعلمه يوصف ، كلما ذكرت كلية اللغة العربية أو دار حديث عن علماء العربية المعاصرين . فحبب إلى لقاءه ، ونازعتني النفس إلى صحبته .

وشاء الله أن نلتقي مرة أو مرتين في مجلس كلية اللغة العربية ، فرأيت شخصه ،

الشريف ، يتلقى فيه علوم الدين واللغة ، ثم يمضى صعبا في الطلب والدرس ، وينال درجاته العلمية تباعا ، فنال الشهادة العالمية من كلية اللغة العربية عام ١٩٣٧ ، ثم نال العالمية أو الدكتوراه بامتياز عام ١٩٤٤ ، وتولى في هذا العام التدريس في الكلية ثم مضى قدما في مراحل التدريس حتى رقى إلى درجة أستاذ عام ١٩٦٨ ، ثم وكلت إليه رئاسة قسم اللغويات في الكلية إلى أن أحيل إلى المعاش. لقد أتيح إذن للشيخ الدكتور محمد رفعت أن يدرك طرفا من حياة الأزهر في أيامه الخالية ، حين كان ينهج في الدرس والبحث نهجه المتميز ، الذي عرف به وأضيف إليه . أدرك أشياخه - رضى الله عنهم - يشتمون في طلب الحقيقة من نصوصها المنثورة هنا وهناك ، في بطون الشروح والحواشي ، يتخللها أو يسامتها تنبيه على غائب أو استدراك لفات ، ثم لا يزالون ينظرون في أطوائها ، ويستخرجون دقائقها ويوجهون مسائلها إلى كل وجه ، وعلى كل احتمال :

وليس يفوتهم أو يغيب عنهم أن ينقلوا العبارة لفظا ونظما ، ويوسعوها تفسيراً وتحليلاً في دراسة بارعة ، ومناقشة واعية ، يتعاقبون فيها أخذاً ورداً ، وإثباتاً ونقضا ، حتى ما يكادون يتركون وراءهم لقائل فيها مقالا .

نعم رأى الشيخ الدكتور طرفا من هذه الحياة ، ثم مضى مع الجامع العتيق ، وهو

يأخذ بأسباب التطور والانتقال من حال إلى حال . وقد أفادته هذه الصحبة المتجددة خبرة واعدة ، وتجربة ناضجة ، استقام اه معهما أن ينظر في العربية نظرا ثاقبا ، وأن يقول فيها مقالة عالم متمرس ، وباحث مجرب .

ثم أينعت الثمرة وطاب جناها ، فإذا طائفة متتابعة من المقالات والبحوث والمحاضرات ، منها ما هو موضوعي ، يدرس ويحقق ، ثم يعرض ويقرر ، ومنها ما هو نقدي ، يتعقب المشكلات ويقرر لها الحلول .

تظايره بينات شاهدة ، ومنطق قويم :

ولعل أدل محاضراته عليه ، وأبينها لكفايته وخصب قريحته - محاضراته العامة في قاعة الشيخ محمد عبده ، وكان عنوانها : « الثورة اللغوية » لا يتبدل في العنوان بلفظ الثورة لفظا غيره ، من نحو الإصلاح والتقويم ، كأنما كان يحس أن أمر اللغة يوم ذاك لم يكن يصلح له أو يغني فيه إلا الثورة في حماسها ، واشتعال حسيها ، فهي وحدها الفيصل الحاسم والعلاج لا هوادة فيه ولا بقيا معه :

وله محاضرة أخرى عامة ، نقد فيها الدعوة إلى الحروف اللاتينية ، والأخذ بها مكان الحروف العربية ، وبين عاقبة الاستجابة لهذه الدعوة على ماضينا المخيد ، وراثتنا الثقافي العريق . وله بحث عنوانه : علاج الكتابة العربية ، الهدزة الحيرى تحدث فيه

نحن المهذبة وذقة مسالكتها . واضطراب
صورها ، وتعدد طرائق رسدها ،
ونخلص من ذلك باقتراح أن ترسم
على صورة الألف المهذوبة في جميع
أحوالها ، وعزز اقتراحه هذا بعدد كبير من
أقوال علمائنا الأولين :

وله بحوث أخرى في النحو والنقد اللغوي
منها ما نشر في المقتطف ، ومنها ما نشر في
السياسة الأسبوعية ، ومنها ما نشر في مجلة
المجمع : وله مقالات في الأصوات واللغة
نشر بعضها في المقطم ، وبعضها في البلاغ
وبعضها في الأهرام ، وله قصة عربية عنوانها
«عطر المنصور» وقد نشرت في مجلة الرسالة
وقصة أخرى مصرية ، وعنوانها «مغفل»
وقد نشرت في مجلة الاستديو :

وله أحاديث في الإذاعة ، تناولت بعض
قضايا الأدب والتاريخ والأخلاق . وقدم إلى
لجنة الأصول بالمجمع بحثا عن اسم المصدر
وآخر عن نحو قول القائل : أنا كرئيس أرى
كذا .

وأشرف على طائفة من الرسائل الجامعية
في بعض فروع اللغة .

وجاوزت شهرته العلمية إحدود مصر
فدعى للمحاضرة في كل من جامعة بغداد
وجامعة بني غازي وجامعة أم درمان ، ثم
جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض
نشاط علمي مبارك طيب ، يتناول ألوانا من
الثقافة العربية ، ويدل على رحابة الأفق ،
وتعدد الملكات

أما بعد ، فيأيتها السادة المحرمين : اليوم
يقدم عليكم في شخص الدكتور الشيخ محمد
رفعت عالم متمكن ، وباحث محقق ، وسيكون
لكم منه كل ما ترغبون من جهد مخلص
ومشاركة جادة ، إن شاء الله تعالى . ويومئذ
ترون عيانا أنكم وفقتم في الاختيار ، وآتيتم
ثقتكم عالما هو أهل لها وجد يربها :

وأنت أيها القادم الكريم ، أهلا بك ومرحبا
بين زملائك من حماة العربية وأصحاب
سرها فهي إليهم ، وتبوء مكانك بينهم ، راشدا
موفقا ، وراضيا مرضيا :

على النجدي ناصف
عضو المجمع



●● كلمة الدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله

أيها السيد الرئيس :

أيها السادة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

(أما بعد) فلإني أحبيكم أطيب تحية ،
وأقدم أجزل الشكران ثلاث تقديمات :

أشكر السيد الرئيس والسادة الأعضاء
اختياري لأكون عضوا بمجمع اللغة العربية
العظيم .

وأشكر السيد العالم الأستاذ على النجدي
ما أسبغته علىّ - في تقديمي - من الكلم
الطيب ، والأدب العالي .

وأشكر السادة حاضري المجمع لحفل
الاستقبال في هذا اليوم حضورا يطيب
به الاستقبال ويكتمل الاجتماع .

ولست أنسى ذكر العالم الكبير الراحل
الدكتور محمود توفيق حفناوى الذى
أخلفه في مكانه بالمجمع ، وقد خلف هو
الأستاذ الحليل العالم الراحل الشيخ إبراهيم
حمروش في مكانه بالمجمع من قبل ، فصار
لى من شرف الذكرى مايشجعنى على القيام
بالعربية في هذا المكان .

ولد الدكتور حفناوى في أواخر القرن
الماضى سنة أربع وتسعين ، ثم عرّف أول
هذا القرن الحاضر طريق العلم بمدارسه حتى
نال الشهادة من مدرسة الزراعة العليا سنة
سبع عشرة ، ثم بعث إلى الخارج سنة إحدى
وعشرين ، ونال من شهادته مايشهد
بعلمه ، ثم رجع إلى القاهرة فاختير
مدرسا بمدرسة الزراعة العليا سنة أربع
وعشرين ، ثم صار ناظراً لها سنة ثلاثين
وتحول عميدا لكلية الزراعة لسنة خمس
وثلاثين ، فكان أول عميد لهذه الكلية ، ثم
صار وزيرا للزراعة سنة تسع وثلاثين ، ثم
ترك الوزارة واشتغل بأعمال توافق علمه
حتى اختير ليكون عضوا بالمجمع سنة
اثنين وستين ، وقد ألف كتابا في علم النبات
ومؤلفات أخرى بالعربية وغيرها ، فبقيت
مؤلفاته نورا للمراجعين إليها ، وكان رائدا
للبحث العلمى الزراعى حتى وافته المنية سنة
سبع وسبعين ، فجزاه الله عن العلم خيرا ،

ولإذا كان مجمع اللغة العربية قد استقباني
مع زملائي - بما جرت به عادته من حسن

والعراق وليبيا ، وفي مقالتي بمجلة المجمع
وصحيفة الأهرام وغيرهما .

وكذلك أعلنت بالثورة اللغوية ، ليتنبه
أهل اللغة العربية على ما تحتاج إليه لغتهم من
التصفية والتنمية .

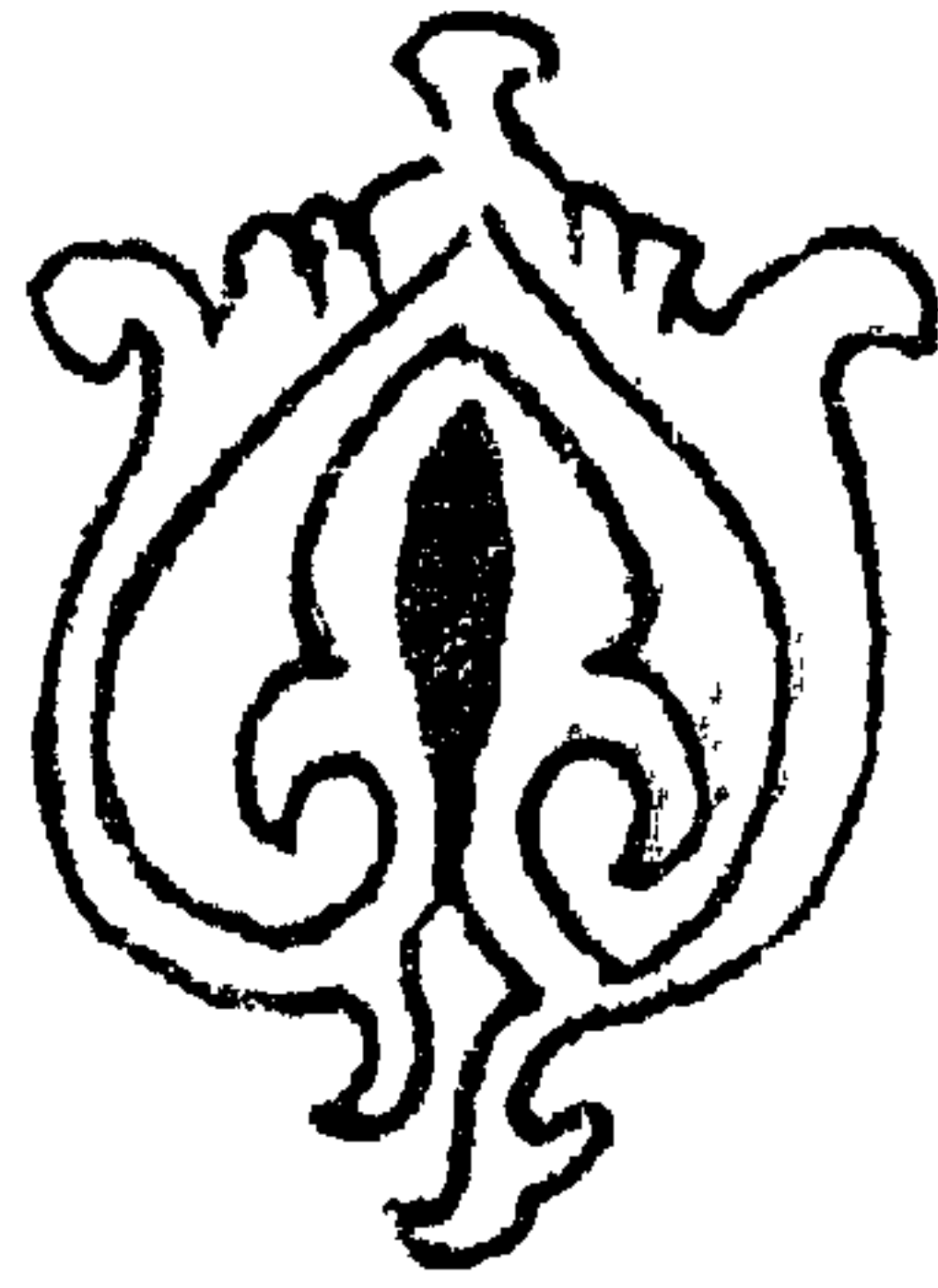
والسلام عليكم ورحمة الله

محمد رفعت فتح الله
عضو المجمع

الاستقبال ، فإني أستقبل فيه - بصفة مجتمعية
محبوبتي : اللغة العربية .

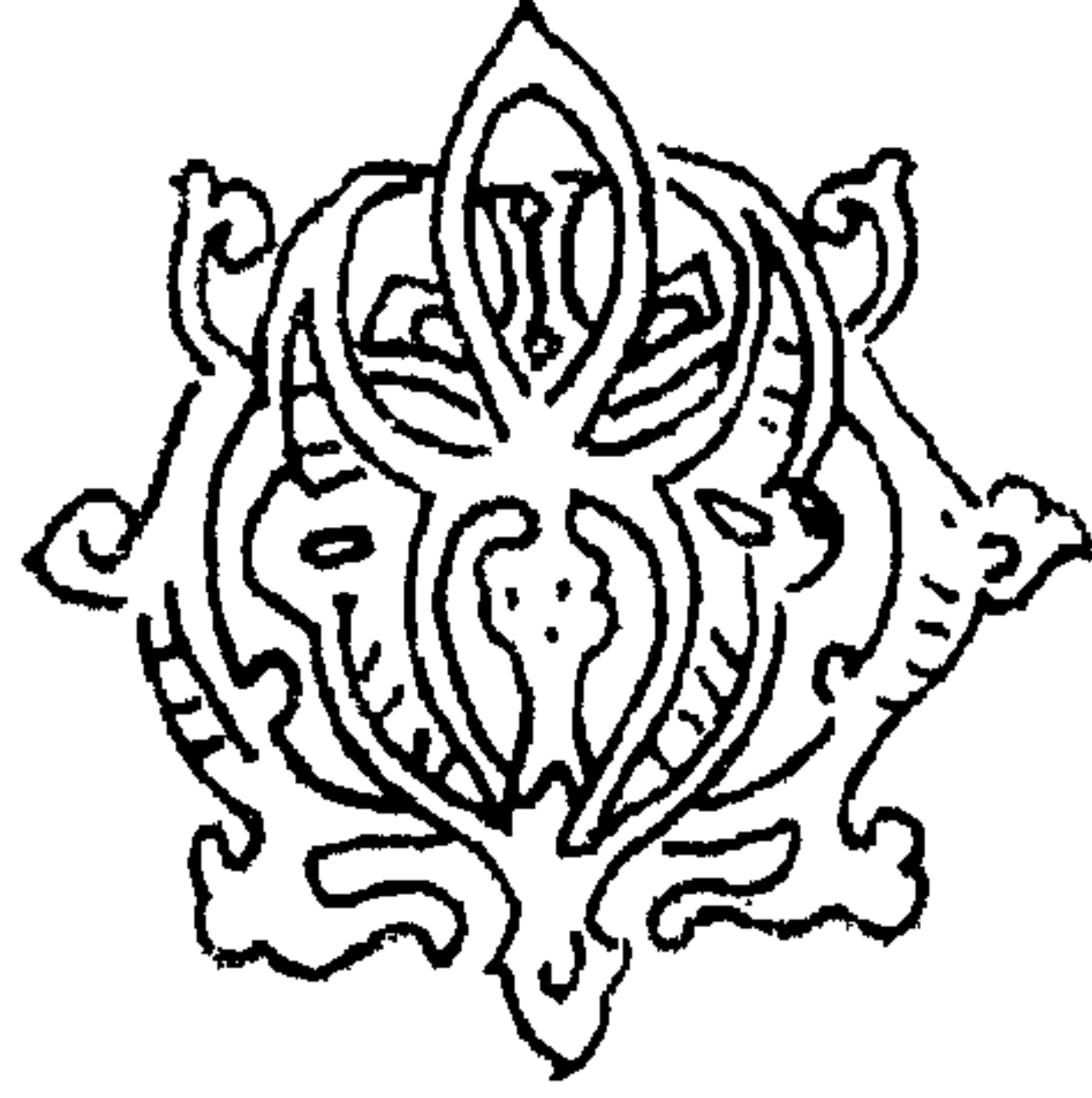
ومجمع اللغة العربية هو حصنها ومأمل
أبنائها ، يقينا لإصابة الأعاصير التي تهب من
الأعجديات المتكاثرة والعاميات المتناثرة
ويؤثرها المباحث في النماء ، والمراقى
في السماء .

وقد استقبلت اللغة العربية - من قبل -
في محاضراتي بمصر والسودان والسعودية



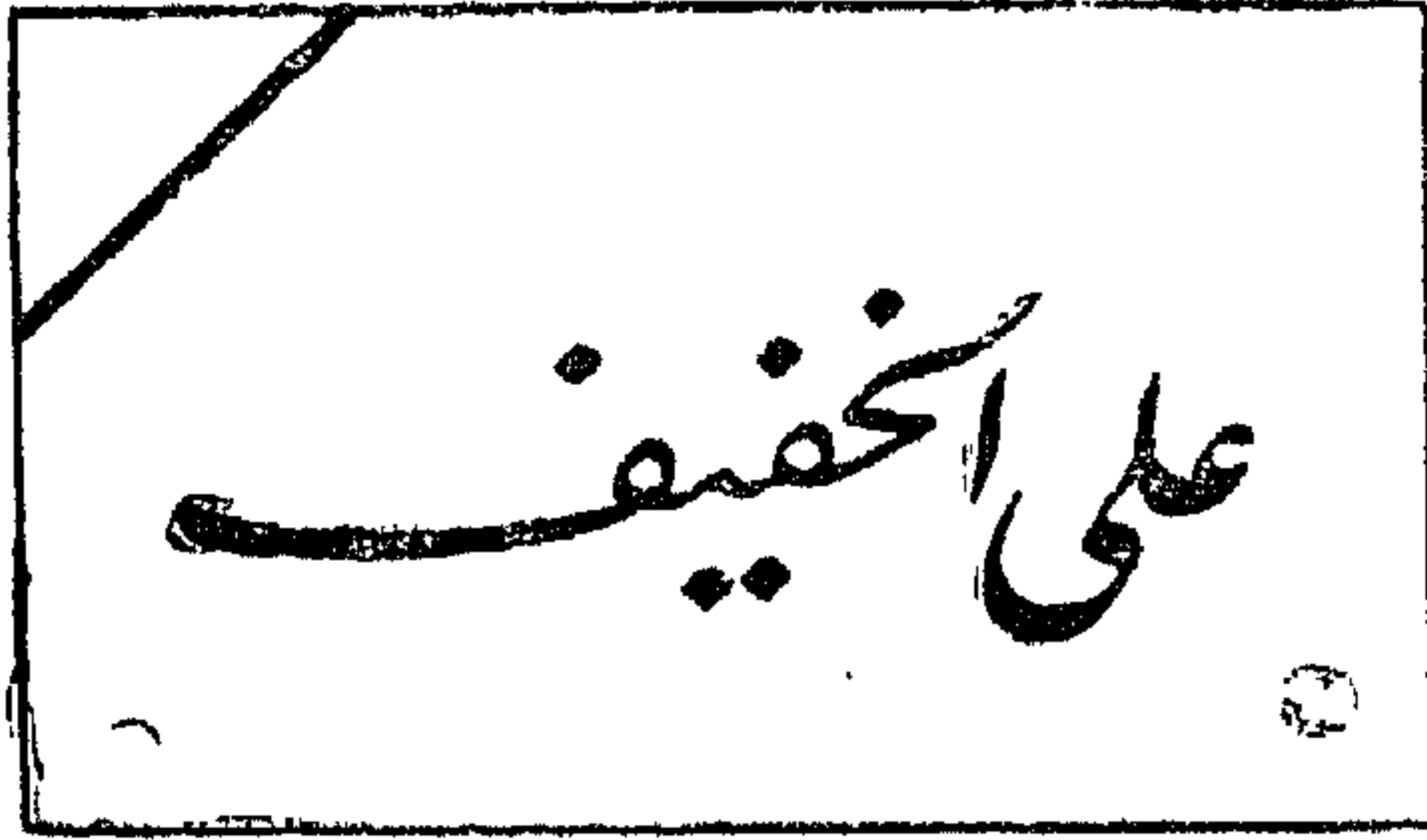
• • كلمة الختام للدكتور رئيس المجمع

سيداتي ، وسادتي :
باسم أعضاء المجمع أكرر شكرى لكم
جميعاً ، وأكرر تهنئتي وترحيبي بزملائنا
الجلدد الذين نغول عليهم وعلى إسهامهم
فى نشاط المجمع ، وقد غنمنا بهم ،
ونتمنى لهم حياة مجمعية حافلة بالجد
والنشاط .
شكرا لكم ورفعتم الجلسة .



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٧ من ذي
الحجة ١٣٩٨ هـ (الموافق ٨ من نوفمبر ١٩٧٨ م) أقام المجمع
حفلاً تأبين المرحوم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ على
الخفيف عضو المجمع .
وفيما يلي ما ألقى من كلمات في الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع



في تأبين المرحوم الأستاذ الشيخ

سيداتي : : سادتي :

أودع اليوم على الخفيف الأستاذ ، فقد
تتلمذت له منذ نصف قرن أو يزيد . تتلمذت
له في معهد لم يقدر مع الأسف حق قدره ،
ولم يترك سائراً في طريقه بل تحزب ضده
المتحزبون ، وتآلب الخصوم والمعارضون ،
وقضوا عليه ولما يمض على نشأته عشرون عاماً ،
وأعنى به مدرسة القضاء الشرعي التي
أريد بها أن تجمع بين القديم والحديث ، وأن
تلائم بين الماضي والحاضر ، تجمع في تحد تام
وتقدير صحيح ، وتلائم في اختيار سليم
وتوفيق حكيم ، فلا تأخذ بالقديم لجورد أنه
قديم ، وفيه ولاشك الزائف والباطل والخرافة
والأسطورة ، ولا تسير وراء الحديد لبريقه
ولعانه ، وفيه قطعاً ما لا وزن له ولا قيمة ،

وقد سارت مدرسة القضاء الشرعي في هذا
الطريق سيراً حثيثاً ، وخرجت جيلاً من
العلماء والمفكرين الذين كنا نود أن يغذي بهم
العالم العربي والإسلامي دون انقطاع .

في هذه المدرسة تتلمذت للمرحوم
الخفيف في درس لأنسائه ، تتلمذت له
في علم الفرائض ، ونعمت في درسه بالفقيه
المتمكن والرياضي الدقيق . وقدر لي أن
أشترك بعد زمن في مناقشة مشروع قانون
المواريث بمجلس الشيوخ ، وكان هذا الدرس
خير عون لي . في هذه المدرسة تتلمذت
للمرحوم الخفيف وصداقته ، وهكذا كان
شأن مدرسة القضاء فقد كان يراد بها أن
تجمع بين الأساتذة والطلاب والأصدقاء ،
وأى صداقة أقوى وأمتن من تلك التي

تتوثق بين رجال العلم والمعرفة طوال تسع
سنين .

ورحم الله عاطف بركات الأب الأول
لهذه المدرسة ، وقد خطط لها وأحكم التخطيط ،
ومن تخطيطه أن تنشأ مدينة خاصة في ضاحية
من ضواحي القاهرة لا يقيم فيها إلا طلابها
وأساتذتها ، وتوفر فيها وسائل البحث
والدرس ومتطلبات العيش والحياة .

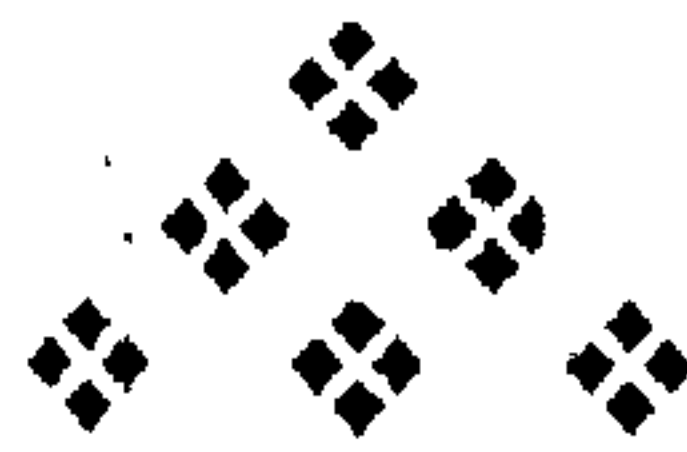
سيداتي ، سادتي :

وأودع أيضا على الخفيف الزميل ، فقد
نفحننا بزمالته في هذه الدار زمنا ، ويوم أن
دخلها عددناه غنما كبيرا وسنداً عظيماً حرص
ما وسعه على أن يشترك في بعض لجاننا ، وأن
يتابع جلسات مجلسنا ، ولم يتخلف قط إلا لعذر
قاهر ، أعطى لجاننا في سناء ، وله علمه
الفياض وذوقه السليم ، وحكمه الدقيق وأثار
مجلسنا بأرائه الصائبة وتوجيهاته السديدة . لم
يعرف الإسراف قط ، لافي القول ولا في العمل ،
وقد عني بالمصطلح الفقهي ، وعقد له لجنة
فرعية خاصة ، وأقر فيه ما أقر ، ووفاء
لذكره آمل أن نخرج ما أقره إلى النور
لا سيما وهو تراث يخشى عليه الضياع :

وأودع أخيراً على الخفيف الفقيه والمشرع ،
تمكن من الفقه الإسلامي تمكناً لا يجاريه فيه

كثير من معاصريه ، حذقه في بصر وبصيرة
ومارسه علماً وعملاً ، وضم إليه قدراً غير
قليل من علوم القانون ، فتوفرت له أسباب
الاجتهاد والفتوى ، وكان يؤمن بأن التشريع
أينما وجد ليسد حاجة ، ويعين على تنظيم
المجتمع ، وتدير شئونه ، وليس في تعاليم الإسلام
ما يعارض النهوض الصحيح والتقدم السليم ،
ومن الخزي أن نعيش حالة على من سبقونا ،
وأن نحرم أنفسنا من حق التفكير والتعديل
والتصحيح . وأذكر أني تحدثت إليه مرة
في شأن الحركة الرابعة التي ترمى إلى إحلال
الفقه محل القوانين الوضعية ، وكان يرى أنها
حركة قليلة الحدود وصعبة التنفيذ ، وفي رأيه
أنه إن كان ولا بد فلننظر في القوانين الوضعية
الحالية وبخاصة القوانين المدنية ، فإن كان
فيها ما يعارض مبادئ الإسلام الثابتة رفضناه
أو عدلناه ، أما أن نهدم في غير بناء فهذا
جهد ضائع لاطائل تحته ، ومن أشد ما آسف
له أن مجمع البحوث الإسلامية - وفيه المرحوم
على الخفيف وأمثاله - كان في وسعه أن
يواجه مشاكل الساعة ، وأن يحلها حلاً
إسلامياً عصرياً ، فيخدم الإسلام والمسلمين ،
ولكنه لم يواجه ذلك مواجهة صادقة .

رحم الله الأستاذ على الخفيف ونفحه
برحمته ورضوانه :



.. كلمة الدكتور أحمد الحوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس

سادتى :

كان من الواجب الشاق على نفسى أن أنوب عن مجمع اللغة العربية فى رثاء علم من أعلامه هو أستاذ الأساتذة المغفور له الشيخ على الخفيف :

ولأنى ألقى عليكم أنى تهيئت فى أول الأمر رثاءه ، لأنى أحببته وأحببته ، ولأنى أعلم علاء قدره وعظمة آثاره فى أجيال متعاقبة وقد يبدو عند النظرة الأولى أن الحب المتبادل وأن عظمة المراثى كفيلا بسهولة رثائه ، ولكن الحق غير ذلك ، لأن مشاعر الأسى المنبعثة عن محبة من شأنها أن تهز النفس هزاً وتملأ القلب وجداً ، فيعجز اللسان عن التعبير أما عجز ، ثم لأن عظمة المراثى وضخامة تأثيره توحى بالرهبة والتهيب والمعجزة : ولكن الظروف اقتضت أن أرثيه بما أستطيع من كلمات وموجزات :

وإذا كنا قد اعتدنا فى كثير من المراثى وهى نهاية الأحياء أن نفتحها ببداية حياتهم ، فإن فقيدنا ولد بقرية الشهداء إحدى قرى محافظة المنوفية سنة ١٨٩١م ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية كما كان يفعل

عشرات الآلاف من أبناء جيله درس فى الأزهر من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٠٦ ، ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧ وتخرج فيها سنة ١٩١٥ ، وعين بعد تخرجه فى العام نفسه مدرسا بالمدرسة نفسها إلى سنة ١٩٢١ .

وفى تلك السنة نقل إلى وظيفة قاض بالمحاكم الشرعية ، وبقي فى منصب القضاء ثمانى سنوات ثم عين محاميا شرعيا بوزارة الأوقاف ، ثم مديراً للمساجد بها إلى سنة ١٩٣٩م .

وفى هذا العام نفسه عين أستاذاً مساعداً للشرعية الإسلامية بكلية حقوق القاهرة ، وارتقى إلى وظيفة أستاذ سنة ١٩٤٤ ، ومازال فى وظيفة أستاذ إلى أن بلغ سن التقاعد سنة ١٩٥١م لكن كلية الحقوق حرصت على الانتفاع بعلمه وبتجاربه ، فندبته ليدرس لطلاب الدراسات العليا إلى قبيل وفاته . سادتى :

لقد كان من الدلائل على فضل المغفور له الشيخ على الخفيف أن كثيراً من المعاهد تنافست فى الانتفاع بعلمه ، فقد عينه معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٥٣ أستاذاً غير متفرغ ، ثم أستاذاً متفرغاً إلى قبيل موته

وعينته الدولة عضواً بمجمع البحوث الإسلامية منذ سنة ١٩٦٢

وعينه المجلس الأعلى للأزهر عضواً به منذ سنة ١٩٦٧ .

وندبته جامعة بغداد أستاذاً زائراً سنة ١٩٦٨ ، وكذلك ندبته جامعة الخرطوم .

وهو إلى هذا كله عضو بارز في لجنة موسوعة الفقه الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وفي لجنة وضع مشروع قانون الأحوال الشخصية ، وعضو له قدره في مجمع اللغة العربية .

سادتي :

لقد كان للمرحوم الشيخ على الحفيف صوته المسموع في كلية الحقوق مدوياً بعظمة الشريعة الإسلامية ، لأنه رحمه الله أحسن الانتفاع بالتراث النفيس الذي خلفه أسلافنا من الفقهاء الأجلاء ، ففهمه وأحسن عرضه وتهذيبه وتنظيمه وتبويبه ، في أسلوب عصري سهل شائق يجارى المنطق ، ويسامى القانون الحديث . وكان له ميدان آخر جلى فيه هو الموازنة بين ما يردده علماء القانون من نظريات في موضوعات عدة وبين ما سبق إليه علماء الشريعة الإسلامية من آراء في هذه الموضوعات نفسها ، ومن فتاوى عريقة تتسم بالذكاء والحصافة والصواب ، ومعنى هذا أن فقيدنا عليه رحمة الله كان من الأفاض الذين نهوا الأذهان إلى سمو تشريعنا ، وإلى فضل علمائنا ، وإلى أصالة فقهائنا ،

حتى لا تبهرنا نظريات الغرب وأراء الغرب وبحوث الغرب ، وحتى نستطيع إبطال دعاوى بعض الذين ينكرون فضلنا ويعزرون السبق كله إلى علمائهم .

ولم يكن موقف المرحوم الشيخ على الحفيف منبعا عن تعصب بل كان إذعانا للحق الذي يجب أن يسود ويجب أن يقود .

سادتي :

ترك فقيدنا اثني عشر مؤلفاً هي :

١ - الخلافة

٢ - أحكام الوصية

٣ - أحكام المعاملات الشرعية .

٤ - الشركات في الفقه الإسلامي :

٥ - أسباب اختلاف الفقهاء .

٦ - نظرية النيابة عن الغير :

٧ - فرق الزواج .

٨ - الحق والذمة .

٩ - البيع في الكتاب والسنّة .

١٠ - الشركة والحقوق المتعلقة بها .

١١ - الملكية في الشريعة الإسلامية .

١٢ - الإرادة المنفردة في الفقه الإسلامي .

وله بحوث كثيرة نشرتها بعض المجلات ولا سيما مجلة القانون والاقتصاد التي يصدرها أساتذة الحقوق بجامعة القاهرة ، منها :

١ - التأمين في الشريعة الإسلامية :

٢ - تأثير الموت في الالتزام .

٣ - الاستصحاب :

٤ - تأثير الموت في الحقوق :	(ح) استيلاء	طبعت	الجزء الثامن
٥ - رعاية المصاحبة الشرعية .	(ط) استناد	طبعت	الجزء الثامن
٦ - المنافع في الشريعة الإسلامية *	(ي) إسلام	طبعت	الجزء التاسع
٧ - الوقف الأهلي وأسانيده في الشريعة .	(ك) دين	طبعت	النموذج
وله بحوث في موسوعة الفقه الإسلامي ،	(ل) إقطاع	لم تطبع	
منها :	(م) التزام (إلزام)	لم تطبع	
(١) إجارة	(ن) انقراض	لم تطبع	
(ب) ادعاء	(س) إيمان	لم تطبع	
(ج) إذن	(ع) أمير وإمارة	لم تطبع	
(د) ارتفاق	(ف) اقتصار	لم تطبع	
(هـ) أرش	(ص) اعتقال	لم تطبع	
(و) إستبدال	(ق) اعتصار	لم تطبع	
(ز) استنابة (إنابة)	(ر) أهل الحل والعقد	لم تطبع	

مثالان من آرائه

المثال الأول - الملكية

الملكية موضوع محاضرات ألقاها بالمعهد العالي للبحوث والدراسات العربية ، تناول فيها الملكية ، فعنى بتأصيل حق الملكية في الشريعة الإسلامية ، وبين أن الأموال كلها ملك لله تعالى ، ودلل على هذه الفكرة بآيات كثيرة من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى :
 لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير^(١) ، ووضح أن للإنسان حق التملك ، ولكن تملكه اختصاصاً يتيح له

الانتفاع بما يملكه مع مراعاة المصلحة العامة للمجتمع .

وقد فرض الشرع على هذا المالك عدة تكاليف وواجبات تحقق ما يصبغ أن نسميه بالاشتراك السليمة التي تتفق وطباع البشر ، وتحقق الخير لهم .

وجعل الشرع لولى الأمر الحق في مراقبة تصرفات المالك مراقبة قائمة على أوامر الدين ونواهيه ، أى أن ولى الأمر يراقب المالك

(١) سورة المائدة ١٢٠

في وسائل استغلاله لما يمتلكه ، وفي طرائق انتفاعه بما يملكه ، ليردعه عن البخل والجشع والأنانية وسوء الاستغلال ، وليرده إلى الطريق السوي السليم :

ثم وازن الأستاذ بين هذا النظام السامي الذي شرعه الإسلام وبين المذاهب الأجنبية المستحدثة التي يغالى بعضها في حماية الفرد وكفالة حريته الكاملة فيما يمتلك ، ويغالى بعضها في تقييد هذا الحق حتى يصل التقييد إلى القضاء على حق الملكية وإهداره .

المثال الثاني - التأمين

في بحثه الذي موضوعه التأمين في الشريعة الإسلامية ، عرف نظرية التأمين ، وأساسها وأنواع التأمين ، وخصائص عقده ، وأساس الإلزام فيه ، وقيامه على الضمان نظير أجر أو قيامه على التعاون . وبسط آراء الذين حرموه ، مستندين إلى ما فيه من شبهة الغرر ، والربا ، والقمار ، والغبن . ثم بسط آراء الذين أباحوه ، ووضح حججهم وردودهم على عرميه .

وانتهى إلى الإفتاء بجواز التأمين في بعض أنواعه ، دون أن تكون فيه أية شبهة ، مثل التأمين التعاوني الاجتماعي الذي يقوم به وبأقساطه المستأمنون أنفسهم بعضهم ببعض ، ومثل التأمين الاجتماعي الذي تقوم به الحكومة خدمة للمرضى والعجزة والمحالين إلى التقاعد . ثم فصل المقال في التأمين ضد الحوادث وضد المسؤولية ، وقال : إن الغرر فيه يسير لا يحول

دون صحته ، وإنه لا ينطوي على مقامرة ، ولا على مراهنه ، ولا على جهالة أو غبن ، لأن أساسه الضمان نظير جعل يدفعه المستأمن ، وبين ما في هذا الضرب من التأمين من مصالح اجتماعية تدعو إلى جوازه رعاية للمصلحة :

وعرض للتأمين على الحياة فوضح أنه إذا كان مصحوباً بالعزم على الادخار وتنمية المال أو الربح والفائدة فإنه يعد من قبيل المضاربة الشرعية ، لأنه عمل في مال الغير باستثماره ، والربح فيه يقسم بين صاحب المال والعامل على مقتضى ما يظهر من ربح :

أما إذا قام على فائدة معينة محددة فإن هذا يبعده عن المضاربة ، لأن اشتراط ربح معين في المضاربة يفسدها ، إذ أنه قد يؤدي أحياناً إلى عدم اشتراك الطرف الآخر في الربح الناتج :

وأفاض في بيان أن الخسارة مستبعدة عملاً لأن هذا النوع من التجارب يقوم على قواعد اقتصادية ويكفل ربحاً يزيد على الفائدة المحددة لصاحب المال ، وهذا يحقق اشتراك الطرفين في الربح دائماً . لهذا رأى فضيلة المغفور له الشيخ على الخفيف جواز هذا النوع من التأمين أيضاً بمقتضى العرف ، وبمقتضى جواز التعاقد في الإسلام على الوضع الذي تتطلبه الحاجة دون اشتراط صورة معينة للعقد :

وانتهى إلى أن عقد التأمين عقد جديد جائز شرعاً ، لخلوه من المحظورات الشرعية :

سادتي :

لا يستطيع الذي يقرأ بحوث الفقيد إلا أن يشيد بقدرته وألمعيته وسعة اطلاعه وثاقب ذكائه وبشوقه إلى تطوير التشريع الإسلامي تطويراً لا ينحرف به عن جادته ، ليحقق مصالح الناس ، ولينهض بما يناط به من إصلاح :

لهذا كان كلفاً بإبراز خصائص الشريعة الإسلامية ، ودؤوباً على التنويه بمرونتها وطواعيتها وتقبلها للتطور ، وصلاحياتها لكل زمان ومكان .

ومعنى هذا أنه كان — رحمه الله — من أنصار الاجتهاد ، ومن الدعاة إلى افتتاح أبوابه والأخذ به ، ما دام قائماً على الاهتداء بكتاب الله وبسنة رسوله وبما يؤدي إليه القياس الصحيح .

جمع في عقله الواعي جوهر عشرات من كتب الشريعة موجزة مركزة ، معترزاً بلبابها ، متغاضياً عما بها من أوهام واقتراضات واحتمالات ، فكان يفتي في أية مسألة فتوى الفقيه الحصيف الخبير الذي لا يعقب عليه أحد :

سادتي :

يشاء الله سبحانه وتعالى لبعض العلماء أن يصوغوا رجالاً يخلفونهم وأن يصنعوا علماء يرثونهم ويذيعون فضيلهم ، وقد كان من حظ أستاذنا الشيخ على الخفيف أن يكون كذلك : فإنه حينما تخرج في مدرسة القضاء

الشرعي وعين بها مدرسا درس لكثير من زملائه ، ثم درس لطبقات شتى في كليات ومعاهد مختلفة ، وأكرمه الله تعالى فقد عمره حتى رأى أبنائه أساتذة وفقهاء ، وشاهد أحفاده أساتذة وعلماء ، وأدرك أبناء أحفاده مشرعين ، وهم جميعاً يدينون له بالأستاذية ، ويتحدثون بفضله ، ويثنون على علمه وخلقه .

وهذه درجة علمية لها طابعها المتفرد الذي لا يشاركه طابع وميزة يندر أن تتحقق إلا لقليل من الأفاضل .

وكان من نعم الله عليه أنه كان جليلاً في كل مكان عمل به ، فهو في مجمع البحوث الإسلامية ينبوع دفاق ، وفي موسوعة الفقه الإسلامي سحاب غيداق ، وفي مدرسة القضاء الشرعي وكليات الحقوق والشريعة علم خفاق ، وفي مجمع اللغة العربية عالم مرموق ، وفي تطاير التشريع الإسلامي وتيسيره رائد سباق :

كان المغفور له الشيخ على الخفيف حلو المجلس ، عذب العشرة ، لطيف الحديث ، رقيق الصوت يحرص على الاستماع أكثر مما يحرص على المقال ، ويصغي إلى الآراء المتشابهة في لحظة وإدراك ، ثم يتخير أصوبها ويدلل على صحته .

يرحمه الله رحمة واسعة ، جزاء له على ما قدم للإسلام وللمسلمين :

احمد الحوفي

عضو المجمع

●● كلمة الأسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبادتي الأجلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبدأ فأشكركم ، على ما أتختم لي من فرصة لأشارك في هذه المناسبة من التكريم الوفي النبيل ، لفقيدنا ، فقيد الإسلام ، والدنا الشيخ على الحنيف رحمه الله وجعل الجنة مشواه .

وأعود فأقول ، إني لأجد نفسي في موقف بالغ الحرج ، فأنا إذ أقف أمام هذه الصفوة المختارة ، من كل قمة في العلم والأدب والفضل ، أحس بضعف يكاد يعجزني عن الكلام . هذه واحدة : وأنا إذ أحاول أن أتحدث عن مناقب الشيخ يرحمه الله ، وأنا بضعة منه ، أراني كمن يمدح نفسه ، ولست أحب أن أضع نفسي هذا الموضع : وهذه أخرى .

غير أنني لأجد بنفسي ، حاجة للحديث عن مناقب الشيخ ، وكلكم كان على صلة به مشاركا له ، متفاعلا معه ، بحيث يغلب على ظني ، أنكم كنتم أعرف به مني ، في كثير من جوانب الفكر والعقيدة والحياة . فليست أنخال أحدا منكم ، لم يكن يعلم كيف كان رحمه الله - إلى آخر عمره - مكبا على العلم منتفعا به نافعا به الناس ، وكم كان إيمانه بالحق عميقا ، وإيمانه بالخلق القويم عميقا

وكم كان اقتناعه بأن الدين منهج للحياة جميعا ، وكم كان يجتهد في موازنة ذلك كله ، مع مقتضيات التقدم وسنة التطور . ولعل من أبرز ما كنت ألاحظ فيه أنه كان حريصا كل الحرص على أن يبعد عن الفكر خاصا وعمما أن بالدين جمودا عن مسايرة التطور ، أو قصورا عن استيعاب أنشطة العصر الحديث هذا مع التزام لا يحد قيد أنملة عن مبادئ الشريعة والفقه الحنيف .

وما أشد وأضنى ما يتعرض له كل من يسعى إلى تلك الغاية ، وهو يحمل بين إحدى يديه ، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفي يده الأخرى منار العقل والاجتهاد يهتد به حجب التزمت والانغلاق والجمود .

أعلم أنني بعيد عن أن أعتبر حجة في هذا المجال ، إلا أنه رحمه الله ، كان كثيرا ما يطلعتني على منهجي البحث والتثبت ، ما يجعلني أشهد الله ، على أنه كان يرعى الله حق رعايته ، في دراساته وأحكامه وفتاواه :

سآدتي الأفاضل :

أراني قد استطردت إلى ما لم أكن أحب أن أستطرد إليه ، فأعود أقول إنكم بآدى الرأى أعلم بهذا الذى قلت ، وغيره الكثير ، وليس منكم إلا من له فيه سهم أو نصيب

بيد أن من جوانب حياة الشيخ ، جانب لى فيه قدح لأنازع فيه ، أعنى جانب حياته فى بيته ، وعلاقته بأسرته وبنيه ، وأرجو أن يتسع صدركم ووقتكم لكلمتين فى هذا المجال :

كنا ندعوه فيما بيننا وفى غيبته وحضوره ، بالشيخ ، هكنا مجرداً ، وقد حدثنى جدنى عليها رحمة الله ، أنهم كانوا يدعونه بالشيخ حتى وهو مازال حدثاً يحفظ القرآن .

وكانت بالشيخ كراهة جذرية متأصلة للكذب ، كأما خلقه الله كذلك ، بينه وبين الكذب عدا . وكانت تواكب هذه الخلقة فيه وتتكامل معها ، خلة الحياد ، فكان لا ينحاز إلى جانب دون جانب إلا ودليله الحق ، كان كذلك حتى على نفسه وأقرب مقربيه ، وكان منطقياً واضحاً سهلاً ميسراً ، دون تزمت ولا تعقيد ، أضف إلى ذلك شخصية نافذة محبة فى غير تنفير تكتمل لك صورة لجوهره عليه رحمة الله ، لذلك كان إذا بدأ فى محيط الأسرة خلاف ، كان منتهى أمره أن يرفع إليه ، فقد كان الخلاف يذوب فى حضرته حتى قبل أن يقضى فيه قضاء .

وكان فى تنشأته لنا ، ينحو منحى جذبنا إلى قدرته ، مبتعداً أكثر الوقت عن الأمر والنهى والترهيب ، أذكر وأنا طفل فى أول مراحل التعليم ، أنه كان يدفع إلى بالمصحف لاتباعه وأراجعه وأصوبه وهو يقرأ القرآن وكان ذلك يشبع فى نفسى زهواً ، مما جعل آصرة من الحب تنعقد بينى وبين كتاب الله ،

نعمة مازال الله يسبغها على حتى الآن ، وأرجو أن يكون ذلك حتى آخر العمر إن شاء الله :

كان إذا قام إلى صلاة الصبح ونحن نيام رفع صوته بالقراءة ، حتى نحس أن ما فعله واجب لا تحسن معه المداراة ، حتى تعودنا أن نصحو فنشاركه الصلاة :

هذا مثل أو مثلاً أردت بهما أن أوضح جانباً من شخصيته ، غير أنى أمتنع نفسى من أن أستفيض ، لأنى أشعر أنى تطفلت على وقتكم فأخذت منه الكثير ، وأخشى كذلك أن أتهم بالتشيع لأب تشبعت به نفسى إعجاباً وتقديراً ، ولكنى أصدقكم القول ، أنه إذا لم يكن والدى ، لما كان حبي له وإشادتي بفضله أقل من ذلك فى كثير أو قليل ، ولعل تلاميذه وعارفى فضله يزكون ما أقول ، ويحسون بمثل ما أحس به من حب وإعزاز وتبجيل .

سادتى الأفاضل :

يبقى أن أشكركم بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن الأسرة ، شكراً خالصاً لكم ولكل من وفى الشيخ حقه من الذكر الحسن والتقييم الجميل .

لكم سادتى الأفاضل ، ولأبناء هذه الأمة الوفية ، أتقدم بشكر وامتنان لا ينهضان بما طوقنا به الجميع من عزاء وتكريم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . وما بدلوا تبديلاً » . صدق الله العظيم :

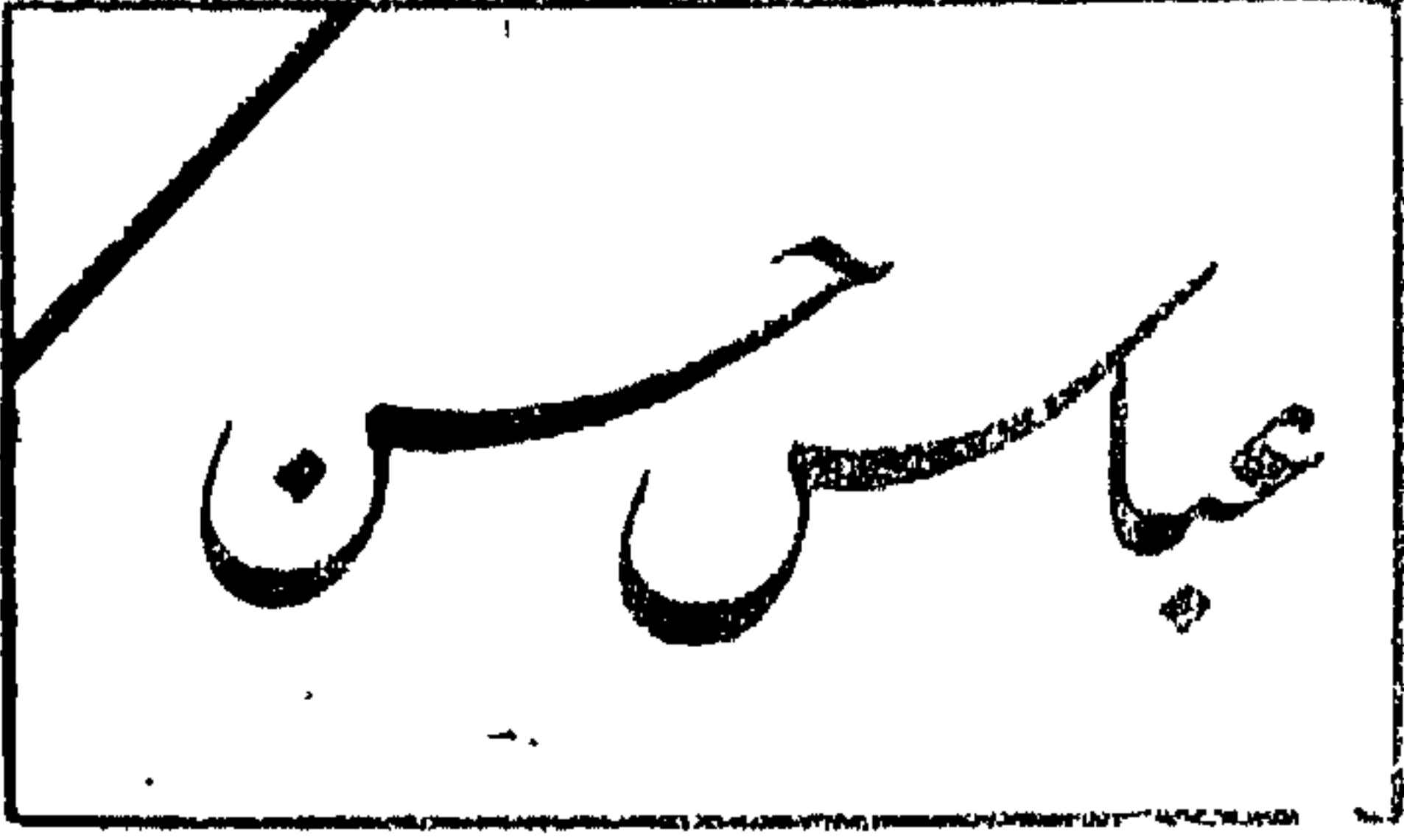
● كلمة الختام للدكتور ابراهيم مذكور رئيس المجمع

باسم أعضاء المجمع وباسمى نشكر للسادة
الحاضرين مشاركتهم لنا هذه الجلسة فلم يكن
الفقيد فقيد المجمع فحسب، ولكنه كان فقيد العلم
أيا كان موقعه، ولأسرة الفقيد خالص عزائنا
وشكراً لكم جميعاً ،
ودفعت الجلسة •



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٩ من جمادى
الآخرة ١٣٩٩ هـ (الموافق ١٦ من مايو ١٩٧٩ م) أقام المجمع
حفلاً تأبين المرحوم الأستاذ عباس حسن عضو المجمع .
وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع



في تأبين المرحوم الأستاذ :

سيداتي ، سادتي :
نلتقي اليوم لنودع شيخاً من شيوخ هذه
الدار ، اختطف منا على عجل ، ورحل عنا
على غرة فحرمنا من صوت جهير قل أن تمر
جلسة دون أن نسمعه ، ولقد كان عباس
حسن رحمه الله وفياً كل الوفاء لمجمعه ،
لم يتخلف عن جلسة من جلساته ، ولا عن
لجنة هو عضو فيها ، إلا لضرورة قاهرة ،
وبلغ به الوفاء أنه كان يحضر أحياناً متوهماً
عملاً فلا يجده . ولا أشك في أن المجمع كان أيضاً
شغله الشاغل في داره وخلوته ، يراجع
المحاضر والتقارير ، ويعد للجلسات المقبلة في
المجلس واللجان . يحقق موضوعات أثرت ،
ويمحص أفكاراً عرضت ، ولا يتردد في أن

يستأنف الحديث فيما أثير من قبل ، ولا في
أن يطلب إعادة النظر فيما سبق أن بت فيه .
وما ذاك إلا لأنه كان وفياً للغته الوفاء كله ،
نصب نفسه حارساً لها وحامياً من حمايتها ،
وما أشقى الحراس ، وما أقسى مهمة الحماية ؛
يعارضون ويعترضون ، يناقضون ، ويصححون ،
وكلنا نذكر ما كان لفقيدنا من أخذ ورد مع
زملائه . اضطلع بواجب حماية اللغة في حزم
وعزم ، بل في عنف أحياناً ، وتسليح لذلك
بكل ما توفر له من علم ومعرفة :

فوقف بالمرصاد لكل شاردة وواردة ،
يصحح ما يصحح ، ويرفض ما يرفض ،
ويطالب بالأصل والسند ، وكانت أسانيده

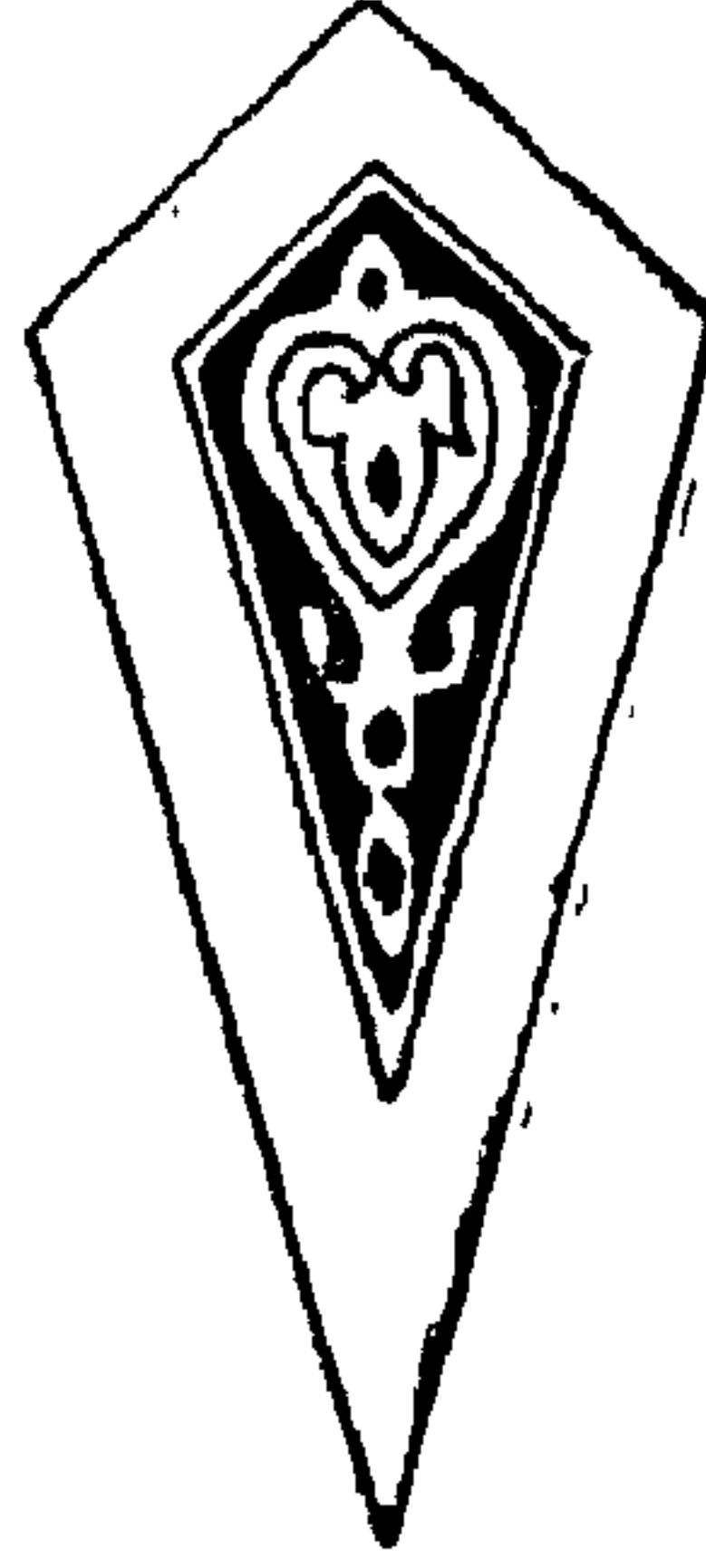
للسماع ومع هذا سلّم بكثير من أوجه التجديد والإصلاح .

وكيفما كانت معارضته ، فإنه أدى مهمة الحارس الأمين خير أداء ، وما كان يتردد في أن يدق ناقوسه إن رأى خطراً أو توهمه .
تغمده الله برحمته ، وجزاه خير الجزاء عما قدم للغته وأمته .

حاضرة دائماً ، ومراجعته مرقمة غالباً ، يعنى بالمبدأ والقاعدة ولا يبيح الخروج عليهما .

ولا غرابة ، فقد كان نحويّاً ، ونحويّاً إماماً مستظهِراً للقواعد النحوية استظهاراً تاماً ، وربما طغى نحوه على ثقافته كلها .

يستمسك بالقياس ، ولا يفسح المجال



● كلمة الأستاذ على النجدي ناصف

بسم الله الرحمن الرحيم

في جانب ، وأطوى صفحة من العمر في
جانب آخر ، وهل المرء في حياته ، وتقاب
الأحوال به - إلا كتاب مطوى من تجاربه
الواعية ، وذكرياته الباقية ، ومشاعره
النابضة ؟ تتنزل عليه وحياً ، أو تسرى إليه
انسياباً ، يتلقاها مدداً متصلاً من عبر الأيام
وصلة الأرحام وصحبة الأصدقاء والقرناء
تتلاقى في وجدانه ، وتتشارك في صنعه
وتلوين شخصيته .

ومن الخير له ، أن ترفق الأقدار به
فلا تملى له ليحيا بعد خلصانه ، يودعهم ،
ويشهد رحيلهم عنه ، راحلاً في إثر راحل
فيسلمه التعس وسوء المآل ، إلى أثقال من
الهدوم والآلام ، تحل به ، وماتزال تعركه
وتعتصر رسيس الحياة فيه ، ثم تتركه خلقاً
مضعفياً ، وكياناً خاوياً ، لا يستطيع للحياة
طعماً ، ولا يستشعر فيها أنساً . والناس من
حوله : ما بين راث له ، ومشفق عليه
ومترخص فيه .

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات .
الآن أصير إلى حياة الفقيد - أحسن الله إليه -

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :
كانت لي بفقيدنا العزيز ، الأستاذ عباس
حسن - صحبة فاضلة ، مكن الله لها ونساً في
عمرها حتى أوفت على الأربعين ، لكنها على
تمكنها ، وطول أمدتها - لم تلبث أن طارت
شعاعاً حين نعاها الناعي إلى ، فكان مثلي ومثله
- كما كان متمم بن نويرة وأخوه مالك إذ
يقول في رثائه :

وكنا كند ماني جذيمة حقة
من الدهر حتى قيل : لن يتصدعا
فلما تفرقنا كآنى ومالك
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
نعم ، طارت صحبتنا شعاعاً ، ولا سبيل
إلى ردها ، أو وصل أسبابها .

وأنى لها أن ترد ، ولأسبابها أن توصل ،
وقد طفئت الشعلة ، ونضب المعين ؟ والله
الأمر من قبل ومن بعد ، وإنا لله وإنا
إليه راجعون .

وإني إذ أقف الآن لأؤبته ، وأتحدث عنه
- إنما أقف لأنشر صفحة من الذكرى

أتحدث عنها من مستهلها ، وأمضى معه فيها
مرحلة بعد مرحلة ، إلى أن لقي ربه في جنات
النعيم .

كان موالد الفقيه — أفاض الله عليه من رضوانه
عام ألف وتسعمائة ، في مدينة منوف ، وكان
والده — يرحمه الله — يمارس أعمال التجارة
فيها ، ثم بدله أن يرحل إلى القاهرة ويتخذ
منها مجالا لنشاطه التجارى . وكان الفقيه
يومئذ لا يزال طفلا ، فحمل إلى قرية سروهيت
من أعمال مركز منوف ، وهى منشأ أسرته
ومقرها الأول . فكفله خاله ، ونشأه في
كنفه وعلى عينه ، وكان — رحمه الله —
من علماء الأزهر الشريف .

ولما أن قوى عوده ، وبدت مخايله ، بعث
به خاله إلى كتاب القرية ، يتعلم فيه مبادئ
القراءة والكتابة ، ويحفظ القرآن الكريم
حتى إذا بلغ من ذلك أربه ذهب به خاله
إلى الأزهر ، فدرس فيه مقررات من
علوم الدين واللغة .

وكانت دار العلوم فى ذلك العصر منية
جمهور الطلاب فى الأزهر ، يستبقون إليها
فى امتحان يؤهل النجاح فيه للقبول بها ، بعد
أن تختار المدرسة حاجتها من جموع الناجحين
فطمح الفقيه إليها مع الطامحين ، ولعله كان
يقتدى فى ذلك أيضا بابن خاله : المرحوم
الأستاذ أحمد على عباس ، من قدامى خريجي

دار العلوم ، ومن كبار مفتشى وزارة
المعارف .

وهكذا تهيأت للفقيه إبان نشأته بيئة علمية
متخصصة ، يندر أن يتهيأ مثلها لناشئ فى
الريف إذ ذاك . ولمثل هذه البيئة ماله من
الأثر الحميد فى تنبيه الذهن ، وتوجيه النظر
إلى الأمور ، وإلى طريقة التمييز بينها وصحة
الحكم عليها .

وظفر الفقيه بأهنيته ، فلهق بدار العلوم
وكان فى رحلة الدراسة فيها من طلابها
المتفوقين فجعل يتنقل فى صفوفها تباعاً ، صفّاً
بعد صف . وحبب إليه أن يتضلع من متن
اللغة ، فأقبل على مختار الصحاح ، يعنى
نفسه بحفظه . وأعتقد أنه لم يرجع فى هذا إلى
ابن خاله ، ولأنه كان يصدر فيه عن نصيح
منه . وما أحسب إلا أنه لو علم لدله على الأدب
فى لبابه المأثور ، من المنشور والمنظوم ، ينهل
منه ما يشاء حتى يتضاع ربا . فما كان لمثله أن
يغيب عنه أن اللغة فى الأدب حية عاملة ، وهى
فى المعاجم ذخىر مدخر ، يرجع إليه كلما
عرضت حاجة إلى التثبت أو الإهتمام إلى
الوجه السديد .

وراودته نفسه أن يقرض الشعر ، فراح
يعالج نظمه ، وكنت أود لو وقفت على نموذج
منه لأقول فيه كما أقول فى آثاره الأخرى من
اللغة والأدب . ومبلغ ظنى أن ملكة الشعر
عنده لم تكن أصيلة ولا راسخة ، ولأمر ما لم
تلازمه ، ولأمالته إلى الأدب ، ولا أمسكت

للشعر منه بنصيب مأثور وليس الفقيد في هذا وحيداً ، فإِ هو إِلا طائف عارض من خارج النفس يوشك أن يكون دولة بين الطلاب جميعاً ، ولا سيما طلاب الآداب ، يلم بهم إبان الفتوة إِذ العاطفة غالبية ، والحيوية دافقة ، والحياة في تصورهم آماني وأحلام ، وأشواق .

ولاحت له فرصة البعثة إِلى إنجلترا ، فتقدم إِلى الامتحان الذى يؤهل لها ، مع المتقدمين وكان فى اللغة الإنجليزية ، لكن الامتحان جاء فوق ما يعرفه منها فأفلتت البعثة منه .

وبدأ حياته فى التعليم مدرساً بمدرسة الناصرية الابتدائية ثم فى بعض المدارس الثانوية فى القاهرة . ثم عرضت لدار العلوم حاجة إِلى مدرسين اثنين ، فكان الفقيد أحدهما للنحو وكان الآخر هو المرحوم الأستاذ على الجندى للبلاغة . وكنت سبقته إِلى دار العلوم مدرساً كما سبقته إِليها من قبل طالباً ومتخرجاً . وفى دار العلوم تعارفنا واصطحبنا ، وجاء الفقيد إلينا أول ما جاء ، فزادت جماعتنا به عضواً لكنه كان عضواً من طراز متميز . كان فيه شغف بالبحث ، ونزوع إِلى التحدى والحوار فيه . فلما أن استقر به المقام بيننا ، وذهب عنه دهش القدوم علينا ، ونشأت له صحبة فينا جعل يطرح علينا من حين إِلى حين مسألة من النحو أو اللغة ، يقول : إن له فيها رأياً غير المعروف ، أو مأخذاً يحمله منها فى ريب ، فيبدأ الحوار هادئاً رقيقاً ، لكن الفقيد لا يزال

ينفخ فيه ، ويدكى من جذوته بما عنده من التحدى والمناجزة ، حتى تعلو الأصوات وتصطرع البيانات وفاقا وخلافاً ، اشتباكاً وافتراقاً ، يعززها تلويح الأيدى وانفعال الملاحح .

وربما دفع به الإصرار إِلى الموقف الصعب تنوشه فيه الحجج ، وتلاحقه المآخذ فى كل مذهب ، لكنه يتلبث فى موقفه ، وما يزال يحاول ويطاول ، ولا يعدم أن تعرض م فكرة سائجة فيسرع إِليها ، أو يلوح له وجه من بعيد فينطلق إليه . وبينما الجمع فى غمرتهم ساهون ، لا يلقون بالا لغير ما هم فيه من شأن إِذا جرس المحاضرات يدعو إِلى المدرجات فينفض الجمع ولا يزال للحوار بقية ، ولكن لا يؤقت لها ميعاد معلوم . وإِذا كان الغد ، أو يوم آخر يتلوه - وقد تهيأت فيه جلسة جامعة - أعاد عرض المسألة ، ودعا إِلى القول فيها ، بعدهما يكون أعد لها ، وأوسعها بحثاً وتمحيصاً فتعود الملحمة جذعة ، فيها قوة ، وحماسة وانفعال .

ولم يمض وقت طويل ، حتى ألفنا هذا الأسلوب من البحث ، ورضينا عنه ، بل ربما افتقدناه على نحو ما إِذا طال ارتقابنا له . وشاء الله ألا يذهب الوقت الذى نقضيه فيه اغوا ولا الجهد الذى نبذاه له هباءً ، فربما نبه من غفلة ، أو أوضح من إبهام ، أو قوم من رأى أو عدل من فهم ، ثم علت بى السن - وآن لى

أن أنخذ إلى التقاعد ، فتركت الباقي من
الجمع ، ولحقت بالسابقين من المتقاعدين :
ومن هنا كان فراقى للفقيد ، لكنه فراق
العودة المرجاة ، وليس كالיום فراق الأبد
الذى لا لقاء بعده إلى يوم الدين : ولم يلبث بعد
إلا قليلا ، ثم أنخذ هو أيضاً إلى التقاعد ولكل
بداية نهاية ، وسبحان من تفرد وحده بالبقاء :
ثم قدر له أن يسبقنى إلى شرف العضوية
فى الجمع الموقر : وما هى إلا أعوام قليلة
حتى حظيت بمثل ما حظى به من شرف :
فرجعنا إلى ما كنا فيه ، عودا على بدء :
وقد رأيت هنا كما عهدته هناك ، ينشط للحوار
ولا يضيق به وإن طال ، إلا قليلا من تودة
الشيخوخة وفتور الحماسة رأيت ينتحى مكانا
قصيا فى الجانب الغربى من هذه القاعة ، كأنه
الديدبان اليقظان فى مرقبته ، لا تأخذه غفلة
أو ممسه فتور . أو كأنه الصير فى الحاذق ، يرد
الزئوف ، ويقبل الحياد :

فما من مصطلح يعرض فى المجلس إلا تلقاه
بالنقد والتمحيص لفظاً وأسلوباً ، فإن كان
صالحا سكنت عنه ، ولم يعترض سبيله ، وإن
بدا له فيه مأخذ أسسك به ، وجهر برأيه فيه
فإذا موافقة عليه وإقرار له كما يراه ، ولما
حوار ومحااجة تطول أو تقصر حتى ينجلي
الرأى ، لا حجاب دونه ولا خلاف عليه
ولا وجه لثمادى الحوار فيه . وربما رأى رأيا
فى جلسة من جلسات اللجان ، ثم بدا له بدء
فيه حين يعرض أمره على المجلس أو المؤتمر
فلا يتحرج أن يجهر بمسا جده له فيه ،
أداء للأمانة ، وإبراء للذمة .

وما أكثر ما كان يذكر اسمه فى المجلس
مدعوا إلى القول ، أو يسمع صوته قائلا
يعترض ، أو معقبا ينقد ويحتج . وما أعرف
من السادة المجتهدين الذين شرفت بزمايتهم من
كان أكثر منه حديثا فى المجلس ، ولا أكثر
منه ذكرا فى محاضر جلساته :

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :
لقد كان الفقيد فى صحبته رجل صدق
يركن إليه ، ويوثق به كان لا يضمن على
الصديق بعون ، ولا يقتصد فيما له عليه من
حق ، ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فى زمان
يرى فيه من لا يعرف الصديق إلا وهو ناعم
بالا من الأمن والسلامة ، أما إذا نبأ به
دهر ، أو عثر حظ ، فلا يرى منقصة أن
يتخلى عنه ، بل أن يتنكر له :

حدثنى صديق من اصطفاهم الله لحواره
أنه احتاج يوما إلى فضل من مال ينجز به عملا
فيه له خير وسعة ، وأنه أفضى بحاجته هذه
إلى الفقيد رحمه الله ، فما اعتذر ولا تردد
واسكن بادر فأعطى شهما كريما ، ويقول
الصديق : إنه علم بعد أن ما أعطاه الفقيد لم
يكن فضلا مكنوزا ، بل رصدا أعده لمطالب
ذى بال لم يكن قد حان موعده إذ ذاك ، وهو
منه غير بعيد :

وكان وفيا لعمله ، يعرف حقه كما يعرف
حق الصديق ، على سواء : وأشهد ما رأيت
غاب يوما أو تأخر عن ميعة محاضرة فى دار

العلوم ، أو عن جلسة في المجمع ، إلا أن يعرض له عائق قاهر ، لا قدرة له عليه . وكان أسلس ما يكون قيادا ، وألين ما يكون جانبا لمن يحاسنه ، ويبادله وداء بود ، وإذا آنس من صاحب جفوة ، أو رأى منه إعراضاً لم يتردد أن يجزيه بفعله ، ويكيل له بكيـله ، مهما كان مكانه بين أصحاب الشأن والمنزلة ، وكان لا يسكت عن مطلب تعلق به إرادته ، ولكن بعد أن يُعِدَّ له كفاءه من الوسائل والأسباب ، ولم يكن يقر له قرار على اهتضام حق ثبت له ، وآمن به ، كان لا يكف عن الجهاد فيه ، والدأب عليه حتى يظفر به ، وكان من أعف الناس لسانا ، وأبعدهم عن قول الزور . ما سمعته يوما يغتاب أحدا ، أو يقول مندية . وكان أكثر ما يذكر به من يؤثره من أصحابه أنه يصون لسانه عن الغيبة ، والوقوع في أعراض الناس .

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات : لقد ترك لنا الفقيد فيما ترك من آثاره العلمية ثلاثة كتب أذكرها ، وأثنى عليه بها وهي : « كتاب النحو الوافي » ، وكتاب اللغة والنحويين القديم والحديث وكتاب المتنبي وشوقي . ولكتاب النحو الوافي قصة ، أستجيز أن أقص موجزاً لها لوثاقه صلتهما به : كنت قد تمهيت في مقدمة كتابي عن سيبويه أن ينهض بعض نحائنا ، لينظروا في النحو ، ويؤلفوا كتابا فيه يكون هو كتاب العصر . وصح

منى العزم على العمل لهذه الأمنية ، فدعوت بعض الأصدقاء إلى جلسة درسنا فيها الأمر ، ووضعنا منهجه ، وتوزعنا أبواباً من النحو بيننا ، ندرسها ونحررها ، ثم نلتقي لنرى الرأى فيها ، ولكن لم يقدر لهذه المحاولة أن تتم ، ولأن نمنع فيها بعيدا . وكأن الله تعالى كان راضيا عن هذه الأمنية ، فأمسكها أن تذهب ضياعا ، ووكل بها فقيدنا العالم الخليل ليحققها وحده ، شمله سبحانه - يعون منه وتوفيق ، فكان « كتاب النحو الوافي » وهو كتاب في أربعة أجزاء كبار ، بجمع فيه الفقيد بين النحو والصرف ، وجعل الدراسة فيه نوعين : أحدهما موجز أعده لطلاب التخصص في العربية ، وجعل مكانه في أعلى صفحات الكتاب . والنوع الآخر مسهب ، أعده لمن يريد المزيد ، واختص به بقايا الصفحات . ويكثر أن يتطلب المقام تعليقات على هذا النوع ، فتذهب مواطنها بذيول من الصفحات .

ويدور البحث في الكتاب على ألفية الإمام محمد بن مالك ، ويعتمد في الشرح على أمثلة محدثة . وقاما يستشهد بشواهد النحو من الشعر ، لأنها - فيما يقول - مليئة بالألفاظ اللغوية الصعبة ، وبالمعاني البعيدة . وشواهد النحو هي مصدر أحكامه وحجج النحاة فيما يقررون منها . وإذا صح أن يحول ما في بعضها من صعوبة المفردات وبعد المعاني دون ذكرها في نحو الطلاب ، فما

بالحالم تقبوء أما حكنها في نحو العلماء وليس عدلا
أن يؤخذ الكثير الخالص المبرأ بعيب القليل
المشوب .

ومهما تتعدد الآراء في الكتاب ، ومهما
تختلف الأحكام عليه ، فالذى لا ينبغي أن
يكون فيه خسلاف ولا مرأ ، أنه قصارى
ما يمكن أن ينهض بمثاله عالم واحد في علم
كائنا ما كان ، فكيف بالنحو ، وهو من
يعرف الناس ، دقة مسالك ، وصعوبة مرتقى
وجهامة بحث ، وغموض أساليب ، وكثرة
فروع ، واستفاضة خلاف . ومتى اجتمع
الناس على رأى في عمل فرد بل في عمل جماعة .
فما يذكرونه إلا بالحمد ، ولا يصفونه
إلا بالكمال ؟

أما كتابه اللغة والنحو بين القديم والحديث
فمجلد واحد ، يدور القول فيه على نوعين
من الدرس والبحث . أما الأول فعن بعض
أصول النحو وقضاياها ، كالقياس والعلة ،
والعامل . وهى موضوعات سبق إليها القدماء ،
فقالوا فيها وعرضوها ، كل على طريقته .
ولا يزال القول يتردد فيها إلى الآن في بعض
الرسائل الجامعية :

وأما النوع الثانى فيدور القول فيه على
قضايا لغوية وأدبية شغلت الناس وقتاً ما
ولا تزال ثمة بقية من الاشتغال بها الآن ،
منها الدعوة إلى العامية ، والدعوة إلى الحروف
اللاتينية ، والدعوة إلى الشعر الحر والفقيد
في موقفه من هذه القضايا عربى غيور ،
يحامى عن العربية ، في خصائصها الماثورة ،

وسمى العريق قولاً وزناً ، ونثراً وشعراً ،
لا يتهاون أو يترخص ، ولا يجامل أو يترفق :

وأما الكتاب الثالث فموضوعه المتنبي
وشوق . وإذ يجمع الفقيد بين هذين الشاعرين
في كتابه ذاك ، فإنما يجمع بين ندين عظيمين ،
تجمع بينهما مشابهة شتى فكل يعد بحق من معالم
الشعر العربى في تاريخه الطويل ، وكلاهما
قد أدخل شعراء عصره ، حتى ما يكاد يسمع
إلا صوته ، ولا ينشد إلا شعره ، وكلاهما
جدير بما قال ابن رشيق عن المتنبي : « ثم جاء
المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس ، وكلاهما
قد بعث نهضة من الدراسة والنقد ، بما ألف
عنه من كتب ، ودارت حوله من دراسات
وبحوث . وكلاهما جنت عليه عبقريته
فشنت عليه حرب لا هوادة فيها من الزراية
والانتفاض أوقد نارها زمر من المقصرين
والمتعجلين ، ومن الحاقدين الشائنين :

تلك مشابهة تجمع بين الشاعرين ، وما هما
ببدع فيها ، فما من شاعر ولا خلق من خلق
الله إلا له مشابهة في آحاد من نوعه ، قليلة
أو كثيرة . ويبقى بعد هذا أن بين الشاعرين
فوارق كبيرة ، تباعد بينهما أى مبادئ :
فأين المتنبي من شوق في نشأته وبينته ،
وفي العصر الذى أظله ، والاجتماع الذى
يعايشه ، وتضطرب به الحياة فيه ؟ إنها فوارق
لها في شعر كل منهما ، وفي شخصيته الفنية
والذاتية عمل غير مردود .

ومن العسير أن يبرأ الحديث عنهما من
الهوى ، وأن تسلم المزية هنا أو هناك من

الغمط حين المفاضلة والترحيل ، ما لم يثم لهذه الملابس وزنها ، وما لم تنل حقها كاملا من الملاحظة والتقدير : وليس يسعني الآن إلا أن أسأل : ما للمتنبئ يحمل من العيوب ما حمل ، ويستحق بها أن ينزل عن مرتبة شوقي ؟ وما لشوقي يبرأ من العيوب أو يكاد ، حتى يعد شعره عالما متكاملا ، يمكن أن يعيش الناس معه ، ويغنوا به عن كل شعر سواه ؟ ويتضمن الكتاب ترجمة موجزة لكل من الشعراء ، ودراسة نماذج من شعره في فنونه المختلفة ، وفي ألفاظه ومعانيه ، ثم دراسة لأخلاقه ومنازع نفسه كما تتمثل في شعره : وسيظل أعلام التاريخ موضوع دراسة ، ومدار موازنة ونقد ، ومثار اتفاق واختلاف ، وربما بلغت الآراء في الخلاف فيهم مبلغ النقيض من النقيض ، وسبحان من فرق بين خلقه في الخصائص والسمات ، وباعد بينهم في مذاهب التفكير وارتياح الآراء :

هذا هو الأستاذ عباس حسن ، كما عرفته في صحبته ، وكما رأيته في كتبه ، وإنه — بما قضى في التعليم من عمره ، وما أنفق عليه من ذات نفسه ، وبما تركه فينا من كتب ، وما قدم للمجتمع من مشاركة وعطاء — إنه لتحقيق بهذا كله أن يعد من أعلام الثقافة المعاصرين ، أولئك الذين جاهدوا فيها بنصيب مشكور :

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :
اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل الناس في هذه الحياة أجيالا متعاقبة ، كلما مضى جيل خلفه جيل آخر ، وأن يكون كل جيل لخلفه مستقبلا ، ولسلفه مودعا . وإذا كان لنا أن نرسل النفس على سجيئتها فرحا بالقادمين فليس من الحكمة أن نتركها نهبا للحزن وفاء للسالفين :

فالإسراف في الحزن متلفة للنفس ، ومفسدة للعيش ، ومغضبة لله رب العالمين :
صحيح أن فراق الأعزة أليم ، وأن وقعه على النفس شديد ، ولكن الله تعالى لم يتركنا سدى ، تصنع بنا لوايع الحزن ما تشاء ، فزودنا سببانه بالصبر وأمرنا أن نستعين به ، فلنرض أنفسنا عليه ، وهدانا للإيمان فلنعتصم به : ومع الصبر والإيمان يقوى العزم ، ويتبين الرشيد من الغي ، فلننازع الحزن قيادنا ، ولنقبل على الله ربنا نسأله ، إنه هو البر الرحيم أن يتقبل الفقيد بأحسن القبول ، وأن يثيبه بما عمل ثواب العاملين المخلصين ، وينزله منازل الأبرار الصالحين :

على النجدي ناصف
عضو المجمع

● قصيدة في رثاء الفقيد (*)

للدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش

في رثاء الأستاذ النحوى « عباس حسن »

عضو المجمع اللغوى وشيخ نحاة وصاحب « النحو الوافى » رحمة الله عليه

رأيت الناس تسرف في المقال وتخطى عادة وتصيب عفووا
ولولا ثلثة الأخيار فينسا لسان العرب منشؤه فصيح
فأصبح نطقه في كل قطر فليت العرب تجمع ذات يوم
نعلم نسلنا نطقا فصيحاً لينشأ بيننا جيل بخديد
يعز على أن أرثى زميلاً فقيده النحو كان بلا مرء
تمسك بالقديم بألف بيت سألت النحو هل « عباس » وفي
قضى أيامه درساً وبحشاً تصدى للكثير من القضايا
يقول لخطيء أخطأت جهراً كأن النحو تنزىل ليمدى
تركت حياتنا والكل فان فلا ترهب حساباً يوم بعث
وما قيم الرجال تقاس إلا فويل للمسيء بسوء قصد
وبندر أن تزيد من الفعـال وتدخل في ضلال من ضلال
لكان مصيرنا سوء المال وحرفه الدخيل على التوالى
غريباً في البيان والارتجال على نحو الأوائل في المقال
ونسمة الصواب مع المثال توحد باللسان وبالحدال
تفانى في الدفاع عن الكمال فقيده العرب في نحو الخوالى
وقاد الفكر في هذا الحال قواعد ؟ فقال : بلا جدال
يصوب كل أخطاء المقال وأفنى بالخصوب على السؤال
وينطق بالخصوب ولا يبلى من النطق الحرام إلى الحلال
ويبقى وجه ربك ذو الحلال فنحوك عن يمين لا شمال
بأعمال الرجال أو الخصال وطوبى للخيار من الرجال

●● كلمة الأسرة للاستاذ أنور أحمد

السيد الدكتور رئيس المجمع :

السادة الأجلاء أعضاء المجمع :

سيداتي وسادتي :

كل يوم نمنى بفقيد حميم ، وناتى
التبريح فى فقدانه ؛ إنما الموت والحياة رفيقا
سفر. فى القرون يعتسفانه ، ما انهلال الحياة
فى الحى إلا عنصر الموت قرى شريانه راصداً
لا يدب قبل أوانه . . لا ولا بعد لحظة
من أوانه .

أيها السادة

عزيز على أن أقف بينكم شاكرآ باسم
الأسرة فى حفل يقام لتأبين الرجل الذى
كان لى أخاً وصديقاً وأستاذاً صاحبه
على الدرب الطويل منذ صباى ، وفى
الغائلات البله من سنواتى ، فغمرنى
بحبه وعطفه وإرشاده ، وتوسم فى شغفنا
مبكراً للأدب والكتابة ، فأخذ بيدي ، وقوم
لسانى وقلدى ، ومازلت أحتفظ بين
أوراقى بالرسائل التى كنا نتبادلها عندما
كان يذهب فى مطلع حياته العملية ، وهو
مدرس للغة العربية ليقضى بعض شهور الصيف
فى رأس البر ، فكان يسجل فى رسائله
الأخطاء اللغوية والنحوية فى رسائلى ،
ويعزبنى بقوله إنها أخطاء شائعة يقع فيها
حتى كبار الكتاب . . ! ووعيت

الدرس على يديه ، فأدركت أن اللغة العربية
على جمالها بحر شائع عميق ، الدرثكامن فى
أحشائه ، لا يملك ناصيتها إلا الغواص
الماهر ، أو لعلها جزيرة « نائية » فى
أقصى الأفق ، يجب أن يخوض المريد
إليها بجرأ من الجهد والعرق .

ولقد خاض عباس حسن هذا البحر ،
وغاص فى أعماقه وأوغل ، حتى بلغ قراره
وعرف أسرارته ، وأصبح بعد ذلك موسوعة
حية لعلوم اللغة ، تجلو للناس غوامضها ،
وتدلل لهم صعبها ، وتيسر لهم تراث
السابقين ، وتلقى الضوء على طريق الدارسين
والباحثين ، وكأنه المعنى بقول شاعر
المجمع الكبير الراحل عزيز أباطه :

الكسائى ضم برداك والفراء وابن العلاء
والأصمعياء

هم أساتيدك العظام وقد كنت بأن تعتزى
إليهم حرياً

من يعزى فيك ابن منظور المصرى
والجوهرى والأزهري

أولياء الفصحى أضافوا إلى المنشور
منها تراثها المطويا

لم يملوا فى بحرها الطم غوصاً بكرة
عن كنوزها وعشياً

أودعوا درها معاجم قد صاحبها العمر
واصطفيتك نجيباً

فإذا أنت حجة الضاد تأوى منك حصنا
ضخماً وركنا قويماً

أيها السادة :

إن الناس يعرفون « عباس حسن » عالم
النحو الكبير ، ولكنهم لا يعلمون أنه كان
في صدر شبابه أديباً وشاعراً ، ولقد شهدته
في صباى ينظم القصيدة الطويلة في ساعات
قليلة ، ولكنه لم يلبث أن حول وجهه عن
الشعر والأدب ، وتحول بكل طاقته إلى
العلم ، كان العلم أحسن شيء لديه ، فوهبه
عقله وقلبه ونور عينيه ، وهكذا اختار
الطريق الصعب الذي يلائم طبعه الصارم
الجاد ، وأدار ظهره للشهرة السريعة ساخراً
من القيم التي يتهافت عليها الناس ، ليصبح
راهباً في محراب العلم . وقادة علمه الراسخ
إلى مجمعكم الشامخ ، وأشهد أنه لم يسعد في
حياته بمنصب تولاه سعادته بمقعده في
هذا المجمع العتيق . كان يشعر أنه في
بيته وبيئته وبين عشيرته ، في الجو الذي
يحبه ، كالتأثر في الهواء ، والسمكة في
الماء ، والفارس المحلى في حلبة النزال
والجهاد . هنا يستطيع أن يسهم في خدمة لغة

الضاد بعد أن أصبح سادنا في محرابها ،
ومن ثم أخذ عمله في المجمع ولجانه مأخذ
الحد الصارم ، وكرس له وقته وجهده
شاعراً بأن له رسالة يؤديها حتى وافاه الأجل
المحترم ، وأنتم أيها السادة أعلم مني بجهده
في المجمع ، كما تحدث عنه مشكوراً السيد
رئيسه البليل ، والسيد الأستاذ على النجدي
ناصر في خطبتهما الكريمين .

أيها السادة :

إنني لا أقف بينكم اليوم لأرثي عباس
حسن أو أشارك في تأبينه ، ولكني
أقف باسم أسرته لأسكب في ذكراه دمة
وفاء ، ولكي أحمده الله إليكم ، وأشكر
لكم هذا الوفاء في زمن يعز فيه الوفاء .
والله تعالى أسأل أن يجنبكم كل سوء
وأن يعصمكم من كل مكروه ، وأن
يحفظكم ويوفقكم في إتمام الرسالة
التي وقف فقيدنا حياته عليها ، إنه تبارك
وتعالى أكرم مسئول ، وهو سبحانه المولى
ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

•• كلمة الختام للدكتور ابراهيم مذكور رئيس المجمع

يتغمد الفقيد بواسع رحمته ، وأن يوسع له
في جنته ، وشكرآلكم ، ورفعت الجلسة ،

سيداتي وسادتي
ياسم المجمع أشكر لكم جميعاً مشاركتكم
لنا تأبين فقيدنا وفقيد العلم ، وأسأل الله أن



عبد الكريم جرمانوس (كما عرفته) للاستاذ محمد شوقي أمين

ذلك ، وهى قوله : « جرمانوس عاشق الشرق والعروبة والإسلام » :

٢ - عرفت « الدكتور جرمانوس » في القاهرة سنة ١٩٣٥م وهو يومئذ في نحو الخمسين ، وأنا في نصف عمره . وعلمت أنه يومذاك أستاذ للتاريخ في جامعة « بودابست » ، وأنه تنقل في البلاد العربية والإسلامية ، وأعلن إسلامه في مسجد « نيودلهي » في الهند ، وكان قد سافر إليها معلماً ومحاضراً ، وفي أول يوم عرفته اتفقنا على أن نلتقي مدة إقامته كل مساء أربع ساعات ، ولم يكن الرجل بحاجة إلى من يعلمه العربية ، فقد وعى من ألفاظها وألم من أوضاعها بما يكفى مثله . ولكنه كان تواقاً أن يتعمق في فهم الجملة العربية وأنماط تعبيراتها وألوان مجازاتها ، إذ كان يتعاصى عليه بعض ذلك فيما يطالع من نصوص التراث العربى ، وكذلك كان تواقاً أن يكتسب سلامة النطق بالعربية حروفاً وكلمات . وتوالت زوراته بعد ذلك للقاهرة ، وتوالت صلاتي به ، وصحبتى له ، حتى زورته

كثيرون من الأدباء والمفكرين في الشرق العربى والإسلامى لا يستطيعون أن ينسوا ذلك العالم الأديب المستشرق المحجى الدكتور جوليوس جرمانوس ، أو الحاج عبد الكريم جرمانوس ، فالذين قرعوا له كاتبا بالعربية في الصحف والمجلات الثقافية ، أو الذين استمعوا إليه محاضراً في الأندية والجامعات والمحامع ، خلال نصف قرن ، يلمسون فيه باحثاً دعوباً من أهل الجدل ، يتسم بالنزاهة والإخلاص ، والذين اتصلوا به وعرفوه معرفة مجالسة أو معرفة مراسلة آنسوا فيه من صفاء الود وصدق الولاء ثمطاً رفيعاً يتحلى به إنسان طيب النفس مرح الروح حميد الخصال .

ولو أردنا أن نلخص شخصية الدكتور « جرمانوس » في جملة واحدة ، تلقى عليه ضوءاً كاشفاً ، لاستعرنا تلك الجملة التى جعلها رائد القصة العربية « محمود تيمور » عنواناً للفصل الممتع الذى دمج في وصف صديقه

الأخيرة منذ سنوات ، وهو يستقبل العقد العاشر من عمره المديد.

ومما عجبت له من شأن « جرمانوس » في صحبتي إياه للتدارس أننا كنا نجلس إلى المكتب متقابلين ، وتحت بصرى الكتاب أقرأ منه النص الذى يدرس ، وإذا هو قبالى يعيد قراءة النص في غير تلعم ولا توقف ، وعينه على الكتاب معكوساً ؛ ولما فطن إلى دهشتي ؛ قال لى إنه مرن نفسه على القراءة العكسية تمرين ضرورة لاعن هوى ، وذلك أنه كان فى بلده يدرس العربية لتلاميذه فى بعض الكتب ، وليس منها إلا نسخة واحدة ، فكان التدبير أن يوضع الكتاب تحت أبصار التلاميذ معكوساً أمامه ، وهم يتابعونه فيما يقرأ ، أو يتابعهم فيما يقرءون .

٣ - اتجهت دراسة « جرمانوس » العلمية للتاريخ التركى وما كان ذلك الاختيار عبثاً ، فإن الدولة العثمانية بسطت سلطانها على ضفاف « الدانوب » زمناً ليس بالقصير وكان للترك أثر فى حياة أهل الحجر الاجتماعية ؛ إذ نقلوا إليها أوضاعاً من مظاهر الحضارة الإسلامية ، بل إن بعض الرّحل من الحجر اتصلوا بالدولة الإسلامية منذ أقدم العصور ، وفى معجم « ياقوت » حديث قوم من « باشجرد » وصلوا إلى البلاد العربية فى غضون دولة بنى العباس . وما يزال ضريح « جول بابا » التركى فى قلب « بودابست » مهوى أفئدة المواطنين والسياح ،

ولعل ذلك كان الغراس أو المحراك الذى وجه « جرمانوس » إلى دراسة الحياة الشرقية والإسلامية بوجه عام ، فلقد كان عامر الوجدان بالروح الشرقى ، إذا تطلع إلى آثار الشرق فى العمارة والزى وغيرهما ، وإذا قرأ وصف الحياة فى العهود الشرقية الخالية ، تهيم نظراته ، ويسرح خياله ، كأنه يحلم أحلاماً بهيجة ، ثم يهيم قائلاً : هذا جو ألف ليلة وليلة .

حقاً كان « جرمانوس » مفتونا ببعض الأنظمة الشرقية ، ويرى فى تاريخها رقياً مبكراً للمجتمع الإنسانى ، وأذكر أنه كان يحدثنى فى بعض أوضاع الحياة ، فاستطرد يحدثنى فى شأن « النظافة » وتطور الاهتمام بها على الصعيد العالمى ، فجعل يشيد بالنظافة العربية ويقول إنها عريقة بفضل التشريع الإسلامى وأحكامه ، ويرى أن « النظافة حديثة السن فى أوربا » ، ويضرب للتدليل على ذلك أمثلة من تاريخ ملوك فرنسا وغيرهم من الشخصيات اللامعة فى غيرها ، فيما يتعلق بحياتهم المنزلية ، ومما قاله إن الحمامات عرفتها بلاد الحجر قبل غيرها من البلاد الأوربية ، بفضل الصلة بينها وبين المجتمع التركى الإسلامى .

ولأنى لمذيع هنا سرا لم يكن خافياً على « جرمانوس » ، ذلك أنه كان الشخصية التى استلهم منها « محمود تيمور » قصته « المستعين بالله الكابتن هاردى » ولأدعى

أن أحداث القصة من الواقع ، فإن «جرمانوس» كان في شغل عن المغامرات الغرامية ، ولكن روح القصة وتحليل الشخصية يصور طابع « جرمانوس » ويلمع إلى شخصيته في هيامها العاطفي بالجو الشرقى وما فيه من سحر الخيال ، ومن سطور هذه القصة تصوير رفيق « المستعين بالله » لحولة في جوف الليل معه في حى « الحسين » إذ يقول « جعلنا ندخل تلك المتاهات والدروب الملتوية والحارات المستغلقة الساحة في غياهب الظلمات ، وكلانا محلق في أحيالته مشغوف بعالمه ، وخرجنا من تلك المتاهة إلى شبه ساحة لم يتوضح من معالمها إلا ما أذن تشرئب بقاماتها الممشوقة إلى العلاء ترعى السماء ، وقد تناثرت فيها النجوم المتألقة ، وكأن هذه المآذن تحاول أن تتخلص من عالم الظلام والصمت ، ووقف صديقي يحدق في تلك المآذن السامقة ، وقد شغفت قلبه ، وإذا بصوت حلو النغم يشق ذلك السكون ، ونحن إليه بقلبين نهفو ، مستمتعين بعدوبة ذلك الإنشاد ، ومضينا في طريقنا ، وخيل إلينا أن المآذن كأن هاماتها تتقاصر ويد صديقي تلمس يدي وتضغطها بين حين وحين » .

كان « جرمانوس » فخورا بصوره ، وقد أطلق لحيته ، وارتدى ملابس الإحرام

وأذكر أنى وفدت عليه يوما في المثوى الذى ينزل به ، فإذا هو قد ألبس إحدى سيدات المثوى من الأجانب زيا عربيا تزينه العباءة والخمار ، ووقف يلتقط لها صورة ، وملاحه تفيض بشرا ، ومالبث أن قدمها لى على أنها أميرة عربية وافدة ، ولكن زوجها الألماني بادر بكشف الحيلة لى وهو يقول : إنها لاتعرف العربية لغة ، ولكنها قرأت معى معلقات الشعراء العرب ومقامات الحريري بالألمانية .

ولما توفيت زوجة « جرمانوس » ، وتزوج بعدها أخرى ، كان معترآ بأن سماها « عائشة » ، وكان يتشدد باسمها ، وهو يُعرِّف ضيوفه بها ، ويقول إنها على مشربه في كل ما يهوى .

و « جرمانوس » يعد خبيراً فنياً في تذوق ألوان الطعام ، على اختلاف طرائفها في الشرق والغرب ، لكثرة رحلاته وتنقلاته في أرض الله ، وما أتيح له من فرص الضيافة على الموائد الرفيعة هنا وهناك . وهو على وفرة ما تذوق واستساغ لم يكن يؤثر طعاماً أى طعام على « الشواء » العربى المطهو في السفافيد على الحمر ، وشد ما حرص على أن يكون له منه أوفر حظ في أثناء مقامه بالقاهرة . ولو أتيح له أن يكون طعامه الأوحده لما لحقه منه ملال ، ولما لاحظت ذلك منه ، قال لى : من أحب قوماً أحب منهم أفخر ما يطعمون : سيد الطعام الشواء ؟

٤- وفيمن عرفت من الناس من يحسنون عددا من اللغات ، منهم من يحسنها نطقاً وكتابة ، ومنهم من يكتبها ويتعثر في النطق بها ، أو ينطق بها فإذا كتب استعان بغيره فأما «جرمانوس» فكان بدعا فيمن عرفت كان على علم بالإغريقية واللاتينية ، فهما من لغات دراسته الأساسية ، وكان يحسن العدد الجهم من اللغات الحية وشبه الحية في الشرق والغرب ، أكون معه في مشواه فيتحدث إلى ربة المشوى باليونانية ، ويحضر صديق له فيكلمة بالفرنسية ، ونزور مستشرقاً إنجليزياً فيتخاطبان بالإنجليزية ، وننتقل إلى رواق الأتراك أو تكية المغاوري فيجري حديثه بالتركية مع شيخ الرواق أو دراويش البكتاشية : وفي متاجر التحف في «نخان الخليلي» يكلم صاحب متجر بالفارسية ، وفي حديقة الشاي الهندية يتكلم مع أحد عمالها بالأردية ، وفي البنك الإيطالي يصر على أن يتكلم بلغة البنك القومية : وفي سفارة المجر يتكلم بالألمانية مع هذا وبالجزرية مع ذاك . وأنا معه لا أفهم منه إلا أن يكلمني بالعربية الفصحى : فإذا التقى برجل من عامة الناس في المشوى أو في السوق وكلمته الرجل بالعامية الدارجة ، تهشمت لغته ، وجف ريقه ، وضاحت أنفاسه ، لأنه لا يستطيع أن يفهم ما يقال له بتلك العامية ، وكذلك لا يستطيع أن يقول بها ما يريد : لم يكن «جرمانوس» يكره شيئاً في البلاد العربية كراهته للهجات العامية ، وقد أتى أن يكتبها وأن يتأثر بها ، وكان يلقي في

سبيل ذلك عتاً ، في مخاطباته لعامة الناس وكثيراً ما قال لي : شأنكم عجب : انكم لغتان ، لغة وأنتم وقوف تحاضرون وتخطبون واحدة وأنتم جلوس أو مشاة يتحدث بعضكم إلى بعض : وقد أراد أن يحضر دروس العربية في كلية اللغة العربية بالأزهر ، وأذن له في ذلك ، فحضر دروس أستاذ يسمى «غراب» ، وعز عليه أن يفيد مما سمع ، ففزع إلى شيخ الكلية ، يقول له : غريب من «غراب» أن يعلم العربية بالعامية وأدرك «جرمانوس» أن لغة الأستاذ عربية عامية مغا وأنة لن يستطيع متابعتها ، وهو لا يعرف إلا الفصحى :

٥- لا غلو في القول بأن «جرمانوس» كان سفير «الدانوب» الثقافي إلى «النيل» استقبلته الهيئة المصرية لنادى القام الدولي ضيفاً عليها سنة ١٩٣٥م فتعرف هنالك إلى لطفى السيد وظه حسين وغيرهما ، وحاضر في كلية الآداب بجامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية ، وألقى بعض بحوثه في «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة بعد اختياره عضوا مراسلاً فيه :

وأذكر أنه قبيل الحرب العالمية الثانية جعل من اختفالات السفارة الحزبية بأعيادها القومية فرصة لدعوة الصنفوة من الأدباء والمفكرين العرب في مصر ، فكان قصر السفارة يومئذ يغص بعنائم الشيوخ مع سواهم من المطربشين والمتقبعين ، بينهم

الشيخ مصطفى عبد الرازقي ، والشيخ
عبد الوهاب خلاف ، والشيخ عبد العزيز البشري
ومحمود تيمور ، وكامل كيلاني ، والدكتور
محمد حسين هيكل ، والدكتور منصور فهمي
والدكتور بشر فارس ، وزكي طليمات ،
وزينب الحكيم ، والدكتور محمود عزمي ،
وجمهرة من شباب الأدب والصحافة .

وبعد أن قدم «جرمانوس» كتابه المنشور
بلغات متعددة «الله أكبر» تجرد لتقييم الأدب
العربي في العصر الحديث ، وتقديم نماذجه
للمجتمع الثقافي الأوربي ، وكتب الفصول
الضافية في تقدير أقطاب الأدباء ، منها
الفصل الذي كتبه في تقدير «محمود تيمور»
بعنوان «أستاذ الأدب القومي» ، والفصل
الذي كتبه في تقدير «كامل كيلاني» بعنوان
«معلم الشعب العربي» .

وإن الزيارات التي قام بها «جرمانوس»
لمصر كانت زائفة بلقائه لأعلام الأدب
وقادة الرأي ، يتدارس معهم مفاهيمه في
مجالات الفكر العربي ومذاهبه الأدبية ،
معنيا بوجوه نخاص بحركة التجديد
ومدى تأثيرها بالمفاهيم العالمية في الفكر
المعاصر .

وكان «جرمانوس» أثر في ظفر المكتبة
العربية بذلك الكتاب الذي وضعه الدكتور
محمد حسين هيكل وسماه « في منزل
الوحى » وأصفا فيه مشاهد بيت الله الحرام
فإن «الوحى» في «منزل الوحى» كان لفقيدنا
«الحاج عبد الكريم جرمانوس» ، وما
أقول هذا رواية عن الرجل ، وادعاء منه
ولكن ذلك ما جهر به وسجله «الدكتور
هيكل» في مقدمة كتابه ، إذ أشار - على
ما أذكر - إلى أنه كان يستمع إلى إذاعة
أجنبية ، فاسترعى إنتباهه حديث «جرمانوس»
في وصف الكعبة والحج ، وما لبث هذا
الحديث أن أثار شوقه وبعث عزمه على أن
يصنع صنيع «جرمانوس» ومن ثم أعمل
قلمه في تأليف ذلك الكتاب .

وكما كان «جرمانوس» معنيا بأن يقدم
الأدب العربي بلغة قومه ، كان معنيا أيضا
بأن يقدم باللغة العربية روائع من الأدب
المجري . ولقد كنت بجانبه ، وهو يترجم
قصائد متوهجة من ديوان شاعر الثورة
المجرية الشاب «بتوفى» وكانت مجلة «المقتطف»
حفية بنشر هذه القصائد المترجمة ، وذلك
سنة ١٩٣٨ م. وفيما بعد سنين طوال لاحظت
أن إحدى المجلات التي خرجت عقب الثورة
المصرية سنة ١٩٥٢ م - ثورة ٢٣ يولييه
كانت تشر تلك القصائد المجرية للشاعر

«بشوقى» ، وذلك لما فى مطاويها من دعوة
متلهبة إلى الحرية، وإشادة عالية بالكرامة،
وانقضاض على الاستبداد والاستعباد
والاستغلال :

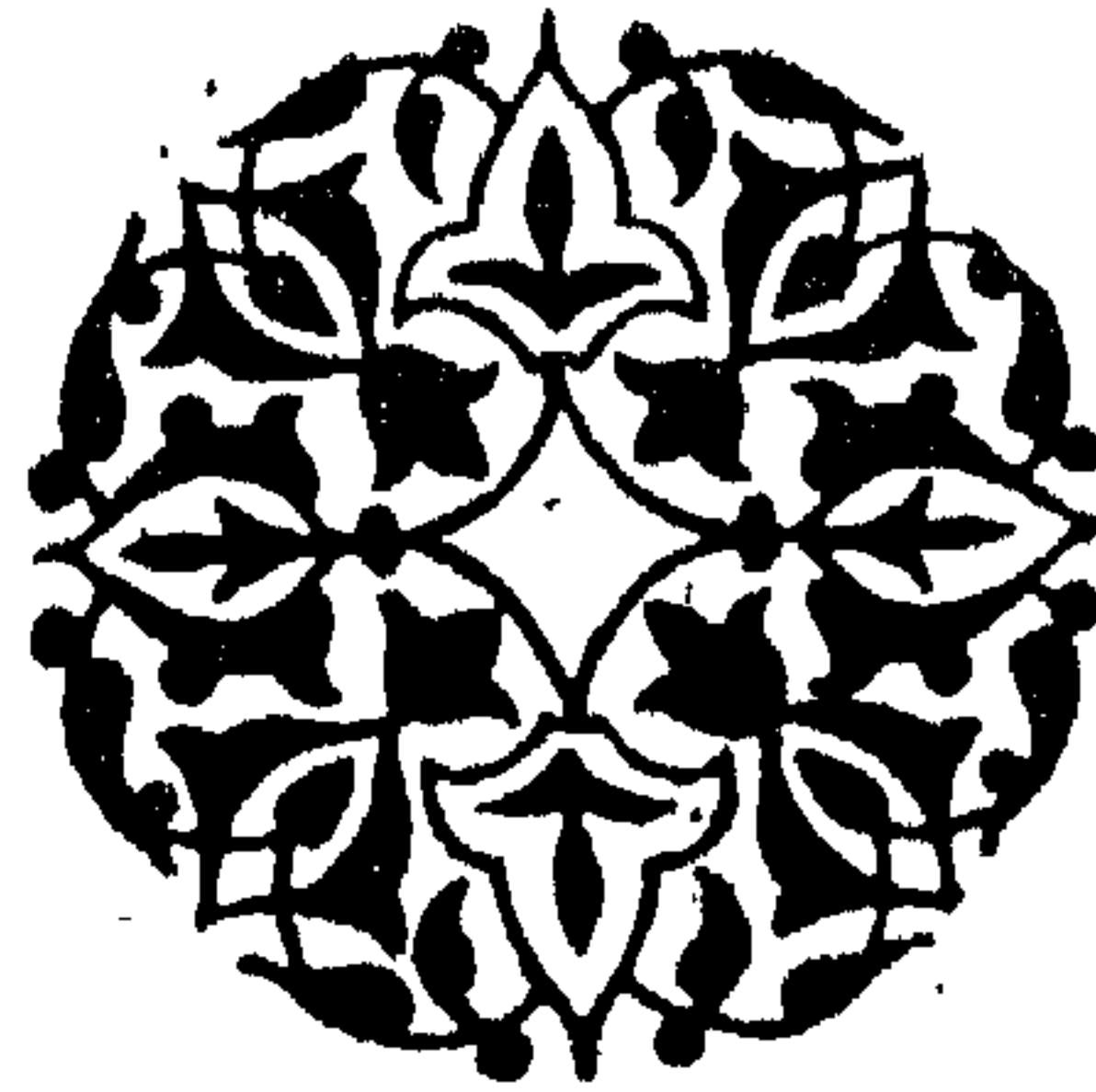
هكذا عرفته :

قوته الحيوى : التعرف
وهدفه الإنسانى : التعارف
لذكره تحية وسلام ،،،

محمد شوقى امين
عضو المجمع

٦ - عرفت فقيدنا الصديق الكبير
«جرمانوس» زمنا يزيد على أربعين سنة
رجلا كبيرا قلبه ، عاطفيا مترعه ، أقرب
ما يكون إلى الفطرة ، وأبعد ما يكون عن
التكلف .

رجل جاد فى الدرس ، ودأب على البحث.



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة
محاسب / صالح زكريا

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٦٦٢ / ١٩٨٠

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٢٠٠٠-١٩٨٠ ص ٧٥٧٧

